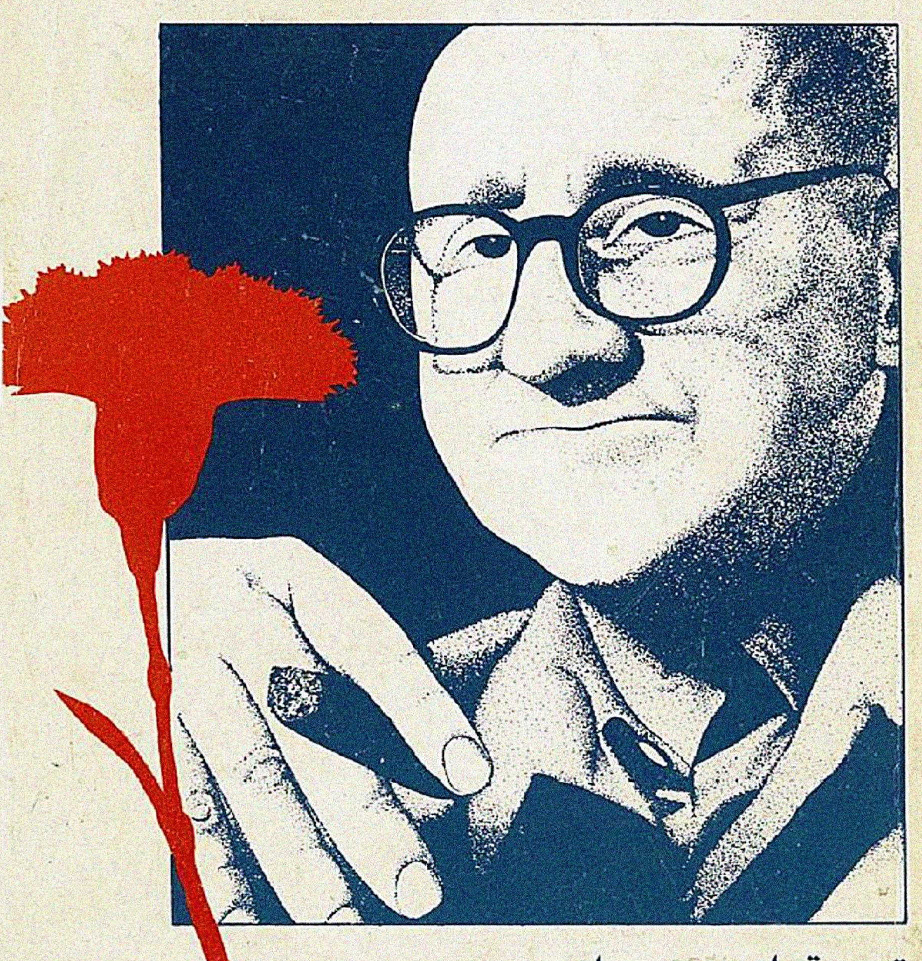
# قصائد

# برتولد بريخت



ترجمة احمد حسان

الفارابي

# قصائد برتولد بريخت

ترجمة احمد حسان




١٩٨٦

دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان

تلفون ٣١٧٢٠٥ / ٠١

ص. ب. ٣١٨١ / ١١

١٩٨٦

# إهداء المترجم

إلى جندي مجهول من ملايين جيش العمل
عاش حياته تحت النير ، وسقط ولم ترَ عيناه على مشارف الأفــق عالماً أفضل .
الأمّي الذي علمني الكثير .
مات وبيننا البحر . . وبقي في لحمي شارة لوطن الفقراء .
إلى أبي .
وإلى طفلة الروح . . واحة الغربة ورفيقة الإكتشاف .
جمعنا الحلم رغم حلكة الأوقات .
قدمت العون بألف يد ، وشاركتني أقسى الظروف .
إلى "تابيا" شراند .
كلاهما جعل هذا الكتاب ممكناً .

# تقديم المترجم

حين تمر بلادنا بظروف استثنائية لم تشهدها في تاريخها ؛ ويبدو أننا نهدر حياتنا في الصمت أو تكاد تأكلنا المنافي سعياً وراء ما نأكله أو وفاءً لأحلامنا البسيطة الأرضية في عالم يتسع لكل المحبّين ؛ والوطن ، الذي خلقنا لنعيد خلقه ، يتحول إلى خبر في صحف بلغة أجنبية ، أو كلمة في إعلانات السياحة أو ملصقات التضامن ؛ حين يبدو جدار الظلام الذي يحول بيننا وبين استعادة الوطن وكأنه بيت تار الآشوري ، تلك القلعة الأسطورية الحصينة ، لا تهزمها جيوش العالم ، لكن كلمة واحدة مدوّية تحيلها تراباً ، ولا نستطيع جمع مقاطع الكلمة الصحيحة . . .

حين تظل أسماء الكتّاب على رأس قوائم المخربين في بلادنا ، وينجح القمع والحصار والملاحقة في تشتيت صفوف الحركة الثقافية ، وتتبعثر محاولات النهوض بعد طول الصمت في نشرات الماستر الفقيرة المحدودة ، ويحاصرنا الفكر الرجعي من فوق المنابر الرسمية باعتباره الفكر "الأصيل" النابع من التراث : ذلك التراث الرسمي الذي لا يعدو أن يكون متراساً يسد طريق التقدم ويكرس العزلة القومية . بينما يُنظر إلى التراث الإنساني التقدمي بريبة وعداء باعتباره فكراً "مستورداً" يتناقض مع أسلوب الحياة الملازم لتدفق معدات الترف إلى قصور السادة . ويخفي الفكر الرسمي إفلاسه باستعارة قضايا قديمة حسبناها قد حُسمت منذ زمن ، ليطرحها من جديد من نقطة البداية . . . .

الآن ، حين يجري ذلك كله ، يصبح الحديث عن بريخت بمثابة برق في الظلام ، شعاعٍ يأخذ شكل الكلمات .

إننا أمام مبدع ونظري جسّد بحياته وعمله ارتباطاً حميماً بواقعه ، ناظراً إليه من منظور المستقبل . ووجد معاييره الراسخة

في حقائق الحياة الواقعية بكل تعقيدها. مؤمناً في كل الأوقات بعبارة هيجل الأثيرة التي كان يعلقها على جداره لتذكره بأن "الصدق عيني".

وبرت بريخت، بالتأكيد، ليس غريباً على القارىء. فقد تخطى مبكراً حدود وطنه ليصبح سنداً وإلهاماً للمضطهَدين في كل مكان، وكابوساً يطارد كل العتاة. سارع النازيون إلى إحراق كتبه ضمن حملتهم لتجريم المعارضة، ووصل إلى الولايات المتحدة فاراً من النازية ليسقط ضحية المحاكمات المكارثية.

معيار واحد أكسبه أهميته البالغة لدى صانعي التاريخ وأعدائه على السواء. أدركه ولم يتخلَ عنه عبر سنوات شهدت أحلك الأوقات لبلاده وللبشرية. سنوات أزمة النظام الرأسمالي العالمي وصعود النازية والحرب العالمية الثانية والسنوات الصعبة التي تلتها. هذا المعيار يوجزه لنا فالتر بنيامين بقوله إن بريخت "ظاهرة صعبة. يرفض أن يستخدم بحرية موهبته ككاتب.... ومن بين جميع من يكتبون في ألمانيا فإنه الوحيد الذي يسأل نفسه أين يجب أن يستثمر موهبته، ولا يستثمرها إلا حين يكون مقتنعاً بضرورة ذلك، مخيباً كل مناسبة لا تتفق مع هذا المعيار.... إنه يعرف أن الطريق الوحيدة الباقية أمامه هي هذه: أن يتحول إلى نتاج مصاحب لعملية بالغة التشعب لتغيير العالم".

أهميته تبدأ من هذه النقطة لكنها لا تنتهي عندها. فهو المبدع غير العادي الذي رأى فيه ليون فويشتفانجر "صانع اللغة في هذا القرن، وبفضله تجد اللغة الألمانية نفسها الآن في وضع تستطيع فيه التعبير عن مشاعر وأفكار لم تكن تستطيع النطق بها حين بدأ بريخت الكتابة".

تتسع موهبته لتضم مجالات عديدة: فهو المفكر، والناقد، والشاعر، ومؤلف ومخرج ومنظر المسرح، والروائي، وكاتب السيناريو،... والسياسي بالضرورة، فنتاجه يهدف إلى تغيير العالم. لذا بدا له ما هو سياسي في عمله أمراً طبيعياً، إنه ما يحب

أن يناقشه مع أصدقائه وما يتابعه وهو يجوب المنافي عبر الراديو النقال.

لكن إسم بريخت يرتبط في أذهاننا، في المقام الأول، بالكتابة المسرحية ونظرية الدراما. وفيما عدا الأشعار التي تتخلل مسرحياته لا تكاد العربية تعرف عن بريخت ''الشاعر'' سوى القليل من الترجمات أبرزها المجموعة التي قدمها الدكتور عبد الغفار مكاوي منذ نحو عقد ونصف من الزمن.

ولا يرجع ذلك إلى صعوبة ترجمة الشعر التي تفوق بما لا يقاس ترجمة عمل تقريري أو درامي، بقدر ما يرجع إلى اختياره هو أن يتوارى الشاعر خلف كاتب المسرح حتى لا يعرف شعره، بتدفقه وطبيعيته، الأنظار عن عمله الشاق في الكتابة المسرحية. هكذا رفض، في عام ١٩٢٨، عرضاً لإلقاء قصائده على أساس:

''... أن شعري هو أقوى حجة ضد نشاطاتي في كتابة المسرح. فالجميع يطلقون زفرة إرتياح ويقولون إن أبي كان يجب أن يوجهني إلى الشعر وليس إلى مهنة كتابة المسرحيات''.

وطوال حياته، لم يكن ثمة من وسيلة أمام من بقوا في ألمانيا النازية (أو ولدوا في ظلها) لدراسة حتى تلك القصائد التي كان مستعداً لنشرها. ثم تبين أن هذه القصائد لم تكن تشكل سوى جزء ضئيل من مجمل إنتاجه الشعري.

فمن بين نحو ألف قصيدة ضمتها أعماله الشعرية الكاملة عام ١٩٦٧، لم يظهر في حياته سوى ١٧٠ قصيدة في ثلاث مجموعات أعدها بنفسه ـ وكانت تلك تتضمن عدداً من أغنياته المسرحية.

هكذا ظل بريخت ''الشاعر'' حتى وفاته مثل قنبلة زمنية كامنة تحت سطح الأدب العالمي. لكن العين الفاحصة لا يمكن أن تخطىء الشاعر الذي اختار أن يختبىء خلف كاتب المسرح. ولنتذكر أن أولى مسرحياته ''بعل'' كانت نقلاً لنشاطه الشعري إلى خشبة المسرح. ومن يخفق في رؤية أن لغته هي لغة شاعر يحيد عن تلمس القوة الدافعة الرئيسية لمجمل عمله. فرؤيته للحاضر

من فوق ربوة المستقبل تلف أعماله بشاعرية فياضة.

لم يغب ذلك عن عيون الكثيرين. فقد ذكره أودن Auden بين أكثر من تعلم منهم من الشعراء المحدثين الأكبر منه سناً. كذلك أكد الناقد الأميركي جون ويلليت Willett في مقالة 'الشاعر تحت الجلد' أننا ''في نهاية الأمر نعود إلى الشاعر، لأنكم لا تستطيعون تقدير بريخت كاتب المسرح، أو حتى المخرج المسرحي، ناهيك عن المنظـِّـر، دون إدراك أنه كان شاعراً أولاً، وأخيراً، وطول الوقت''. وحتى، استناداً إلى قصائده القليلة المنشورة إلى عام ١٩٤١، أمكن للناقد كلمنت جرينبرج Greenberg أن يصفه بأنه ''كله شاعر''.

هكذا 'الشاعر كله' هو ما يطمح هذا الكتاب إلى تقديمه: في مختلف مراحله ومختلف أحواله الذهنية والوجدانية، بهدف توضيح مدى رحابة مجاله الشعري سواء في الموضوعات التي طرقها أو في معالجتها الحرفية.

بهذا الطموح اتسع الكتاب ليصبح، في اعتقادنا، أشمل مجموعة ظهرت لبريخت في لغتنا حتى الآن. فأمام القارىء ٣٢٥ قصيدة تمتد من بدء كتابته للشعر صبيا وحتى وفاته. أكثر من نصفها على قدر علمنا لم يرَ النور في العربية من قبل.

واقتضت الضرورة إضافة بعض النصوص المأخوذة من يوميات بريخت والتي تبين رأيه في مختلف مجموعات القصائد أو في بعض مشكلات تقديم الشعر.

وتستمد هذه الترجمة أهميتها من الأمل في أن تكون إعادة طرح هذا التراث الابداعي، الثوري - بكل المعاني المحتملة - بمثابة الدعوة لإعادة النظر في المفاهيم السائدة في حقل الثقافة، ولإعادة الاعتبار إلى قيم يجري طمسها من جانب أبواق القهر ودعاة السلفية.

بهذا المعنى يمكن لهذا الكتاب أن يكون مساهمة صغيرة في الجهود الدائرة في بلادنا للتمهيد لانطلاقة جديدة للفكر المتقدم.

ولما كانت ترجمة الشعر تستلـزم التضحيـة بمقـومـات عينيـة للقصيدة كالوزن والقافية في محاولة لنقل المعنى المتجسد في صور بأقرب درجة ممكنة، بما يتقمصه من تراكيـب للجمـل وأصـوات وتداعيات جديدة في اللغة الجديـدة، فقـد تجنبنـا منـذ البـدايـة المحاولة العبثية للإبقاء على الأوزان أو القوافي أو صياغة أوزان وقوافٍ أخرى بديلة. حاولنا نقل المعنى بـأوضـح مـا يمكـن مـع الالتصاق بالنص سطراً سطراً. ولم نحـاول إيجـاد صـور مـوازيـة تناسب العربية بل استعضنا عـن ذلـك بـالهـوامش التـي تعـرف بالإشارات التي يوردها وتتضمن كذلك ظـروف كتـابـة القصيـدة والمسودات الأخرى المتاحة لها وزمن كتابتها في المواضع الهامة. ويبدو أن ذلك يتفق مع وجهة نظر بريخت إذ كتب يقول:

"حين تترجم القصائد إلى لغة أخرى، فإن أغلب الضرر يميل إلى أن يكون راجعاً إلى أناس يحاولـون أن يتـرجمـوا أكثـر ممـا ينبغي. وربما وجب عليهم أن يقصروا أنفسهم على ترجمة أفكار ومواقف الشاعر. وبقدر ما يكون الوزن في الأصل جزءاً من موقف الشاعر يجب بذل الجهد لترجمته، لكن ليس أبعد من ذلك".

لكننا لا نزعم أننا وفقنا في كل الأحوال، خصوصاً مع شاعر يعد صانعاً للغة.

كذلك قد يتذكر القارىء كلمـات بعينهـا في بعـض القصـائـد وردت في ترجمة سابقة. وذلك نراه أمراً طبيعياً. فهذه الترجمات السابقة كان لها فضل كونها النافذة التي تعرفنا من خلالها على نبتات هامة في حديقة ابداعه الثرية. وقد علقت بذهن المترجم كما علقت بأذهان العديدين منا، مما يجعل محاولة الافلات منها دون مبرر واضح في الأصل عبثاً لا طائل تحته. فليس من دوافع أية ترجمة جديدة أن تبـدل في الكلمـات دون سبـب صريـح مـن اختلاف التفسير أو خطأ الترجمة الأولى.

وفي هذا الصدد يجب علينا إزجاء الشكر لكل الترجمات التي عرفتنا ببريخت. ونخص منها مجموعة الدكتور مكاوي.

كذلك لا بد أننا جانبنا الصواب في بعض المواضع لكننا نرجو أن يغفر لنا ذلك الأهمية التي نعلقها على تقديم هذا الشاعر الهام من جديد بأمل أن يجد عمله تفتحه الكامل في وجداننا ليصبح رصيداً ملهماً وحافزاً.

I

# القصائد والمزامير المبكرة

## ١٩١٢ ـ ١٩٢٠

# حول رسام*

نيهيركاس يعبر رمال الصحراء على ظهر جمل
ويرسم نخلة خضراء بالألوان المائية
(تحت نيران الرشاشات الكثيفة).

إنها الحرب. السماء المفزعة أشد زرقة من المعتاد.

العديدون يسقطون صرعى بين أعشاب المستنقعات.
يمكنك أن تقتل الرجال السمر بالرصاص. وفي المساء يمكنك أن ترسمهم.
فلهم دائماً أيدٍ كبيرة.

نيهيركاس يرسم السماء الشاحبة فوق الغانج في ريح الصباح.
سبعة حمالين يسندون لوحته؛ أربعة عشر حمالاً يسندون
نيهيركاس، الذي كان يشرب
لأن السماء جميلة.

نيهيركاس ينام فوق الصخور ليلاً ويسب لأنها صلبة.
لكنه يجد ذلك أيضاً جميلاً (بما في ذلك السباب)
ويود أن يرسمه.

نيهيركاس يرسم السماء البنفسجية فوق بشاور بيضاء
فلم يتبق في أنبوبته لون أزرق.
ببطء تأكله الشمس. روحه تتناسخ.

---

* **تصف ملاحظة خطية لبريخت القصيدة بأنها 'للأزواج والجنود المرتقبين'. وقد انخرط كاسبار نيهير، الملقب بـ«كاس» في الجندية في يونيو ١٩١٥.**

ويظل نيهيركاس يرسم .

في البحر بين سيلان وبور سعيد ، داخل قمرة السفينة الشراعية العتيقة ،

يرسم
أفضل لوحاته ، مستخدماً ثلاثة ألوان وضوء كُوتَين .
ثم غرقت السفينة ، ونجا . كاس فخور باللوحة .
فلم تكن للبيع .

## قائمة رغبات أورجه *

من المباهج ، ما لا تُثقل .
من الجلود ، ما لم يُخدَشْ .

من القصص ، ما لا يُفهم .
من الاقتراحات ، ما لا غنى عنه .

من الفتيات ، الجديدة .
من النساء ، غير المخلصة .

من النشوات الجنسية ، غير المتوافقة .
من العداوات ، المتبادلة .

من المنتجعات ، المؤقتة .
من الفراقات ، الفاترة .

من الفنون ، ما لا يفيد .

---

* أورجه **Orge**، الذي يظهر كذلك في المنظر الثالث من (بعل **Baal**)، هو جورج بفانتسلت **Georg Pfanzelt**، صديق بريخت من أيام أوجسبورج ، والذي أسهم كثيراً في ثقافة بريخت الموسيقية .

من المعلمين ، من يمكن نسيانهم .

من المتع ، ما لا يُختلس .
من الأهداف ، ما يتطلب المغامرة .

من الأعداء ، الرقيقون .
من الأصدقاء ، غير المهذبين .

من ألوان الأخضر ، الزمرد .
من الرسائل ، الرسول ،

من العناصر ، النار .
من الآلهة ، الأسمى .

من المطحونين ، الخجولون .
من الفصول ، المدرار .

من الحيوات ، الصافية .
من الميتات ، العاجلة .

## أغنية صغيرة *

. ١
حدث مرة أن رجلاً
بدأ يعاقر الشراب
حين كان في الثامنة عشرة ... وهذا
ما قضى عليه .
مات في عامه الثمانين
والسبب ، واضح تماماً .

---

* إحدى أغنيات مجموعة «أغنيات للجيتار وضعها برت بريخت وأصدقاؤه».

.٢
حدث مرة أن طفلاً
مات وعمره عام واحد
قبل أوانه بكثير . . . وهذا
ما قضى عليه .
لم يشرب أبداً ، هذا واضح
ومات وعمره لا يتجاوز العام .

.٣
مما يساعدك على تأكيد
عدم ضرر الكحول .

## أغنية سحابة الليل *

قلبي كالح كسحابة الليل
وبلا مأوى ، آه يا عزيزتي !
السحابة في السماء فوق الشجرة والحقل
التي لا تدري لماذا .
وحولهما يمتد إتساع أبيض .

قلبي برّي كسحابة الليل
ويتأجج شوقاً ، آه يا عزيزتي !
يريد أن يكون السماء الفسيحة برمتها
ولا يدري لماذا .
سحابة الليل وحيدة مع الريح .

---

* ظهرت في طبعة ١٩١٨ من ( بعل ) ، وبعد ذلك استبدلت بقصيدة 'الفتاة الغريقة' (المشهد ١٥ ). ويبدو كذلك أنها أعارت اسمها للخمارة في المنظر السابع من هذه المسرحية .

# في مودة العالم *

١ .

إلى هذا العالم العاصف ذي الأسى الثلجي
جئتم جميعاً عارين تماماً
رقدتم باردين ومفتقرين إلى كل شيء
حتى لفّتكم إمرأة في شال .

٢ .

لم يدعكم أحد ، ولم ينادكم أحد
ولم تحضركم عربة بسائس .
كنتم غرباء في هذه الأرض البكر
حين أخذكم رجل من يدكم .

٣ .

من هذا العالم العاصف ذي الأسى الثلجي
ترحلون جميعاً عفناً وقذارة .
يكاد كل واحد أن يكون أحب العالم
حين تهال فوقه حفنتا تراب .

---

* **كان للقصيدة مقطع ثالث حذف عام ١٩٣٨ ويمضي كالتالي :**

والعالم ليس مديناً لكم بشيء :
وليس من يمنعكم إذا أردتم الرحيل .
البعض ، يا أطفالي ، قد يكونون سدّوا آذانهم .
لكن البعض الآخر سبّبوا لكم الدموع .

**وقد كتب بريخت عام ١٩٥٦ أغنية مضادة لهذه القصيدة وهو يراجعها ، لحنها هانز آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو كما لحنها رودلف فاجنر ـ ريحيني .**

## أغنية عن أمي *

١ . لم أعد أتذكر وجهها كما كان قبل أن تبدأ آلامها . بإرهاق ، كانت تزيح الشعر الأسود عن جبهتها ، التي كانت ناتئة ، ما زال يمكنني أن أرى يدها وهي تفعل ذلك .

٢ .عشرون شتاءً هددها ، كانت معاناتها هائلة ، وكان الموت يحجل من الاقتراب منها . ثم ماتت ، واكتشفوا أن جسدها كان مثل جسد طفلة .

٣ . كبرت في الغابة .

٤ . ماتت بين وجوه تحجرت من طول النظر إليها وهي تحتضر . غفر المرء لها معاناتها ، لكنها كانت تحوم بين تلك الوجوه قبل أن تنهار .

---

* ماتت أم بريخت في أول مايو ١٩٢٠ . و « الغابة » هي الغابة السوداء .

كذلك يوجد مزمور لم يكتمل بتاريخ ٢مايو ١٩٢٠ وعنوانه « المُهان » . (Der Beleidigte) وقد تضمنته يوميات ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ . ويمضي كالتالي :

بالطبع ذهبت إلى المنزل على الفور .

طوال اليوم ظل يهينني بسمائه الكالحة . لكن عند الغروب بلغت إهاناته أقصاها . ذهبت إلى المنزل .

( تمكن من وضع فرقة نحاسية قروية تعزف الفالسات في حديقة خمارة

كان عليّ أن أمر بها ... حيلة قذرة . ) .

أصبحت أدرك . لا أحد يحبني . يمكنني أن أموت ككلب ، فسوف يشربون القهوة . أنا شيء زائد عن الحاجة خلف ستائري المخرمة .

كنت عاجزاً عن الهرب . فالكلاب السوداء الضخمة تبدو عند كل منعطف .

# II

# الصلوات المتأخرة وأول قصائد المدن ١٩٢٠ ـ ١٩٢٥

## إلى أمي

وحين انتهت مددوها في التراب
الأزهار تنمو ، والفراشات تتراقص فوقها . . .
من فرط خفتها ، لم تكد تضغط التراب
كم من العناء كلّـف جعلها بهذه الخفة !

## ألمانيا ، أيتها المخلوقة الشقراء الشاحبة

ألمانيا ، أيتها المخلوقة الشقراء الشاحبة
ذات السحب البرية والجبهة الناعمة
ماذا جرى في سماواتك الصامتة ؟
لقد أصبحت مباءة جيف أوروبا .

الجوارح فوقك !
الوحوش تمزق جسدك الجميل
المحتضرون يلوثونك بأقذارهم .
وبولهم
يبلل حقولك . حقولك !

ما كان أعذب أنهارك ذات حين
والآن يسممها الأنيلين الأرجواني .
بالأسنان يقتلع الأطفال
جذورَ قمحك ، فهم
جوعى

لكن الحصاد يسبح

في الماء العفن .

ألمانيا ، أيتها المخلوقة الشقراء الشاحبة
البلد الوهمي ! الملىء
بالأرواح الميتة ! الملىء بالموتى !
أبداً ، أبداً
لن يخفق قلبك ، الذي
تعفن ، الذي بعته
مخللاً في السماء
مقابل
الرايات .

يا بلد الجيف ، وهدة البؤس !
العار يخنق ذكراك
وفي الشباب ، الذين
لم تدمريهم
تستيقظ أميركا !

## الأجيال القادمة *

أنا أعترف :
ليس لدي أي أمل .
الحديث الأعمى عن مخرج .
أنا أرى .

---

* هناك ملاحظة بالقلم الرصاص بخط بريخت في الخمسينات تصف هذه القصيدة بأنها 'إحدى أقدم القصائد من الفترة المبكرة'. وهي بالتأكيد إحدى أقدم القصائد في «الشعر غير المقفى بأوزان غير منتظمة».

حين تستنفد الأخطاء
كرفيقنا الأخير ، في مواجهتنا
يجلس العدم .

## ذات مرة ظننت

ذات مرة ظننت أنني أود أن أموت بين ملاءات تخصني
الآن
لم أعد أصلح من وضع الصور على الجدار
أترك مصاريع النافذة تتآكل ، أفتح حجرة نومي للمطر
أمسح فمي بمنشفة رجل آخر .
ظللت في غرفة أربعة شهور دون حتى أن أعرف
أن نافذتها تطل على فناء المنزل الخلفي
(رغم أن ذلك شيء أحبه)
لأنني أفضل ما هو مؤقت ولا أؤمن بنفسي مطلقا .
من ثم فإنني أقبل أي مسكن ، وإذا ارتجفت أقول :
إنني ما زلت أرتجف .
وهذا الموقف بالغ التأصل
لكنه رغم ذلك يسمح لي بأن أغير ملاءاتي
بدافع المجاملة للسيدات
ولأن المرء بالتأكيد
لن يحتاج الملاءات إلى الأبد .

## حول ماري فارار قاتلة طفلها *

١ .
ماري فارار : من مواليد ابريل

---

* تحمل المخطوطات عنواناً آخر للقصيدة هو «موّال فتاة»

قاصر ، لا علامات مميزة ، مصابة بالكساح ، يتيمة .
يبدو أن سلوكها لا غبار عليه حتى الآن .
تقر بأنها قتلت طفلها كما يلي :
تقول ، إنها حاولت فعلاً في شهرها الثاني
بمساعدة امرأة في بدروم
إجهاض نفسها بحقنتين
يبدو أنهما تؤلمان ، لكنها لم تفلح .
لكن أرجوكم ، لا تستسلموا للغضب .
فكل ما يحيا يحتاج إلى عون الجميع .

. ٢

تقول ، رغم ذلك دفعت على الفور
المبلغ المتفق عليه ، ومن ذلك الحين ربطت بطنها
كما شربت كحولاً قوياً ، أضيف إليه فلفل مطحون
لكن ذلك أسفر فقط عن إسهال شديد .
الآن صار بطنها ملحوظ الانتفاخ ، ودائماً
ما يؤلمها بشدة ، وهي تغسل الصحون .
تقول إنها شخصياً لم تكمل نموها .
كانت تصلّي لمريم ، يملؤها الرجاء .

---

وتختلف في بعض المواضع عن النسخة الواردة هنا . يقول مونسترر **Münsterer** إن الحادثة حقيقية لكنه لا يورد تفاصيلها . وتتفق معه السيدة فويشتفينجر **Mrs. Feuchtwanger** التي يهدي إليها بريخت القصيدة في مقدمته لكتاب الصلوات . ويقابل بريخت هنا بين ماري بطلة الحادثة والعذراء مريم ، فيكتب الإسمين **Marie** رغم أن إسم العذراء يكتب في الألمانية **Maria**: وتستخدم القصيدة تفاصيل منازل العائلات الألمانية الميسورة ، حيث نجد غرف الخدم في أعلى المبنى وحيث يوجد مبنى مستقل للغسيل ملحق بالمنزل . أما سجن مايسين **Meissen** فيقع في ساكسوني قرب درسدن .

وأنتم أيضاً أرجوكم ، لا تستسلموا للغضب
فكل ما يحيا يحتاج إلى عون الجميع .

. ٣

لكن الصلوات ، على ما يبدو ، كانت عبثاً .
فقد طلبت الكثير . وحين صارت أكثر إمتلاءً
أخذت تشعر بالدوار في القداس الباكر . ودائماً كان
يغمرها العرق البارد ، تحت المذبح .
لكنها أخفت حالتها
حتى داهمتها ساعة الوضع .
نجحت لأن أحداً لم يتخيل ، في الحقيقة
أنها ، بكل دمامتها ، قد سقطت في الغواية .
لكن أرجوكم ، لا تستسلموا للغضب
فكل ما يحيا يحتاج إلى عون الجميع .

. ٤

تقول ، ذلك اليوم ، في ساعة مبكرة
بينما تمسح الدرج ، تحس كأنّ أظافر
تمزق أحشاءها . تهزها
لكنها تنجح في إخفاء الألم
طوال النهار ، وبينما تنشر الغسيل
تجهد ذهنها ؛ ثم تدرك
أنها ستلد ، وعلى الفور
يجثم على صدرها عبء ثقيل . ولا تصعد حتى ساعة متأخرة .
رغم ذلك أرجوكم ، لا تستسلموا للغضب
فكل ما يحيا يحتاج إلى عون الجميع .

. ٥

حين تمددت استدعوها مرة ثانية :

فقد سقط الجليد ، وعليها أن تكنسه .
استغرق ذلك حتى الحادية عشرة . كان يوماً طويلاً .
في الليل فقط كان يمكنها أن تضع في سلام
وقد وضعت ، كما تقول ، إبناً .
كان الإبن مثل غيره من الأبناء .
لكنها لم تكن مثل غيرها من الأمهات ، لكن
ليس ثمة ما يبرر أن أسخر منها .
وأنتم أيضاً أرجوكم ، لا تستسلموا للغضب
فكل ما يحيا يحتاج إلى عون الجميع .

.٦
لندعها ، إذن ، تواصل حكايتها
عما حدث لهذا الإبن
( تقول إنها لا تريد أن تخفي شيئاً )
لنرى معدني ومعدنكم .
تقول ، ما كادت تتمدد في الفراش ،
حتى انتابها الغثيان ، ووحيدة
لا تدري ما سيحدث ،
جاهدت لتمنع نفسها من الصراخ .
وأنتم أرجوكم ، لا تستسلموا للغضب
فكل ما يحيا يحتاج إلى عون الجميع .

.٧
بآخر قواها ، كما تقول ،
ولأن غرفتها كانت باردة كالثلج
جرجرت نفسها إلى المرحاض ، وهناك أيضاً ، ( متى ،
لم تعد تدري ) وضعت دون عقبات
قرب الفجر . الآن ، كما تقول ،
صارت مرتبكة تماماً ، لا تكاد تستطيع

حمل الطفل ، وقد قاربت أن تتجمد
فمرحاض الخدم يُنفذ الجليد .
وأنتم أرجوكم ، لا تستسلموا للغضب
فكل ما يحيا يحتاج إلى عون الجميع .

٨ .

بين المرحاض والغرفة - تقول ، قبل ذلك
لم يكن قد حدث شيء - بدأ الطفل
في البكاء ، وهذا أزعجها جدا ، هكذا تقول
فأخذت تضربه بكلتا قبضتيها ، ضربات عمياء
دون توقف ، حتى هدأ ، كما تقول .
ثم أخذت الجسد الساكن الميت
إلى فراشها بقية الليل
وفي الصباح خبأته في مبنى الغسيل .
لكنني أرجوكم ، لا تستسلموا للغضب
فكل ما يحيا يحتاج إلى عون الجميع .

٩ .

ماري فارار : من مواليد ابريل
التي ماتت في سجن مايسين
أماً لم تتزوج ، محكوماً عليها ، تريد
أن تبين لكم ضعف كل ما يحيا .
وانتن ، يا من تلدن في لفافات نظيفة
وتسمِّنْ بطونكن الحوامل « مباركة »
لا تلعنن الوضعاء الضعفاء .
فخطيئتهم ثقيلة ، لكن عذابهم عظيم .
لذا أرجوكم ، لا تستسلموا للغضب
فكل ما يحيا يحتاج إلى عون الجميع .

# حديث صباحي لشجرة إسمها خضراء *

. ١

يا خضراء ، أدين لك بإعتذار .
لم أستطع النوم الليلة الماضية بسبب ضجيج العاصفة .
وحين أطللت لاحظتك تترنحين
مثل قرد مخمور . وعلقت على ذلك .

---

* القصيدة الحالية ، كما تقول ملاحظة لبريخت ، هي قصيدة معدلة أنجزت في ١٩٥٦ . أما النص السابق ، في أربعة مقاطع ، فيجري كالتالي :

. ١
الليلة الماضية ظلمتك ظلماً فادحاً ؛
لم أستطع النوم بسبب ضجيج العاصفة .
وحين أطللت لاحظتك تترنحين
مثل قرد مخمور . أحسست بالخجل منك ، يا خضراء .

. ٢
أعترف صراحة ، أنني كنت مخطئاً :
فقد حاربت أقسى معارك حياتك .
كانت الجوارح ترقبك
والآن تدركين قيمتك ، يا خضراء .

. ٣
اليوم تشرق الشمس الصفراء على أغصانك العارية
لكن هل ما زلت تنفضين الدموع ، يا خضراء ؟
هل تعيشين وحيدة نوعاً ما ، يا خضراء ؟
آه ، نحن لم نخلق للجماهير . . .

.٢

اليوم تشرق الشمس الصفراء على أغصانك العارية.
ما زلت تنفضين بعض الدموع، يا خضراء.
لكنك الآن تدركين قيمتك.
فقد حاربت أقسى معارك حياتك.
كانت الجوارح ترقبك.
والآن أعرف: أنك فقط بسبب مرونتك
غير المحدودة ما زلت تنتصبين هذا الصباح.

.٣

نظراً لنجاحك هذا هو رأيي اليوم:
لم يكن عملاً وضيعاً أن تكبري بهذا الطول
بين المساكن، بهذا الطول، يا خضراء، بحيث
مكن أن تنالك العاصفة كما فعلت الليلة الماضية.

.٤

استطعت النوم جيداً بعد أن رأيتك.
لكن ألست متعبة اليوم؟
إغفري ثرثرتي.
بالتأكيد لم يكن عملاً وضيعاً أن تكبري بهذا الطول
بين المنازل
بهذا الطول، يا خضراء، بحيث
يمكن أن تنالك العاصفة كما فعلت الليلة الماضية؟

**كذلك كتب هانز آيزلر عملاً مشابهاً بعنوان "حديث ربيعي لشجرة في الفناء الخلفي" لحنها ضمن مجموعة Zeitungsausschnitte عام ١٩٢٩.**

# ترتيلة النفس *

. ١

كان يا ما كان أن مرت إمرأة عجوز

---

* **تشير القصيدة إلى قصيدة جوته الشهيرة التي لحنها شوبرت والتي تحمل عنوان «أغنية الجوّال الليلية» وتمضي كالتالي:**

فوق كل التلال
سكون،
فوق كل الغصون
لا تكاد تحس
نفساً واحداً؛
الطيور صامتة في الغابة.
مهلاً، فقريباً
تستريح أنت أيضاً.

**وتأخذ قصيدة بريخت شكل التراتيل الدينية التي يتلوها القِسّ والمؤمنون، وقرار الترتيل هو أبيات جُوْته التي أبدل فيها بريخت إبدالاً طفيفاً بقصد المفارقة مع الاحتفاظ بالقافية كما هي.**

**وقد اتبعنا في الترجمة نص طبعه زوركامب التي راجعها بريخت بنفسه وصدرت عام ١٩٦٠ وفيها أجرى بعض التعديلات على النصوص السابقة.**

**فمثلاً كان السطر ٢٤ يبدأ بكلمة: «حسناً! الآن...» فغيره إلى «والآن...». وكان الرجال في البيت ٣١ رجلاً حمراً فاستبدلهم «بزمرة رجال» وبالتالي تغير البيت ٣٤ من «ثم لم يعد الرجال الحمر يقولون شيئاً إلى الصيغة الحالية التي تحذف صفة الحمر التي أصبح بريخت بالغ الحساسية تجاهها في أشعاره المبكرة.**

**أما الدب في الأبيات ٣٧ و٣٨ فكان في البداية طيراً جارحاً**

. ٢
لم يعد لديها خبز تأكله

. ٣
فالخبز قد التهمه الجيش

. ٤
فسقطت في الحفرة ، التي كانت باردة

. ٥
وهكذا لم تعد جائعة .

. ٦
عند ذلك صمتت الطيور في الغابة
سكون فوق كل الغصون
فوق كل التلال لا تكاد تحس
نفساً واحداً .

. ٧
ثم كان أن مر طبيب الوفيات

. ٨
قال : العجوز تصر على تحرير شهادتها

. ٩
ثم دفنوا العجوز الجائعة

---

ضخماً ثم أصبح عام ١٩٢٧ دباً أحمر كبيراً جاء من البعيد . أما في النص الأخير فقد أصبح يشير إلى الثورة الشيوعية .

ويعتقد بعض الدارسين أن الطيور تشير إلى زملاء بريخت الشعراء .

وقد لحن آيزلر القصيدة ليغنيها الكورس .

.١٠
وهكذا لم تعد تقول شيئاً

.١١
الطبيب فقط ظل يضحك من العجوز.

.١٢
الطيور أيضاً صمتت في الغابة
سكون فوق كل الغصون
فوق كل التلال لا تكاد تحس
نفساً واحداً.

.١٣
ثم كان أن مر رجل وحيد

.١٤
ليس لديه أي حس بالنظام

.١٥
لعب الفأر في عبّه

.١٦
وكان يكنّ للعجوز بعض الود

.١٧
قال، يجب أن يجد الإنسان ما يأكله، أليس كذلك

.١٨
عند ذلك صمتت الطيور في الغابة
سكون فوق كل الغصون
فوق كل التلال لا تكاد تحس

نفساً واحداً .

١٩ .

وفجأة مر ضابط بوليس

٢٠ .

كان يحمل هراوته المطاط

٢١ .

إنهال على رأس الرجل ضرباً حتى أسال يافوخه

٢٢ .

وعندئذ لم يعد ذلك الرجل يقول شيئاً

٢٣ .

لكن الضابط قال ، ورن الصدى :

٢٤ .

والآن لتصمت كل الطيور في الغابة
ليكن سكون فوق كل الغصون
فوق كل التلال لا تكاد تحس
نفساً واحد .

٢٥ .

ثم كان أن مر ثلاثة رجال ملتحين

٢٦ .

قالوا ، ليس هذا شأن رجل بمفرده .

٢٧ .

وظلوا يرددون ذلك ، حتى دوت الطلقات

.٢٨
لكن عندئذ اخترقت الديدان لحمهم حتى العظم

.٢٩
ثم لم يعد الرجال الملتحون يقولون شيئاً .

.٣٠
عند ذلك صمتت الطيور في الغابة
سكون فوق كل الغصون
فوق كل التلال لا تكاد تحس
نفساً واحداً .

.٣١
وفجأة مرت زمرة رجال

.٣٢
أرادوا أن يتكلموا مع الجنود

.٣٣
لكن الجنود تكلموا بالرشاشات

.٣٤
ثم لم يعد كل الرجال يقولون شيئاً .

.٣٥
لكن ما زال فوق جباههم تقطيبة .

.٣٦
عند ذلك صمتت الطيور في الغابة
سكون فوق كل الغصون
فوق كل التلال لا تكاد تحس

نفساً واحداً.

.٣٧

ثم كان أن مر دب أحمر كبير

.٣٨

لا يعرف شيئاً عن العادات المحلية، التي لا يحتاجها دب

.٣٩

لم يكن إبن الأمس، ولم تخدعه الحيل الرخيصه

.٤٠

التهم الطيور في الغابة.

.٤١

ولم تعد الطيور صامتة
ضجيج فوق كل الغصون
فوق كل التلال تحس
الآن نفساً.

# III

# تأثير المدن

# ١٩٢٥ ـ ١٩٢٨

## عن ب . ب . المسكين *

١.

أنا ، برتولت بريخت ، أتيت من الغابات السوداء .
حملتني أمي إلى المدن
وأنا في بطنها . وبرودة الغابات
ستلازمني حتى يوم مماتي .

---

* المسودة الأصلية لهذه القصيدة تحمل تاريخ «٢٦-٤-١٩٢٢ . ٩:٣٠ مساء . في قطار سريع» مما يوحي بأنها كتبت أثناء رحلة عودة بريخت إلى أوجسبورج من رحلته الأولى إلى برلين . وقد أدخل بريخت عليها تعديلات كبيرة عام ٢٤ / ١٩٢٥ . والمقاطع الوحيدة التي تتطابق ولو تقريباً مع النسخة النهائية الحالية هي المقاطع ١، ٢، ٦ والنصف الأخير من ٩ . أما بقية المسودة الأولى فيجري كما يلي :

٣.
لكنني في أسرة خشب الصنوبر أحسست دائماً بالبرد
وكان الليل هو أسوأ ما هناك .
بين الغرف العديدة التي عشت فيها
قليل منها ما جعلته مريحاً .

٤.
في الليل تعج الغابات السوداء بالضجيج
ربما تخطو الحيوانات بين الأغصان !
الصنوبرات الضخمة مشغولة جداً
واللعنة إذا تركت السماء الشاحبة المرء ينام .

[ ثم يأتي المقطع الخامس ، الذي يرد في النسخة النهائية برقم ٦ ]

٢.

مدينة الأسفلت هي موطني. منذ البداية
زودتني بكل البركات الأخيرة:
بالصحف، والتبغ، والبراندي.
فأنا مستريب وكسول، وراضٍ حتى النهاية.

---

٦.

فأحياناً أعزف على جيتاري أمام وجوه عديدة
وأجد صعوبة في فهم نفسي، وأجدني شديد الوحدة.
هم يمضغون الكلمات الخشنة. إنهم حيوانات مختلفة.
لكنني أستلقي وما زلت أحس حجراً في ظهري.

٧.

أفكر أنهم ربما حملوني إلى الورق والنساء
وأنني لن أخرج أبداً من مدينة الأسفلت
لكن، حتى لو كان ذلك، فلدي سمائي الشاحبة فوق السقوف
وفي داخلي سكون أسود وضجيج صنوبرات.

٨.

إذا شربت أو لم أشرب، فحين أرى الغابات السوداء
أصبح رجلاً صالحاً في جلدي الحقيقي، غير قابل للإيذاء
أنا، برتولت بريخت، الذي حملوني من الغابات السوداء
إلى مدن الاسفلت في بطن أمي منذ زمن طويل.

**وقد انتقل والدا بريخت من آخرن في الغابة السوداء إلى أوجسبرج قبل ميلاده بقليل. لكن من الواضح أن تغيير الغابة السوداء إلى الغابات السوداء قد قصد به تجنب التحديد الجغرافي والإشارة إلى الريف الألماني بوجه عام. وكان «الأسفلت» في ذلك الوقت تعبيراً شائعاً عن جو المدن. وفي عام ١٩٣٤، في تكريم لفويشتفانجر في عيد ميلاده الخمسين دافع بريخت عن «أدب الأسفلت» الذي كان النازيون يشجبونه بقوله: «ما عيب الاسفلت؟... القملة فقط هي التي تشجب أخاها الأكبر الأسود، الاسفلت، الشديد الصبر، والنظافة، والنفع. إننا في الحقيقة إلى جانب المدن، لكن ربما في غير حالتها الراهنة...».**

.٣
أنا ودود تجاه الناس . أضع فوق رأسي
قبعة عالية كما يفعلون .
أقول : إنهم وحوش لهم رائحة خاصة
ثم أقول : لا يهم ، فأنا مثلهم .

.٤
على مقاعدي الهزازة الخالية ، قبيل الظهيرة
أجلس أحياناً بعض النساء
أحدق فيهن بلا مبالاة وأقول :
أمامكن رجل لا يمكن الاعتماد عليه .

.٥
عند المساء أجمع حولي بعض الرجال
ونخاطب بعضنا بلقب « جنتلمان »
يضعون أقدامهم فوق طاولتي
ويقولون : ستتحسن أمورنا . فلا أسأل : متى .

.٦
قبيل الصبح ، في غبش الفجر ، تبول الصنوبرات
وتبدأ طفيلياتها ، الطيور ، في الصياح .
في تلك اللحظة أفرغ كأسي في المدينة وألقي
عقب السيجار وأسقط في نوم قلِق .

.٧
ظللنا نحيا ، جيلاً غير مبالٍ
في بيوت ظنناها تستعصي على الدمار .
( هكذا بنينا تلك العلب المستطيلة بجزيرة مانهاتن
وتلك الهوائيات النحيلة التي تسلي الأطلنطي ) .

.٨

من هذه المدن لن يتبقى سوى ما يمر خلالها : الريح !
المنزل يبهج الضيف : فيفرغه مما فيه .
نعلم أننا مجرد عابرين
وبعدنا سيأتي ما لا يستحق الذكر .

.٩

في الزلازل القادمة ، آمل
ألاّ تجعلني المرارة أدع سيجاري ينطفىء
أنا ، برتولت بريخت ، الذي حملوني من الغابات السوداء
إلى مدن الأسفلت في بطن أمي منذ زمن طويل .

## الآن ، بينما الطراز الثامن لشركة السيارات *

الآن
بينما الطراز الثامن لشركة السيارات
يرقد فعلاً فوق كوم الخردة (رحمه الله)
ما زالت عربات الفلاحين من أيام لوثر
تقف تحت السقف المكسو بالطحلب
مستعدة للسفر
وليس فيها عيب .
الآن ، وقد انقضت وزالت نينوى
ما زالت أخواتها الأثيوبيات مستعدة للانطلاق بالتأكيد .
العجلة والعربة ما زالتا جديدتين
والمحاور الخشبية صنعت لتبقى للأبد .

---

* ربما لم يراجع بريخت القصيدة إذ تبين ملاحظة لاليزابت هاوبتمان أن ترتيب الأبيات غير مؤكد رغم أن نفس الملاحظة تؤكد أن بريخت كان في وقت من الأوقات يولي هذه القصيدة أهمية كبيرة .

ما زالت
أختها الاثيوبية تقف تحت السقف المكسو بالطحلب
لكن
من يسافر بها .

بالفعل
فإن الطراز الثامن لشركة السيارات
يرقد فوق قمة الحديد الخردة
لكننا
نسافر في التاسع
وهكذا فقد استقر رأينا
على مركبات جديدة دوماً - مليئة بالعيوب
وقابلة للدمار فوراً
خفيفة ، وهشة
ولا تحصى -
لنسافر بها من الآن فصاعداً .

## عن بقايا الأوقات الماضية

القمر مثلاً ما يزال
يقف فوق المباني الجديدة في الليل
بين الأشياء المصنوعة من النحاس
هو
أقلها نفعاً . بالفعل أخذت
الأمهات تحكين القصص عن حيوانات
كانت تجر العربات ، تسمى الخيول .
حقاً ، لم تعد ترد
في أحاديث القارات ، ولا حتى أسماؤها :
حول الهوائيات الجديدة الضخمة

لا يُعرف الآن شيء
عن الأوقات الماضية.

## شيوعي المسرح*

بزهرة ياسنت في عروته
يعبر الكورفور ستندام
هذا الفتى يحس
بخواء العالم.
في دورة المياه
يتضح له الأمر: إنه
يتبرز في الخواء.

متعباً من العمل،
عمل والده،
يلوّث المقاهي
ومن وراء الصحف
يبتسم بخطورة.
إنه هو، الذي
سيسحق هذا العالم بقدمه
مثل كرة روث صغيرة.

مقابل ٣٠٠٠ مارك شهرياً
مستعد

---

* الكورفورستندام Kurfürstendamm شارع المحلات التجارية الرئيسي ومركز النشاط المسرحي في برلين (الغربية)، المقابل لبرودواي. وكان إرفين بيسكاتور هو المدير الشيوعي الذي يعمل في مسرح برلين. عمل معه بريخت بعدها عامي ٢٧ / ١٩٢٨ واستفاد بدرجة كبيرة من عمله معه.

أن يعرض بؤس الجماهير
مقابل ١٠٠ مارك يومياً
يعرض
جور العالم.

## الأم بايملين *

الأم بايملين ذات ساق خشبية
لكنها تسير بصورة طبيعية
مرتديةً حذاءً وحين نكون صغاراً طيبين
تسمح لنا برؤيتها .

في ساقها مسمار
تعلق فيه مفتاح الباب
لتجده حتى في الظلام
حين تعود إلى المنزل من البار .

حين تجوب الأم بايملين الشوارع
وتحضر معها رجلاً غريباً
تطفىء النور فور وصولها
وعندئذ فقط تفتح الباب .

---

* تشكل القصيدة ، مع عشر قصائد تالية ، مجموعة «أغنيات الأطفال» التي كان من المعتزم فيما يبدو أن تشكل القسم الثاني من المشروع الأول لقصائد سفندبورج . لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة الكلارينيت .

## في وفاة مجرم

.١
أسمع ، أنه قد قام برحلته الأخيرة .
فور أن برد جثمانه مددوه على الأرض
في ذلك 'القبو الصغير دون دَرَج'
ولم تنصلح الأمور عن ذي قبل :
أي ، أن واحداً منهم قام برحلته
تاركاً لنا آخرين عديدين .

.٢
أسمع ، إنه لم يعد يقلقنا
فتلك نهاية لعبته الصغيرة
لم يعد موجوداً ليخطط لقتلنا
لكن الصورة ، للأسف ، ما زالت كما هي .
أي ، أن واحداً لم يعد يقلقنا
تاركاً آخرين عديدين يمكن أن أسميهم .

## ثمانية الاف من الفقراء يتجمعون خارج المدينة*

'أكثر من ٨٠٠٠ عامل منجم عاطل ، مع زوجاتهم وأطفالهم ،

---

* كتبها بريخت لصحيفة **Der Knüppel** التي كان يحررها جون هارتفيلد **John Heartfield** ، والذي يمكن أن يكون قد أعطى بريخت الصحيفة التي تحمل الخبر . وسالجوتاريان مركز تعدين يبعد ١٠٠ كيلومتر شمال شرق بودابست ، وقد ثارت هناك اضرابات في مايو ١٩٢٤ .

قال الجنرال : هنا يلتم منكم أكثر مما يجب .
وبدأ يعد على الفور .
فقلنا : كل من تراهم هنا
لم يجدوا اليوم ما يأكلون .

لم نبن لأنفسنا عشّاً
ولم نعد نغسل قمصاننا
قلنا : لا نستطيع الانتظار أكثر .
فقال الجنرال : هذا واضح .

قلنا : لا يمكن أن نموت جميعاً
فقال الجنرال : ولِـمَ لا ؟
قال الناس في المدينة ، الأمور تتطور هناك
حين سمعوا الطلقة الأولى .

## أسطورة الجندي المجهول تحت قوس النصر *

. ١

أتينا من الجبال ومن البحار السبعة
لنقتله .
نصبنا له الشراك ، التي تمتد
من موسكو إلى مدينة مرسيليا .
ونصبنا مدفعاً لنبلغه
في أية نقطة قد يفر إليها
لو رآنا .

. ٢

اجتمعنا سويا أربع سنوات

---

* قوس النصر هو بالطبع قوس النصر في باريس .

تركنا أعمالنا وجلسنا
في المدن المنهارة ، ننادي بعضنا
بعديد من اللغات ، من الجبال إلى البحار السبعة
مبلغين عن مكانه
وفي السنة الرابعة قتلناه .

٣ .
كانوا حاضرين :
أولئك الذين ولد ليراهم
يحيطونه ساعة موته :
جميعنا
وكذلك
كانت حاضرة إمرأة ، كانت قد أنجبته
ولم تقل شيئاً حين اقتدناه .
ليُنتَزَع رحمها !
آمين !

٤ .
لكن بعد أن قتلناه
عالجناه بحيث يضيع وجهه
تحت علامات قبضاتنا .
هكذا حلنا دون تبين ملامحه
لئلا يصبح إبناً لأحد .

٥ .
وأخرجناه من تحت الصلب
وحملناه إلى مدينتنا
ودفناه تحت الصخر ، تحت قوس يسمى
قوس النصر

يزن ألف طن ، لكي لا ينهض
الجندي المجهول
تحت أي ظرف ، يوم القيامة
ويخطو أمام الرب
دون ملامح
رغم أنه في الضوء مرة أخرى
ويشير بإصبعه ، فيكشفنا ،
نحن من يمكن التعرف علينا ،
للعدالة .

## فحم من أجل مايك *

١ .
سمعت أنه في أوهايو
في بداية هذا القرن
كانت تعيش في بيدويل في الفاقة إمرأة
هي ماري ماكوي ، أرملة عامل سكّة حديد
اسمه مايك ماكوي .

٢ .
لكن كل ليلة ، من القطارات الراعدة للهويلينج ريلرود

* تذكر ملاحظة لبريخت أن هذه القصة ، واردة في كتاب شيروود أندرسون الرائع «الأبيض الفقير» . وفيه يستقر البطل (الأبيض الفقير) في منزل السيدة ماكوي الذي يواجه بابه الخلفي سكك حديد الهويلينج ريلرود قرب بيدويل ، بأوهايو . ويتذكر عمال السكة الحديد 'زميلهم السابق مايك ماكوي ، ويريدون أن يكونوا طيبين مع أرملته' وهكذا 'في الليل ، حين تدوي القطارات المحملة بالفحم مارة بالكوخ ، يطوح العطشجية بالجاروف حفنات كبيرة من الفحم فوق السور الخشبي ويصيحون 'هذا من أجل مايك'. وقد لحنها آيزلر ليغنيها كورس رجال .

تنتج من كونها لغة
قوم آفلين .
وعدم فهمنا لها
ينتج من حقيقة أن فهمها
لم تعد له أدنى فائدة .
فما جدوى إخبار الموتى
كيف كان يمكن العيش
بطريقة أفضل . لا تحاول إقناع
الرجل الذي مات وتيبّس
بأن يفهم العالم .
لا تتشاجر
مع الرجل الذي خلفه
يقف البستانيون منتظرين
بل كن صبوراً .

ذات يوم أردت
أن أحكي لكم بدهاء
قصة مضارب بالقمح في مدينة
شيكاجو . وفي وسط الكلام
خذلني صوتي فجأة
فقد وعيت بغتة
قدر الجهد
الذي يكلفني إياه أن أحكي
تلك القصة لمن لم يولدوا بعد
لكن الذين سيولدون ويحيون
في عصور تختلف تماماً عن عصرنا

---

= بتاريخ ١١سبتمبر ١٩٢١ . أما قصة المضارب بالقمح فهي المسرحية التي لم تكتمل « جو ب . فليشهاكر من شيكاجو ».

ويا لهم من محظوظين ، فإنهم ببساطة لن يستطيعوا إدراك
ما يعنيه مضارب بالقمح
من النوع الذي نعرفه .

هكذا بدأت أشرح لهم . وفي ذهني
سمعتني أتحدث سبع سنوات
لكنني لم أتلق
سوى هز صامت للرؤوس من جميع
مستمعيّ الذين لم يولدوا بعد .
حينها عرفت أنني
أحكي لهم عن شيء
لا يستطيع فهمه إنسان

قالوا لي : كان يجب أن تغيروا
منازلكم أو طعامكم
أو أنفسكم . أخبرنا ، لماذا لم يكن لديكم
مسوّدة ، ولو كانت
في كتب العصور السابقة ـ
مسودة للإنسان ، سواء مرسومة
أو مشروحة ، إذ يبدو لنا
أن دافعكم كان وضيعاً
وكذلك من السهل جداً تغييره . كل شخص تقريباً
كان بإمكانه أن يرى أنه خطأ ، وغير إنساني ، واستثنائي .
ألم يكن هناك مثل هذا
النموذج القديم البسيط لتهتدوا به
في فوضاكم ؟

قلت : وُجدتْ مثل هذه النموذج
لكن كانت تتقاطع فوقها

خمس مرات علامات جديدة ، ومستعصية على التفسير
تغيرت المسودة خمس مرات لتناسب
صورتنا المتدهورة ، حتى ان
أسلافنا ، في تلك التقارير
لم يشبهوا سوانا .
عند ذلك فقدوا حماسهم وصرفوني
بالاعتذارات غير المبالية
لقوم سعداء .

## أغنية الالات

. ١
هاللو ، نريد أن نتحدث مع أميركا
عبر المحيط الأطلنطي مع المدن العظيمة
لأميركا ، هاللو !
تساءلنا أية لغة نتحدث
حتى نتأكد أنهم
يفهموننا
لكننا الآن جمعنا مغنينا
المفهومين هنا وفي أميركا
وفي كل مكان من العالم .
هاللو ، أنصتوا إلى مغنينا يغنون ، نجومنا السوداء
هاللو ، انظروا من يغني لنا . . .

الآلات تغني

. ٢
هاللو ، ها هم مغنونا ، نجومنا السوداء
لا يغنون بعذوبة ، لكنهم يغنون أثناء العمل
بينما يصنعون لكم الضوء يغنون

بينما يصنعون الملابس ، والصحف ، وأنابيب المياه
والسكك الحديدية والمصابيح ، والمواقد والأسطوانات
يغنون .
هاللو ، الآن وأنتم جميعاً هنا ، غنوا مرة أخرى
عددكم القليل عبر المحيط الأطلنطي
بصوتكم الذي يفهمه الجميع .

الآلات تكرر أغنيتها

هذه ليست الريح بين أشجار الاسفندان ، يا فتى
ولا أغنية للقمر الوحيد
إنها الزئير الوحشي لعنائنا اليومي
نلعنها ونعدها نعمة
فهي صوت مدننا
إنها أغنيتنا الأثيرة
إنها اللغة التي نفهمها جميعاً
وسرعان ما ستصبح لغة العالم الأم .

## أعلم أنكم جميعاً تريدونني أن أرحل *

أعلم أنكم جميعاً تريدونني أن أرحل
أرى أنني آكل الكثير بالنسبة لكم
أدرك أن ما من طريقة لديكم للتعامل مع أمثالي
حسناً ، لن أرحل .

أخبرتكم جميعاً بوضوح
أن تسلموا ما لديكم من لحم
تَتَـبَّعْتكم
وأوضحت لكم أن عليكم أن ترحلوا

---

* المتحدث هو صوت بروليتاري .

تعلمت لغتكم لهذا الغرض
وأخيراً
أدرك الجميع
لكن في اليوم التالي لم يكن هناك لحم.

جلست وانتظرت يوماً آخر
لأمنحكم الفرصة لتجيئوا
وتقوّموا أنفسكم.

حين أعود
تحت قمر أقسى، يا أصدقائي
سأعود في دبابة
وأتحدث من خلال بندقية
وأمحوكم.

حيثما تمر دبابتي
يكون شارع
ما تقول بندقيتي
هو رأيي
ومن بين الجميع
لن أُبقي سوى على أخي
لكنني سألكمه في فمه.

## ثلاثمائة من الحمالين القتلى يبلغون الأممية

تقول برقية من لندن: وإن ٣٠٠ من الحمالين، الذين أسرهم الجيش الأبيض الصيني وكان من المفروض أن ينقلوا إلى بينج تشوين في عربات سكك حديد مكشوفة، ماتوا من البرد والجوع خلال الرحلة'.

.١
كنا نود لو بقينا في قرانا

لدقيقتين كاملتين ، توقف العمل تماماً
ببساطة لتكريم
الجندي المجهول الميت .

ورغم ذلك
فربما وجب إصدار التعليمات
أخيراً لاحتفال لتكريم
العامل المجهول
في المدن الكبرى فوق القارات المزدحمة .
رجل ما من بين زحام المرور
وجهه لم يلحظه أحد
شخصيته الغامضة جرى تجاهلها
إسمه لم يسمع بوضوح أبداً
مثل هذا الرجل
لصالحنا جميعاً
يجب أن يخلد باحتفال ضخم
وبتكريم مذاع
'إلى العامل المجهول'
وكذلك
بتوقف العمل من كل البشرية
فوق الكوكب بأسره .

## الليلة الطيبة *

جرى ميلاده في برد شديد
لكنه كان مُرضياً على كل حال .
الأسطبل الذي وجدوه ، كان دافئاً

---

* آخر قصائد عيد الميلاد الثلاث التي كتبها بريخت .

رغم كل شيء، والطحلب يغطي الجدار
وعلى الباب مكتوب بالطباشير
أن هذا الأسطبل مؤجر ومدفوع الإيجار.
كذلك كانت الليلة طيبة رغم كل شيء
واتضح أن القش أدفأ مما حسبوه.
الثور والأتان كانا هناك ليريا
أن كل شيء على ما يرام.
مِذودهما شكّل مائدة، غير عريضة
وأحضر سائس للزوجين سمكة.
كانت السمكة ممتازة، ولم ينقص أحداً شيء
وداعبت مريم زوجها على اضطرابه.
ذلك المساء، سكنت الريح أيضاً
وصارت كذلك أقل برودة من المعتاد.
وفي الليل صار الجو أقرب للحرارة
وكان الأسطبل مريحاً والطفل مليحاً.
حقاً لم يكن ممكناً أن يطلبا أكثر من ذلك
وحين ظهر الملوك الثلاثة بأشخاصهم عند الباب
كان كلّ من مريم ويوسف مسرورين بالتأكيد.

## عشر قصائد من كتاب لمن يعيشون في المدن

### ١

إفترق عن أصدقائك في المحطة
إدخل المدينة في الصباح ومعطفك مزرر حتى آخره
إبحث عن غرفة، وحين يطرق صديقك الباب:
إياك، آه إياك أن تفتح الباب
بل
أخف آثارك.

إذا قابلت والديك في هامبورج أو أي مكان آخر
تَخَطَّهُمَا كغرباء، دُر عند المنعطف، لا تتعرف إليهما
إجذب القبعة التي أعطياك فوق وجهك،
وإياك، آه إياك أن تظهر وجهك
بل
أخف آثارك.

كُلْ ما يوجد من اللحم. لا تقتر على نفسك.
أدخل أي منزل حين تمطر وأجلس على أي كرسي تجده
لكن لا تجلس طويلاً. ولا تنس قبعتك.
أقول لك:
أخف آثارك.

مهما كان ما تقول، لا تقله مرتين
إذا صادفت أفكارك في أي شخص آخر، أنكرها.
الرجل الذي لم يوقّع شيئاً، الذي لم يترك صورة
الذي لم يكن هناك، الذي لم يقل شيئاً:
كيف يمكن أن يمسكوا به؟
أخف آثارك.

تأكد حين تفكر في الموت
ألا يقام شاهد قبر ويفضح مثواك
بنقش واضح يكشفك
ويكشف عام وفاتك ويخونك.
مرة أخرى:
أخف آثارك
(هذا ما علموني).

٢

نحن معك ساعة أن تدرك

أنك العجلة الخامسة
ويفارقك الرجاء .
لكننا
لا ندرك ذلك بعد .

نلاحظ
أنك تدير النقاش أسرع
بحثاً عن الكلمة التي تجعلك
تنصرف
فمن صفاتك
ألا تلفت الانتباه .

تنهض في منتصف الجملة
وتقول بعجلة أنك تريد الانصراف
نقول : إبق ! وندرك
أنك العجلة الخامسة .
لكنك تجلس .

هكذا تظل تجلس معنا ساعة
أن ندرك أنك العجلة الخامسة
لكنك
لا تعود تدرك ذلك .

ينبغي أن يقال لك : أنك
العجلة الخامسة
لا تظن أنني الذي أقول لك ذلك
شرير
لا تتناول ساطوراً ، بل
كوب ماء .

أعرف أنك لم تعد تسمع

المدن مسموح لها بأن تتغير
لكن ليس مسموحاً لك بأن تتغير .
سنجادل الصخر
لكن أنت سنقتلك
فلا يجب أن تعيش .
ومهما كانت الأكاذيب التي نُجبر على تصديقها
فأنك لم يكن يجب أن توجد .

( هكذا نخاطب آباءنا ) .

٤

أعرف ما أحتاجه .
يكفي أن أنظر في المرآة
لأرى أنني يجب
أن أنام أكثر ؛ فالرجل
الذي بداخلي يرهقني .

إذا سمعت نفسي أغني ، أقول :
أنا مَـرِحٌ اليوم ؛ وهذا مفيد
للسحنة .

أجتهد أن أبقى
نضراً وصلباً ، لكنني
لن أرهق نفسي ؛ فذلك
يسبب التجاعيد .

ليس لدي ما أمنحه ، لكنني
أدبر أموري .
آكل بعناية ؛ أعيش

بمهل ؛ أنا
مع الاعتدال .
( هكذا رأيت الناس يرهقون أنفسهم ) .

**٥**

أنا قذارة . لا يمكن
أن يصدر عني سوى
الضعف ، والنذالة ، والانحطاط
ثم ألاحظ يوماً
أن الأمور تتحسن ؛ الريح
تملأ شراعي ؛ آن أواني ، ويمكنني
أن أصبح أفضل من قذارة ـ
بدأت على الفور .

لأنني كنت قذارة لاحظت
أنني حين أسكر أستلقي
ببساطة دون أدنى فكرة
عمن يعبث بي ، والآن لم أعد أشرب ـ
امتنعت على الفور .

لسوء الحظ
كان عليّ أن أفعل الكثير مما يضرني
لمجرد أن أبقى حية ؛
التهمت سموماً تكفي
لقتل أربعة خيول ، لكن
ماذا كان يمكن أن أفعل
لأبقى حية ؟ هكذا استنشقت الثلج أحياناً

حتى صرت أشبه
ملاءة سرير رقيقة .
ثم رأيت نفسي في المرآة -
وأوقفت ذلك على الفور .

بالطبع حاولوا أن يعدوني
بالزهري ، لكنهم
لم يتمكنوا من ذلك ؛ كل ما استطاعوه هو أن
يسمموني بالزرنيخ : وفي جانبي
أنابيب
يسيل منها القيح ليل نهار .
من كان يظن أن امرأة مثلي
يمكن أن يجن بها الرجال مرة أخرى ؟-
بدأت ثانيةً على الفور .

لم أصطحب أبداً رجلاً لم يصنع
شيئاً من أجلي ، ونلت كل رجل
احتجته . لكنني الآن
لا أكاد أحس ، أكاد أنضب
لكنني
بدأت في الامتلاء من جديد ، لي طفرات وعثرات ، لكن
طفراتي أكثر على العموم .

لا زلت ألاحظ أنني أدعو عدوتي
بقرة عجوزاً ، وأعرف فيها عدوتي
لأن رجلاً ينظر إليها .
لكن خلال عام
تغلبت على ذلك -
وقد بدأت فعلاً .

أنا قذارة ؛ لكن كل شيء
يجب أن يخدم هدفي ، فأنا
أطفر ، أنا
حتمية ، جنس المستقبل
الذي سرعان ما لا يصبح قذارة ، بل
الإسمنت الصلب الذي به
تبنى المدن .

( هذا شيء سمعت امرأة تقوله ) .

٦

خطا عبر الشارع وقبعته مزاحة إلى الخلف !
نظر إلى كل رجل في عينيه وأومأ
توقف أمام كل واجهة محل
( والجميع يعرفون أنه ضائع ) .

لا بد أنك سمعته يشرح كيف أنه ما زال
لديه كلمة أو اثنتان يقولها لعدوه
إن لهجة صاحب المنزل لم تعجبه
إن الشارع لم ينظف كما يجب
( وأصحابه قد تخلوا عنه فعلاً ) .

رغم ذلك ما زال ينوي أن يبني منزلاً
رغم ذلك ما زال ينوي أن ينام فيه
رغم ذلك ما زال ينوي ألا يتعجل القرار
( آه ، إنه ضائع فعلاً ، وليس وراءه شيء ) .

( هذا شيء سمعت الناس يقولونه قبل الآن ) .

## ٧

لا تتحدث عن الخطر !
فلا يمكنك أن تمر بدبابة خلال قضبان طاقة :
سيكون عليك أن تترجل .
الأفضل أن تترك موقدك النقال
فعليك أن تتأكد أنك أنت نفسك ستفلت .

بالطبع تحتاج إلى نقود
لا أسألك من أين تأتي بها
لكن لا تفكر في الذهاب ما لم تملك نقوداً .
ولا يمكنك البقاء هنا ، يا رجل .
فهنا يعرفونك .
إذا كنت قد فهمتك جيداً
فأنت تريد أن تأكل بعض شرائح اللحم
قبل أن تتخلى عن السباق .

إترك المرأة حيث هي .
فلها ذراعان
وفوق ذلك ساقان
( لم يعودا ، يا سيدي ، من شأنك ) .
تأكد أنك أنت نفسك ستفلت .

إذا كان ما زال لديك ما تقوله
قله لي ، وسأنساه .
لم تعد بحاجة إلى الحفاظ على المظاهر :
فلم يعد هناك من يراقبك .
إذا أفلتت
ستكون قد فعلت أكثر
مما يجب على أي شخص .

( لا داعي لشكري ) .

٨

تخلوا عن حلمكم بأنهم سيصنعون
استثناءً في حالتكم .
فما قالته لكم أمهاتكم
لا يلزم أحداً .

أبقوا عقودكم في جيوبكم
فلن تحترم هنا .

تخلوا عن آمالكم بأن من المقدور لكم جميعاً
أن تنتهوا كرؤساء .
واصلوا عملكم .
ستحتاجون إلى استجماع رباطة جأشكم
إذا أردتم أن يتحملوكم في المطبخ .

ما زال عليكم أن تتعلموا الألف باء .
الألف باء تقول :
إنهم سينالونكم .
لا تفكروا فيما يجب قوله :
فلن تُسألوا .
هناك الكثير من الأفواه للوجبة
وما ينقص هنا هو اللحم المفروم .

( لكن لا يثبّطَنَّ ذلك أحداً ) .

٩

**أربع دعوات لرجل في أوقات مختلفة من جهات مختلفة**

ثمة بيت لك هنا

هناك متسع لحاجياتك
غير وضع الأثاث بما يناسبك
قل لنا ما تحتاجه
هاك المفتاح
إبق هنا .

هناك بهو لنا جميعاً
ولك غرفة بسرير
يمكنك أن تعمل معنا في الفناء
ولك طبقك الخاص
إبق معنا .

هنا مكان نومك
الملاءات ما زالت نظيفة
لم تستخدم سوى مرة واحدة .
إذا كنت مدققاً
فاشطف ملعقتك الرصاصية في ذلك الدلو
وستكون كالجديدة
نرحب ببقائك معنا .

ها هي الغرفة
أسرع ، ويمكنك أيضاً
أن تقضي الليلة ، لكن ذلك يكلف مبلغاً إضافياً .
لن أزعجك
وبالمناسبة ، فلست مريضة .
ستكون مرتاحاً هنا مثل أي مكان آخر
لذا يمكنك أيضاً أن تبقى

## ١٠

حين أخاطبك

ببرود وبعمومية
مستخدماً أكثر الكلمات جفافاً
دون النظر إليك
(يبدو أنني أخفق في إدراك
طبيعتك وصعوبتك الخاصة)

لكنني أتحدث فقط
مثل الواقع عينه
(ذلك الواقع الرزين، الذي لا يمكن أن ترشوه طبيعتك الخاصة
والذي ملّ صعوبتك)
والذي حسب رأيي لا يبدو أنك تدركه.

## أغنية رجل في سان فرنسيسكو

ذات يوم ذهبوا جميعاً إلى كاليفورنيا
قالت الصحف أن هناك بترولاً.
وأنا أيضاً
ذهبت إلى كاليفورنيا.
قدمت لأقضي عامين.
وبقيت زوجتي في مكان في الشرق.
مزرعتي لم يمكن رعايتها
لكنني انتقلت إلى مدينة في الغرب
ونمت المدينة حين جئت إليها.
لم أجد بترولاً
فعملت في تجميع السيّارات وفكرت:
المدينة تنمو الآن
سأنتظر حتى يبلغ تعدادها ٣٠ ألفاً.
بين عشية وضحاها صاروا أكثر بكثير.

عشر سنوات تمضي سريعاً ، حين يبنون البيوت .
ظللت بعيداً عشر سنوات وأريد
المزيد . على الورق
لي زوجة في الشرق
وسقف فوق أرض نائية :
لكن هنا
مكان الإثارة ، والتسلية ،
والمدينة ما زالت تنمو .

## فهم

أستطيع أن أسمعك تقول :
إنه يتحدث عن أميركا
ولا يفهم شيئاً عنها
فلم يزرها أبداً .
لكن صدقني
إنك تفهمني تماماً حين أتحدث عن أميركا
فأفضل شيء في أميركا هو
أننا نفهمها .

لوحة أشورية
هي شيء تفهمه أنت وحدك
( مهنة ميتة بالطبع )
لكن ألا يجب أن نتعلم من الناس
الذين فهموا كيف
يجعلون أنفسهم مفهومين ؟
أنت ، يا سيدي العزيز
لا يفهمك أحد
لكن المرء يفهم نيويورك .

أقول لك :
هؤلاء الناس يفهمون ما يفعلون
ولذا فهم مفهومون .

## في بوتسدام 'أونتر دن آيشين'*

في بوتسدام 'أونتر دن آيشين'
ذات ظهيرة ظهر موكب
بطبلة في المقدمة وعلم في المؤخرة
وتابوت فيما بينهما .

في بوتسدام 'تحت أشجار السنديان'
في الشارع القديم المترب ـ
كان ستة رجال يحملون تابوتاً
فوقه خوذة وأوراق سنديان .

وعلى جانبيه بدهان رصاصي أحمر
كتبت كتابة
تقرأ حروفها القبيحة العبارة :
'يصلح مكاناً لحياة الأبطال' .

جرى ذلك في ذكرى
كل واحد ممن
ولدوا في الوطن
وسقطوا أمام فردان .

---

* القصيدة تحكي واقعة حقيقية لمظاهرة قامت بها جمعية المجندين السابقين الشيوعية أما 'أونتر دن آيشين' Unter don Eichen وتعني «تحت أشجار السنديان» فهو إسم شارع في بوتسدام . وقد استخدم آيزلر هذه القصيدة ليغنيها بارتيون منفرداً في سيمفونيته الألمانية .

ذات حين وقعت قلوبهم وأرواحهم
في أحبولة وطن الآباء، والآن يمنحهم
وطن الآباء تابوتاً:
يصلح مكاناً لحياة الأبطال.

هكذا ساروا عبر بوتسدام
من أجل من سقط أمام فردان.
حتى وصل البوليس الأخضر
وأشبعهم ضرباً.

## حول الربيع *

قبل زمن طويل
من انقضاضنا على البترول، والحديد، والنوشادر
كان في كل عام
وقت للازدهار العنيف الساحق للأشجار
كلنا نتذكر
النهار الممتد
السماء الأكثر صفاءً
تغير الهواء
الربيع الأكيد الحلول.
ما زلنا نقرأ في الكتب
عن هذا الفصل المحبوب
لكن منذ زمن طويل
لم يرَ أحد فوق مدننا
أسراب الطيور الشهيرة.

---

* لحنها هيندميث **Hindemith** ليغنيها كورال من الرجال. كما لحنها كارل أورف **Carl Orff** ليغنيها كورال مختلط بمصاحبة ثلاث بيانوهات وأدوات إيقاع.

الربيع يُلاحظ، إن حدث
من قبل الجالسين في القطارات.
فالسهول تُظهره
في وضوحه القديم.
في الأعالي، حقيقة
يبدو أن هناك عواصف:
كل ما تلمسه الآن
هو هوائياتنا.

# IV

# قصائد سنوات الأزمة
# ١٩٢٩ ـ ١٩٢٢

## الشهرة المأسوف عليها لمدينة نيويورك العملاقة

. ١

من ذا الذي ما زال يتذكر
شهرة مدينة نيويورك العملاقة
في العقد التالي للحرب العالمية ؟

. ٢

كم كانت أميركا في تلك الأيام بوتقة يتغنى بها الشعراء !
بلد الرب ذاتها !
تستحضرها مجرد الأحرف الأولى لإسمها :
**U.S. A**
كصديق طفولة فريد يعرفه الجميع .

. ٣

كان يقال ، إن هذه البوتقة التي لا تكل
تتلقى كل ما يسقط فيها لتحوله
خلال أربعة أسابيع إلى شيء مميز .
كل الأجناس التي رست على هذه القارة الممتعة
تخلت بلهفة عن نفسها ونسيت أعمق خصائصها
كعادات سيئة
لكي تصبح
بأسرع ما يمكن مثل من كانوا على راحتهم تماماً هناك .
كانوا يستقبلونها بكرم لا مبال كما لو كانت مختلفة تماماً
( لا تفترق سوى بإختلاف أوضاعها البائسة ) .

وكخميرة جيدة لم يكونوا يخشون

كتلة عجين، مهما كبرت: إذ يعرفون
أنهم سيتخللون كل شيء.
يا لها من شهرة! يا له من قرن!

٤.
آه، يا لأصوات نسائهم تلك التي تنبعث من الجراموفونات!
هكذا كانوا يغنون (حافظوا على تلك الأسطوانات!) في العصر الذهبي.
هارمونية مياه الأصيل في ميامي!
البهجة العارمة للأجيال التي تندفع فوق طريق بلا نهاية!
النواح القوي لنساء تغنين، تبكين بحرقة
رجالاً عريضي المناكب، بينما يحيطهن أبداً
رجال عريضو المناكب!

٥.
ملأوا حدائق بأكملها بفصائل نادرة من البشر
أطعموهم علمياً، وغسلوهم، ووزنوهم
لتخلد حركاتهم الفريدة في صور
لكل من يأتون بعدهم.

٦.
شيدوا مبانيهم العملاقة بتبديد لا يقارن
لأفضل مادة بشرية. وعلناً، أمام العالم بأسره
اعتصروا من عمالهم كل طاقتهم
وأطلقوا البنادق في مناجم الفحم وألقوا عظامهم المستهلكة
وعضلاتهم المستنفذة في الشوارع
وهم يضحكون بمزاج رائق.
لكنهم نقلوا بروح رياضية
نفس العناد الصلب للعمال المضربين
بمبالغة هوميرية.

.٧

الفقر هناك كان يُعدّ جديراً بالازدراء.
وفي أفلام هذه الأمة المباركة
كان الرجال الباحثون عن حظهم، يقتلون أنفسهم على الفور
لدى رؤيتهم منازل الفقراء
(التي تضم بيانوهات وأرائك جلدية).

.٨

يا لها من شهرة! يا له من قرن!
آه، نحن أيضاً كنا نطلب هذه المعاطف الواسعة من مادة خشنة
بالأكتاف المبطنة التي تجعل الرجال عريضي المناكب
حتى أن ثلاثة منهم يملأون الطوار بأكمله.
نحن أيضاً كنا نسعى لكبح حركاتنا
ونحشر أيدينا ببطء في جيوبنا وننتزع أنفسنا ببطء
من المقاعد التي نتكىء فيها (كما لو كان إلى الأبد)
مثل نظام حكم كامل ينقلب
وكنا أيضاً نحشو أفواهنا باللبان (بيتشنت)
الذي يفترض فيه أن يُبرز الفك
ونجلس لنجتر كما لو كنا في نهم لا ينتهي.
كذلك أردنا أن نسبغ على وجوهنا ذلك الاستغلاق المرهوب
للرجل من طراز (وجه البوكر) الذي يعرض نفسه على مواطنيه
كأنه لغز مستعصٍ.
نحن أيضاً كنا نبتسم على الدوام، كما لو كنا قبل أو بعد صفقة طيبة
هي الدليل على هضم منتظم.
نحن أيضاً أحببنا أن نربت على أصحابنا (وكلهم عملاء مقبلون)
على الذراع والمؤخرة وبين الأكتاف
مختبرين كيف نضعهم في قبضتنا

بنفس الحركات المُربِّتة أو العنيفة التي نعامل بها الكلاب.
هكذا كنا نقلد هذا الجنس الشهير من البشر الذي بدا مقدراً له
أن يسود العالم بأن يساعده على التقدم.

.٩

يا للثقة! يا للإلهام!
قاعات الآلات تلك: أضخم ما في العالم!
كانت مصانع السيارات تشن حملة لزيادة المواليد:
فقد بدأوا يصنعون سيارات (للبيع بالتقسيط)
لمن لم يولدوا. وكل من كان يلقي
ملابس لم تكد تُستعمل (بحيث تتعفن
لفورها، والأفضل في الجير الحي)
كان يتلقى علاوة. وتلك الجسور
التي تربط أرضاً مزدهرة بأرضٍ مزدهرة! بلا نهاية!
أطول ما في العالم! وناطحات السحاب تلك -
الرجال الذين رفعوا أحجارها عالياً
لتحلق فوق الجميع، كانوا يراقبون بقلق من قممهم المباني
الجديدة
التي تنبثق من الأرض، وسرعان ما تحلق
فوق أحجامها الهائلة.
(بدأ البعض يتخوفون من أن نمو تلك المدن
لم يعد يمكن إيقافه، وأنها ستنتهي
بعشرين طابقاً من المدن الأخرى فوقها
وأنهم سيكدسون في توابيت تدفن
الواحد فوق الآخر).

.١٠

لكن بصرف النظر عن ذلك: يا للثقة! فحتى الموتى

أصبحنا ، في القارات الأخرى (المفلسة كذلك في الحقيقة)
نرى أشياء كثيرة بطريقة مختلفة ، ونراها أوضح ، على ما نعتقد .

. ١٦
ماذا عن ناطحات السحاب ؟
نراقبها ببرود أكثر .
يا لناطحات السحاب من جحور حقيرة حين لا تعود تدر إيجاراً !
سامقة عالياً ، يملؤها الفقر ؟ تلمس السحب ، تملؤها الديون ؟
ماذا عن القطارات ؟
في القطارات ، التي تشبه فنادق على عجلات ، كما يقولون
لا يعيش أحد .
ولا يسافر إلى أي مكان
بسرعة لا تقارن .
ماذا عن الجسور ؟ أطول ما في العالم ، إنها الآن تربط
كوم خردة بكوم خردة .
وماذا عن الناس ؟

. ١٧
ما زالوا يتجملون ، كما نسمع ، لكن ذلك الآن
من أجل اقتناص عمل . والفتيات في الثانية والعشرين
تستنشقن الكوكايين الآن قبل الشروع
في انتزاع مكان أمام الآلة الكاتبة .
والآباء اليائسون يحقنون أفخاذ بناتهم بالسم
ليجعلوها تبدو حمراء ملتهبة .

. ١٨
أسطوانات الجراموفون ما زالت تباع ، ليس الكثير منها بالطبع
لكن ماذا تقول لنا ، هذه الأبقار التي لم تتعلم
الغناء ؟ ما معنى
هذه الأغنيات ؟ ماذا كانوا

يغنون لنا طوال كل هذه السنوات ؟
لماذا ننفر الآن من هذه الأصوات التي كانت محبوبة ذات يوم ؟
لماذا
لم تعد صور المدن هذه تترك فينا أقل انطباع ؟
لأن الخبر قد انتشر
إن هؤلاء الناس مفلسون .

١٩ .
فآلاتهم ، كما يقال ، ترقد في أكوام ضخمة (أضخم ما في العالم)
وتصدأ
مثل آلات العالم القديم (في أكوام أصغر) .

٢٠ .
بطولات العالم ما زالت تجري أمام مشاهدين معدودين ظلوا
شاردي الذهن في أماكنهم :
وكل مرة لا تتاح لأقوى المتنافسين
أية فرصة في مواجهة القانون الغامض
الذي يسوق الناس بعيداً عن المتاجر المكتظة حتى الانفجار .

٢١ .
متشبثين بابتسامتهم (وليس غيرها الآن)، يقف أبطال العالم
المعتزلون
في طريق آخر السيارات القليلة التي ما زالت تسير .
ثلاثة من أولئك الضخام يملأون الطوار ، لكن
ماذا سيملأ بطونهم قبل المساء ؟
والبطانة لا تدفىء سوى أكتاف أولئك الذي يسرعون في صفوف لا
تنتهي
ليل نهار خلال الأخاديد الخالية لأكوام الصخور الميِّتة .
حركاتهم بطيئة ، كحركات وحوش جائعة واهنة .

ومثل نظام حكم كامل ينقلب
ينتزعون أنفسهم ببطء من البالوعات التي يبدو أنهم
يتمددون فيها إلى الأبد .
يقال إن ثقتهم
ما زالت قائمة ؛ وتقوم على الأمل
إن المطر غداً سيسقط إلى أعلى .

٢٢ .

لكن البعض ، كما نسمع ، ما زالوا يستطيعون العثور على عمل :
في تلك الأماكن
حيث تلقى حمولات عربات كاملة من القمح في المحيط
المسمى بالمحيط الباسيفيكي .
وأولئك الذين يقضون لياليهم على المقاعد ، كما نسمع ، يمكنهم
التفكير في أفكار ممنوعة تماماً وهم يرون
ناطحات السحاب الخالية تلك قبل أن يسقطوا في النوم .

٢٣ .

يا للإفلاس ! يا للشهرة العظيمة
التي انقضت ! يا للاكتشاف :
إن نظام حياتهم الاجتماعية يتكشف عن
نفس العيب البائس في حياة
أناس أكثر تواضعاً .

---

* **أهم التصحيحات الصغيرة في المسودات هو شطب البيتين الأخيرين في المقطع ٢١ ، ... وقد قبلتهما فيما بعد إليزابيت هاويتمان . ونصهما كالتالي :**
بهجتهم ، كما يقال ، لا تكبح
إذا رأوا قطعة لحم معلقة في نافذة .
**ومناسبة القصيدة هي إنهيار شارع المال «وول ستريت» الذي جرى في خريف ١٩٢٩ . وتلاه ما سمي بفترة الكساد الكبير أغلب =**

عن أنوالهم البدائية وهم يرتجفون من الحمى .
الحمى مستفحلة : محطة القطار
تمتلىء بأزيز البعوض ، سحابة كثيفة
تتصاعد من المستنقع خلف مقبرة الجِمال القديمة .
لكن القطار
الذي يجلب الماء والدخان كل أسبوعين ، يجلب
كذلك ذات يوم النبأ
بأن اليوم يقترب لتكريم الرفيق لينين .
ويقرر سكان كويان - بولاك
نساجو السجاد ، الفقراء
أن يقام في قريتهم أيضاً
تمثال جص نصفي للرفيق لينين .
وحين يبدأ جمع النقود للتمثال
يقفون جميعاً
مرتجفين من الحمى ويقدمون
بأيدٍ مرتجفة كوبكاتهم التي كسبوها بمشقة .
ويرى جندي الجيش الأحمر ستيبا جماليف ، الذي
يعد النقود بعناية ويرقب بدقة ،
استعدادهم لتكريم لينين ، ويبتهج
لكنه يرى أيضاً أيديهم المرتعشة
وفجأة يقترح
استخدام نقود التمثال لشراء بترول
ليُصب فوق المستنقع خلف مقبرة الجِمال
حيث يتوالد البعوض الذي يحمل
جرثومة الحمى .
وهكذا ، بمحاربة الحمى في كويان - بولاك ،
يكرمون الرفيق لينين
المتوفى لكن

الذي لن يُنسى أبداً .

قرروا أن يفعلوا ذلك . ويوم الاحتفال حملوا
دلاءهم البالية مملوءة بالبترول الأسود
واحداً بعد الآخر
وصبوها فوق المستنقع .

هكذا ساعدوا أنفسهم بتكريم لينين ،
وكرموه بمساعدة أنفسهم ، وهكذا
فهموه جيداً .

. ٢
وقد بلغنا كيف كرّم سكان كويان ـ بولاك
لينين . ففي أمسية
شراء البترول وصبه فوق المستنقع
نهض رجل في الاجتماع ، طالباً
وضع لوحة في محطة القطار
تسجل هذه الأحداث وتتضمن كذلك
تفاصيل دقيقة عن خطتهم المتغيرة ، واستبدال
تمثال لينين النصفي ببرميل من البترول القاتل للحمى .
كل ذلك تكريماً للينين .
وفعلوا ذلك أيضاً
ووضعوا اللوحة .

## شاهد قبر ، ١٩١٩ *

الآن اختفت روزا الحمراء هي الأخرى
مثواها لا تراه العيون .

---

* موضوع القصيدة هو روزا لوكسمبورج ، التي قتلت هي وكارل ليبنخت على أيدي ضباط الفرايكوربز Freikarps ( القوات =

أغنيته صمدت لأطول وقت
لكن كم ستصمد أكثر ؟

هاكم ، بثمن عشر سيجارات
يمكنكم قراءته مرة أخرى
( وهكذا تعرفون رأيه فيكم... )

أين يمكنكم نيل المرارة لقاء ثلاثة ماركات ؟
ليأخذ كل واحد ما يحتاجه
أنا نفسي أخذت شيئاً لي...

## هدهدات*

**I.**

حين أنجبتك يوم كان اخوتك يصرخون
طلباً للحساء ، وليس لدينا منه شيء .
حين أنجبتك وجدت العالم قليل الضوء
لأننا لم نستطع دفع نقود الغاز .

حين كنت أحملك في أحشائي
كثيراً ما تحدثت عنك مع والدك
لكننا لم نستطع دفع ثمن زيارة للطبيب ؛
فالطعام يكلفنا كل ما نملك .

حين حملت بك كنا قد طرحنا كل أمل
في الحصول على العمل أو الخبز .
ولم نستطع ، نحن العمال ، أن نرى أمامنا

---

* **تحمل هذه القصيدة كذلك عنوان « هدهدات أم ألمانية » أو « أم بروليتارية » . ويرد في ملاحظة لبريخت أن هذه الهدهدات كانت تغنى في العديد من المناسبات في المنفى وكانت تغنيها هيلينه فايجل . وقد لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو .**

فرصة للحياة سوى في كارل ماركس ولينين .

.II

حين كنت أحملك في أحشائي
لم يكن ثمة أمل في أي مكان
وكنت دائماً أقول : إنه لعالم شرير
ذلك الذي ينتظر من أحمله .

وقررت أن أعمل
على ألاّ يضل الطريق .
فمن أحمله لا بد أن يساعد
على أن يصبح العالم أفضل يوماً ما .

وحين مررت بالجبال المليئة بالفحم تحيطه الأسوار
قلت : هذا حسن .
من أحمله سيعمل على
أن يدفئه هذا الفحم ويمنحه الضوء .

وحين رأيت الخبز في الواجهات
التي يمر بها الجائعون ، قلت :
من أحمله في أحشائي
سيعمل على أن يأكل هذا الخبز .

ثم جاءوا واقتادوا والده
وقتلوه في الحرب .
فقلت : من أحمله سيعمل على
ألاّ يعودوا يقتادون أحداً .

بينما كنت أحملك في أحشائي
كنت دائماً أقول برقة :
أنت يا من في بطني

هو كوم القمامة، وقد احتله غيرك.

يا بني، يجب أن تنصت لأمك حين تخبرك
أن الحياة التي تنتظرك ستكون أسوأ من وباء.
لكن لا تظن أنني أتيت بك إلى العالم بكل هذا العناء
لتخضع له وبوداعة تطلب المزيد.

ما لا تملك، لا تتخلى عنه أبداً
وما لا يعطونك؛ انتزعه واحفظه.
فأنا، أمك، لم ألدك وأطعمك
لأراك تزحف ذات ليلة لتنام تحت الجسر.

لا أقول أنك جبلت من معدن خاص؛
ولا أستطيع أن أمنحك نقوداً، أو أركع بجوارك وأصلي؛
لكنني آمل - وليس لي من رجاء سواك -
ألا تراقب أسواق العمل وهي تقتطع حياتك تدريجياً.

حين أتمدد بالليل وأحدق مؤرقة
أستدير دائماً وأمسك بيدك.
كيف أجعلك ترى الصدق خلال أكاذيبهم؟
وأنا أعرف أنك معدود في حروب قد خططوها.

أمك، يا بني، لم تتظاهر أبداً
بأنك الابن المرموق لابنة رجل مرموق؛
لكنها كذلك لم تنشّئك بكل هذا الشقاء
لتتدلى على السلك الشائك يوماً تصرخ طالباً الماء.

فابق إذن، يا بني، ملتصقا بقومك
وهكذا تنتشر قوتك، كالتراب، إلى كل الأرجاء.
أنت، يا بني، وأنا وكل قومنا
لا بد أن نصمد معاً حتى لا تعود هناك

طبقتان متمايزتان تقتسمان كل البشرية .

## نشيد رجل العاصفة*

هدني الجوع فنمت
ومعدتي تئن .
ثم سمعتهم يصيحون في أذني
أفيقي يا ألمانيا !

هنالك رأيت العديدين يسيرون ،
قالوا : إلى الرايخ الثالث
لم يكن لديَّ ما أخسره فسرت معهم
إلى أين ، لا يهم .

بينما أسير ، سار بجانبي
شخص بدين
وحين هتفت « الخبز والعمل »
هتفت البدين أيضاً .

رئيس الأركان كان ينتعل حذاءً عالياً
بينما مضيت بقدم مبتلة
لكننا سرنا كلانا
بنفس الخطوة .

أردت السير إلى اليسار
فسار إلى اليمين .
تركته يقودني

* نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣١ تحت عنوان « نشيد بروليتاري العاصفة » . وقد لحنها آيزلر . وكانت قوات العاصفة =SA Sturm Abtellungen هي الجيش النازي الخاص وترتدي القمصان البنّية .

وتبعته مغمض العينين .

من كانوا جوعى
ساروا ضعافاً وشاحبين
سوياً مع الشبعانين
إلى ما يسمى بالرايخ الثالث .

أعطوني مسدساً
وقالوا اقتل عدونا
وحين أطلقت على عدوهم
كان المقصود أخي .

الآن أعرف : هنالك يقف أخي
الجوع هو ما يوحّدنا
وأنا أسير ، أسير
مع عدوه وعدوي .

هكذا يحتضر الآن أخي
وأنا من يذبحه
لكنني أعرف أنه لو هُزم
فسوف أضيع أنا الآخر .

## من كل أعمال الإنسان

أكثر ما أحب من كل أعمال الإنسان
هو ما يكون قد استخدم .
الآنية النحاسية بانبعاجاتها وحوافها المبططة
السكاكين والشوك التي
أبلت مقابضها الخشبية أيدٍ عديدة : هذه الأشكال
تبدو لي أنها الأكثر نبلاً . كذلك الأحجار المستوية حول المنازل
القديمة

وطئتها أقدام عديدة ، فتآكلت
ونبتت بينها قبضات من العشب : هذه
أعمال سعيدة .

مكرسة لخدمة العديدين
يجري تعديلها باستمرار ، فيتحسن شكلها ، وتصبح قيّـمة
لكثرة ما تلقى التقدير .
وحتى أجزاء النحت المكسورة
بأيديها المقطوعة ، عزيزة علــيَّ . هي الأخرى
عاشت من أجلي . أسقِطت ، لكنها حُمِلت أيضاً .
طُرحت أرضاً ، لكنها لم تكن أبداً بالغة السمو .
مرة أخرى تكتسب المباني شبه المهدمة
مظهر المباني التي تنتظر التشطيب
بتصميمها السخي : يمكن تخمين
أبعادها المتناسقة ، لكنها ما تزال بحاجة
إلى فهمنا . وفي نفس الوقت
فإنها قد خَدَمت ، وفي الحقيقة هُزِمت . كل هذا
يبهجني .

## حول طريقة إنجاز الأعمال الباقية

I

١ .
كم من الزمن
تبقى الأعمال ؟ طالما
لم تكتمل .
فطالما تتطلب الجهد
لا تفسد .

لأنها تدعو إلى المزيد من الجهد
وتكافىء المساهمة
يدوم وجودها طالما
أنها تدعو وتكافي .

الأعمال النافعة
تتطلب بشراً
والأعمال الفنية
تفسح مجالاً للفن
والأعمال الحكيمة
تتطلب الحكمة
وتلك التي قصد لها الاكتمال
تبدي عيوباً
والأعمال الخالدة
دائماً على وشك التداعي
وتلك التي خططت على نطاق ضخم فعلاً
غير مكتملة .
ما زالت لم تتم
كحائط ينتظر اللبلاب
( كان غير مكتمل ذات مرة
منذ زمن بعيد ، قبل مجيء اللبلاب ؛ كان عارياً ) .

ولأنه قصير الأجل
مثل آلة مستخدمة
ليست جيدة بما يكفي
لكنها تمنح الوعد بطراز أفضل
فلا بد لعمل صنع ليبقى
أن يُبنى مثل
آلة مليئة بالعيوب .

.٢

كذلك فالألعاب التي اخترعناها أيضاً
غير مكتملة ، على ما نأمل ؛
والأشياء التي نستخدمها في اللعب
ما قيمتها دون الخدوش التي يحدثها
ألف أصبع ، تلك المواضع التي تبدو مكسورة
والتي تولد نبل الشك ؛
كذلك الكلمات
التي يتغير معناها دائماً
بتغير متكلميها .

.٣

لا تتقدم أبداً دون الرجوع
أولاً لتتأكد من الاتجاه .
من يوجهون الأسئلة هم
من ستجيبهم ، لكن
من سيسمعونك هم
الذين سيسألونك عندئذ .

من سيتحدث ؟
ذلك الذي لم يتحدث من قبل .
من سيدخل ؟
ذلك الذي لم يدخل بعد .
أولئك الذين يبدو وضعهم تافهاً
حين ينظر المرء إليهم
هم
أقوياء الغد
من يحتاجونك
سينالون السلطة .

وبعض التجارب المورّثة في شكل كامل
تثري البشرية
لكن الثراء قد يصبح أكثر مما يجب.
فليست التجارب فقط
بل تذكرها أيضاً هو ما يجعل الإنسان يشيخ.

من ثم فالرغبة في جعل الأعمال تبقى طويلاً
لا تجد الترحيب دائماً.

## موال الموافقة على العالم

.١
لست ظالماً، لكنني لست شجاعاً:
اليوم أشاروا إلى عالمهم
فلم أرَ سوى الإصبع التي تشير وكانت دامية
وسارعت بالقول إن العالم يعجبني.

.٢
وقفت أواجه العالم، تحت هراواتهم
وقضيت النهار بطوله أنظر.
رأيت سفاحين يليقون بمهامهم
وحين سئلتُ 'أيعجبك؟' قلت 'بالتأكيد'

.٣
ومنذ تلك اللحظة أصبح رأيي المعلن
هو: جبان أفضل من ميت.
ولمجرد تجنب الوقوع في قبضتهم
ظللت أوافق على ما لا يمكن الموافقة عليه.

.٤
رأيت اليونكر* يرابي في الغلال
والناس، بخدود غائرة، يرفعون قلنسواتهم تحية له.
فصحت، يحيطني الباحثون عن الحقيقة، قائلاً:
إنها غالية بعض الشيء لكنها جيدة.

.٥
وأولئك الصناعيون: لا يحتاجون ولا يستخدمون
سوى واحد بين كل ثلاثة.
للعاطلين قلت: عليكم أن تسألوا هؤلاء
فأنا لا أفقه شيئاً في الاقتصاد.

.٦
رأيت عسكرييهم يخططون حروب النهب
مطلقي اليد بسبب جبن الآخرين.
فنزلت عن الطوار وصحت، متوقعاً الشر:
ارفعوا قبعاتكم، فالسادة عباقرة في حرفتهم.

.٧
النواب الذين يؤكدون للناخبين الجوعى
أن الأمور ستصبح أفضل من خلالهم
أدعوهم متحدثين لامعين، وأقول إنهم
لم يكذبوا، بل أخطأوا.

.٨
رأيت موظفين، مخضرين من العفن
يديرون ساقية فضلات هائلة

---

* تطلق على كبار ملاك الأراضي في ألمانيا وبولندا ـ وهم مشهورون برجعيتهم المفرطة وكان بسمارك واحداً منهم.

يدوسون ويطحنون غيرهم بأجر بالغ الضآلة
ولذا أطلب زيادة رواتبهم .

. ٩

ولا يعني هذا أن نصدم رجال الشرطة .
لهم ولرجال النيابة المهذبين
أمد منشفة لأيديهم الدامية
حتى يروا أنني لا أنكرهم هم أيضاً .

. ١٠

أما القضاة الذين يحمون الملكية
مخبئين تحت المنصة حذاءهَم الدامي
فلن أسبهم كذلك ، فهذا ممنوع
لكنني لو لم أفعل ، فلست أدري ماذا أفعل .

. ١١

أقول : هؤلاء السادة لا يمكن اغراؤهم
ـ بأي مبلغ ! ولا في أي وقت ! ـ
باحترام القانون وقول الصدق .
وأسأل : أليست هذه نزاهة .

. ١٢

هناك ، أمامي بثلاث خطوات ، أرى بعض الصعاليك
يضربون النساء والشيوخ والأطفال .
ثم ألمح أن لديهم هراوات .
الآن أعرف أنهم ليسوا صعاليك .

. ١٣

رجال الشرطة الذين يحاربون الفقر
حتى لا تغرقنا الفاقة

مضطرون للعمل بكل طاقتهم. لو حموني
من السرقة، فلهم آخر قميص لدي.

.١٤
بعد أن أثبتتُ هكذا أنني لست شريراً
آمل أن تتحققوا من ذلك
بينما أعترف الآن أنني في صف أولئك
الذين تحمل عنهم الصحف أخباراً سيئة.

.١٥
الصحفيون يخطّونها
بدم الضحايا: حتى القتلة لم يفعلوا ذلك.
أُناولكم الصفحات المطبوعة الطازجة
وأقول: لكن أسلوبهم جيد، عليكم بقراءتها.

.١٦
الشاعر يعطينا «جبله السحري» لنقرأه
ما ذكره (مقابل النقود) ذكره جيداً
وما حجبه (بلا مقابل): هو ما كان يمكن أن يكون الحقيقة.
أقول: الرجل أعمى وليس فاسداً.

.١٧
وذلك البائع الذي يقسم للمارة
أن من يفوح بالعطن هو أنا وليس السمكة!
ليس مضطراً لأكل السمك الفاسد.
أُبقي على مودتي له فقد يبيعني.

.١٨
ذلك الرجل الذي تكاد تلتهمه البثور
ويشتري فتاه بنقود مسروقه

أشد على يده بحذر ، لكن بمودة
وأشكره على سد رمقها .

. ١٩
الأطباء الذين يطردون مرضاهم الفقراء
كصيادين يطوحون إلى البحر سمكة بالغة الضآلة
لا يمكنني تجنبهم ، إذا مرضت
وأتمدد على طاولاتهم بلا حيلة .

. ٢٠
المهندسون الذين يقيمون خط الانتاج
ليسلبوا العمال طاقتهم
أمتدحهم لانتصارهم التكنيكي
لكن انتصار العقل هو ما يجعلني أبكي .

. ٢١
رأيت المعلمين ، قارعي المؤخرات البؤساء
يشكلون الطفل على صورتهم .
ويتقاضون على ذلك راتباً من الدولة .
لولا ذلك لجاعوا . لا أودّ أن يلومهم أحد .

. ٢٢
رأيت أطفالاً في الرابعة عشرة
بطول أطفال السادسة ، ويتكلمون كالعجائز .
أقول : هكذا الحياة . ورداً على السؤال الصامت :
لماذا تكون هكذا ؟ أقول : لا أدري .

. ٢٣
والأساتذة الذين يبررون بكلمات عذبة
ما يفعله سادتهم

متحدثين عن الأزمات الاقتصادية بدل جرائم القتل :
ليسوا أسوأ مما ظننت .

. ٢٤
والعلم الذي يزيد معرفتنا بإطراد
لتزيد بدورها تعاستنا
يجب أن يُعبد كالدين
الذي يزيد من جهلنا ويُعبد أيضاً .

. ٢٥
هذا يكفي . فالقساوسة على مقربة .
إنهم يحفظون خلال الحروب والمذابح
الإيمان بالحب والإحسان السماويين
وهذا سيخلدهم .

. ٢٦
رأيت عالماً يسبّح باسم الرب والربّا
سمعت الجوع يصيح : أعطوني شيئاً ! ورأيت
أصابع بدينة تشير إلى أعلى .
فقلت : انظروا ، لا بد أن هناك شيئاً .

. ٢٧
بعض الرؤوس التي تشبه مقدمة السرج ، والتي أبدعها
جورج جروس* من زمن ، مستعدة ، كما أسمع ،
أن تقطع الآن عنق البشرية .
وخطتهم تلقى موافقتي .

---

* George Grosz: رسام كاريكاتير تقدمي رسم قبل وخلال وبعد الرايخ الثالث رسوماً كاريكاتورية شهيرة تسخر من النازيين .

. ٢٨
رأيت القتلة ورأيت الضحايا
ولما كنت أفتقر إلى الشجاعة وليس التعاطف
راقبت القتلة ينتقون ضحاياهم
وصحت : أوافق من كل قلبي ! *

. ٢٩
أراهم قادمين ، أرى مواكب السفاحين
وأود أن أصرخ : « قفوا ! » ولأنني أعرف
أن الحراس يقفون ، وأيديهم فوق آذانهم ،
أسمع صوتي يهتف : « هايل** ! ».

. ٣٠
ولأنني لا أحب الوضاعة والبؤس
فإن فني يفقد الآن اندفاعه
لكن قذارة عالمكم القذر
تتضمن ـ أنا أعرف ـ موافقتي .

---

* في بعض المسودات تحمل هذه القصيدة عنوان : « نظراً لمرسوم طوارىء بجعل رفضه غير مشروع ». وهي واحدة من اكثر القصائد التي عمل فيها بريخت . وفي المسودات ٢١ بيتاً آخر لا تضمها النسخة النهائية . وأحد هذه الأبيات يشير إلى مراسيم الطوارىء التي كانت وسيلة المستشار برونج المفضلة في الحكم اعوام ١٩٣١ و ١٩٣٢ . ويشير المقطع السادس عشر إلى توماس مان Mann الذي لم يعجب به بريخت مطلقاً . وقد لحن آيزلر هذه القصيدة لتغنى بمصاحبة أوركسترا صغيرة .

** هايل ! :Hell تحية النازي .

# كورال هتلر I *

(على لحن : لنحمد الآن جميعاً ربنا )

. ١

لنحمد الآن جميعاً ربنا
لإرساله هتلر لنا ؛
من أرض ألمانيا الجميلة
ليمحو القذارة
التي صنعناها بالأساليب القديمة
البوية الجديدة زاهية
إذن فلنحمد جميعاً ربنا
أن أرسل لنا مثل هذا الرجل .

. ٢

المنزل كان بالغ القدم
تنفذ منه الريح وتقلبات الجو .
سرعان ما كنا سنضطر
لبناء منزل جديد تماماً
ظننا أن المنزل سيسقط
فقد كان تهالكه واضحاً
لكن هتلر يدهنه بأكمله
فيقف راسخاً من جديد .

. ٣

الجوع في كل مكان

---

* تتضمن القصيدة سخرية من الترتيلة اللوثرية « لنحمد الآن جميعاً ربنا » التي وضعها مارتن رينكارت عام ١٦٣٠ . وتجدر الاشارة الى أن هتلر الذي يدعوه بريخت أحياناً « النقاش » قد عمل لبعض الوقت في الرسم وعمل الديكورات .

وليس في الكرار خبز
لم يكن لدينا ملابس نرتديها
حين رأينا قائدنا للمرة الأولى.
إذا كنا أشد إرهاقاً
وجوعاً اليوم
فسوف يطعم الجموع
بحزمة قش واحدة.

.٤
الأغنياء لديهم الخبز.
الفقراء على وشك الاغماء.
يا ربنا الرحيم
إننا بحاجة ماسة إلى إعادة طلاء
وإلاّ ظن الفقير
أن جوعه سيقضي عليه
وهجم أخيراً على الغني
ليأكل ملء بطنه.

.٥
لكن حين يأتي هتلرنا
فسوف يصنع لنا ديكوراً جديداً
ويبقي على الأغنياء والفقراء
كل حسب مكانته.
سيضمن أن تبقى الطبقات
لكن لا تقود أبداً إلى الحقد.
سيضمن أن يسقط المطر
ولا يبتلي أحد.

.٦
سيجعل الخل حلواً

والسكر مراً
ومن شروخ الخرسانة
سيقيم برجاً شامخاً.
سيدهن الأقذار والعفن
لتصبح زاهية
إذن فلنحمد جميعاً ربنا
أن أرسل لنا هذا الرجل.

## دفن مثير الشغب في تابوت زنك *

هنا في هذا الصندوق الزنك
يرقد شخص ميت
أو ساقاه ورأسه
أو حتى أقل من ذلك منه
أو لا شيء، لأنه كان
مثير شغب.

وجدنا فيه جذر كل الشرور.
فادفنوه. سيكون من الأفضل
أن تصحبه زوجته وحدها إلى القبر
فأي شخص آخر يذهب
سيكون شخصاً مشبوهاً.

ما في ذلك الصندوق الزنك
كان يحرضكم على كل شيء:
على نيل ما يكفي من الطعام
وإيجاد موضع جافٍ للسكنى
واطعام أطفالكم

---

* لحنها آيزلر لتكون جزءاً من سيمفونيته الألمانية.

والاصرار على أجركم المضبوط
والتضامن مع
كل المضطهدين أمثالكم .
وعلى التفكير .

ما في ذلك الصندوق الزنك قال
إن هناك احتياجاً إلى نظام آخر للإنتاج
وإنكم ، الملايين من جماهير العمل
لا بد أن تستولوا على السلطة
وحتى ذلك الحين لن تتحسن أحوالكم .

ولأن ما في صندوق الزنك قال ذلك
وُضع في صندوق الزنك ولا بد أن يُدفن
كمثير شغب كان يحرضكم .
وكل من يتكلم الآن عن نيل ما يكفي من الطعام
وكل من يريد منكم موضعاً جافاً للسكنى
وكل من يصر منكم على أجره المضبوط
وكل من يريد منكم إطعام أطفاله
وكل من يفكر ، ويعلن تضامنه
مع كل المضطهدين -
من الآن وإلى الأبد
سيوضع في صندوق زنك كهذا
ويدفن كمثير للشغب .

## لست بحاجة إلى شاهد قبر *

لست بحاجة إلى شاهد قبر ، لكن

---

* تبين مسودات بريخت أفكاراً أخرى مرفوضة لما يكتب على شاهد قبره . ورغم ذلك فإن قبره في دوروتينفر يدهوف لا يحمل سوى إسمه وتاريخ ميلاده ووفاته .

إذا أردتم لي واحداً
أود أن يحمل هذه الكلمات :
أبدي مقترحات .
قبلناها نحن .
مثل هذا النقش
يكرمنا جميعاً .

## ألمانيا *

**ليتحدث الآخرون عن عارهم**
**أما أنا فأتحدث عن عاري .**

ألمانيا ، أيتها الأم الشاحبة
ما لك تجلسين مدنسة
بين الشعوب
وبين الملوثين
تبرزين .

أفقر أبنائك
يرقد صريعاً .
حين تعاظم جوعه
رفع أبناؤك الآخرون
أيديهم ضده .
هذا الآن أمر سيىء الصيت .

بأيديهم تلك

---

* يبدو أن الشعار الذي يتصدر القصيدة قد أضيف بعد كتابتها . ويلاحظ شوهمان **Schuhmann** أن لغة بريخت هنا مشبعة بالكلمات والعبارات اللوثرية . لحنها آيزلر ضمن سيمفونيته الألمانية كما لحنها ديساو كجزء من الكانتاتا **Deutsches Miserere.**

المرفوعة ضد أخيهم
يخطون حولك بوقاحة
ويسخرون منك في وجهك .
هذا أمر معروف .

في منزلك
تطنطن الأكاذيب
أما الصدق
فلا بد أن يصمت .
أليس كذلك ؟

لماذا يمتدحك المضطهدون من كل جانب ، لكن
المضطهَدين يتهمونك ؟
المستغلَـوّن
يشيرون إليك بالبنان ، لكن
المستَغِلين يمجدون النظام
الذي ابتكر في منزلك .

في نفس الوقت يراك الجميع
تخفين حاشية تنورتك ، الملطخة
بدم
أفضل أبنائك .

حين يسمع الناس الخطب المنبعثة من منزلك ، يضحكون .
لكن كل من يراك يمسك سكيناً
كما لو كان يرى قاتله .

ألمانيا ، أيتها الأم الشاحبة
ماذا فعل بك أبناؤك
حتى تصبحي بين الشعوب
سخرية أو تهديداً !

# ٧

# السنوات الأولى للمنفى

## ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦

## فقط بسبب الإضطراب المتزايد

فقط بسبب الاضطراب المتزايد
في مدننا ، مدن الصراع الطبقي
قرر بعضنا الآن
ألاّ يعودوا يتحدثون عن المدن على شاطىء البحر ،
أو الجليد فوق السقوف ، أو النساء
أو عبير التفاحات الناضجة في الأقبية ، أو حواس الجسد ،
كل ما يجعل الإنسان مكتملاً وإنسانياً
بل أن يتحدثوا في المستقبل عن الاضطراب دون سواه
وهكذا يصبحون أحاديين ، ومحدودين ، ومشتبكين
في أحبولة السياسة والقاموس الجاف ، الخشن
للاقتصاد الجدلي
حتى لا يولّد هذا التعايش الفظيع المكبَّل
لتساقط الجليد ( وهو ليس بارداً فقط ، كما نعلم )
والاستغلال ، والجسد الشبق ، والعدالة الطبقية ،
الموافقة على عالم متعدد الجوانب ؛ والابتهاج
بتناقضات حياة ملطخة بالدماء
تفهمونها .

## الزبونة

أنا إمرأة عجوز .
حين استيقظت ألمانيا
خُفضت المعاشات . أعطاني أبنائي
الدريهمات التي استطاعوا توفيرها .

يا من لم تولدوا بعد ، أنصتوا
إلى صوتي ، صوت رجل مات
دون مجد .

لكن
كفلاح لم يفلح أرضه
وكنجار كسول هرب
تاركاً الدعامات عارية .

هكذا
بددت وقتي ، وبعثرت أيامي والآن
لا بد أن أسألكم
أن تقولوا كل ما لم يُقَلْ
وأن تفعلوا كل ما لم يُفعل ، وأن تنسوني
بسرعة ، لو سمحتم ،
حتى لا يضللكم مثالي السيىء .

آه لماذا
جالست من لا ينتجون شيئاً
وقاسمتهم الوجبة التي لم يعدّوها ؟

آه لماذا خلطت
أفضل أقوالي
بثرثرتهم الكسولة ؟ بينما في الخارج
كان الجهلة يتجولون
ظمأ للتعلم .

آه لماذا
لا تتصاعد أغنياتي
من حيث تطعم المدن ، ومن حيث يبنون السفن ، لماذا

لا تتصاعد من القاطرة المسرعة
مثل الدخان
الذي يتخلف في السماء ؟

فحديثي يُعدّ للقوم المبدعين النافعين
كرماد في الفم وغمغمة مخمورة .

لا يمكنني أن أقدم لكم
ولا كلمة واحدة ، يا أجيال العصور المقبلة
ولا إشارة واحدة يمكن أن أمنحكم ، مشيراً
بإصبعي المتردد ، فمن يمكن
أن يدل على طريق
لم يقطعها بنفسه ؟

كل ما يمكنني فعله إذن ، أنا الذي
بددت حياتي هكذا ، هو أن أقول لكم
ألاّ تطيعوا أمراً واحداً
يأتي من أفواهنا المتعفنة وألاّ
تتبعوا نصيحة واحدة
ممن فشلوا هذا الفشل الذريع ، بل
أن تقرروا لأنفسكم ما يناسبكم
وما يعينكم
على زرع الأرض التي أسلمناها للخراب
وعلى جعل المدن
التي سممناها
أماكن تليق بحياة البشر .

## نشيد الجبهة المتحدة

١ .

ولأن الإنسان آدمي

فإنه يريد أن يأكل ، شكراً جزيلاً
لكن الكلام لا يقوم مقام اللحم
أو يملأ وعاءً فارغاً .
إذن يسار ، إثنان ، ثلاثة !
إذن يسار ، إثنان ، ثلاثة !
يا رفيق ، هناك مكان لك .
اتخذ موقعك في جبهة العمال المتحدة
فأنت أيضاً عامل .

٢ .
ولأن الإنسان آدمي
فلن يعبأ بركلة في الوجه .
لا يريد عبيداً تحته
ولا طبقة حاكمة فوقه .
إذن يسار ، إثنان ، ثلاثة !
إذن يسار ، إثنان ، ثلاثة !
يا رفيق ، هناك مكان لك .
اتخذ موقعك في جبهة العمال المتحدة
فأنت أيضاً عامل .

٣ .
ولأن العامل عامل
فلن يحرره أحد سواه .
ليس من شأن أحد سوى العمال
أن يحرروا العامل .
إذن يسار ، إثنان ، ثلاثة !
إذن يسار ، إثنان ، ثلاثة !
يا رفيق ، هناك مكان لك
اتخذ موقعك في جبهة العمال المتحدة

فأنت أيضاً عامل .

## شراء البرتقال *

في الضباب الأصفر الذي يكسو شارع ساوتهامبتون
تظهر فجأة عربة فاكهة ، وامرأة عجوز
تحت مصباح ، تشير إلى كيس ورق .
وقفت مندهشاً ومبهوتاً كمن يرى
ما كان يبحث عنه ، أمام عينيه .

برتقال ! برتقال كالأيام الخوالي !
نفخت يديّ من البرد
وفتشت جيوبي عن عملة لأشتري .

لكن بينما أمسك الدريهمات في يدي
وأنظر إلى الثمن لأراه مكتوباً
بفحم قذر على ورقة صحف
وجدتني أصفّر بعذوبة ، وعلى الفور
أصبحت الحقيقة المرّة بالغة الوضوح :
إنك لست هنا معي في هذه البلدة .

* هذه القصيدة والقصيدة التالية تحملان ملاحظة « من السوناتات الانجليزية ». وهي موجهة ، كما يقول فولكر **Wölker,** إلى مارجريت شتيفين ، مساعدة بريخت خلال منفاه في الدانمارك .

## أسئلة *

إكتبي لي ماذا ترتدين . هل تشعرين بالدفء ؟
إكتبي لي كيف تنامين . هل فراشك وثير ؟
إكتبي لي كيف تبدين . ألم تتغيري ؟
إكتبي لي ماذا تفتقدين . أهو ذراعي ؟

خبّريني : هل يدعونك وشأنك ؟
أيمكن أن تصمدي ؟ ماذا ستكون خطوتهم التالية ؟
ماذا تفعلين ؟ أهو ما ينبغي عمله ؟
فيمَ تفكرين ؟ أتفكرين فيّ ؟

الأسئلة هي كل ما يمكنني منحك ، وأقبل
كل ما يجيء من إجابات ، فلا حيلة لي .
فلا يمكنني أن أمد لك يداً ، لو كنت متعبة ؛
أو أطعمك ، لو كنت جائعة . وهكذا يبدو
وكأنني لست في هذا العالم ، غير موجود .
يبدو وكأنني قد نسيتك .

**من « خمس أغنيات للأطفال »**

## الطفل الذي لم يرد الاغتسال

ذات مرة كان هناك طفل
لم يرد الاغتسال
غسلوه لكنه ، انظروا

---

* أضيفت إلى ثاني مجموعة للسوناتات والمعنونة « سوناتات إنجليزية ».

حك وجهه بالرماد .

جاء القيصر ليزورهم
صاعداً سبع طوابق .
فبحثت الأم عن منشفة
لتنظف وجهه وشعره .

كانت المنشفة في المكان الخطأ
فأفسدت الزيارة بأكملها .
وانصرف القيصر .
ماذا كان الطفل يتوقع ؟

## شجرة البرقوق *

شجرة البرقوق في الفناء بالغة الصغر
حتى لا تكاد تبدو كشجرة على الاطلاق .
لكن ها هي ذي ، تحيطها الدعامات
لتبقيها سليمة وقائمة .

الشجرة المسكينة لم يعد يمكنها النمو
رغم أنها لو استطاعت لفعلت بالتأكيد .
ليس في الامكان شيء
فهي لا تنال سوى القليل من ضوء الشمس .

شجرة البرقوق لا تثمر برقوقاً أبداً
ولذا فليس من السهل أن نصدق .
لكنها رغم ذلك شجرة برقوق
ويتضح ذلك من أوراقها .

---

* لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو كما لحنها ديساو لتغنى بمصاحبة الجيتار .

## خياط أولم *
## (أولم ١٥٩٢)

قال الخياط للأسقف
أيها الأسقف ، يمكنني الطيران .
فقط راقبني أحاول !
وبزوج من الأشياء
تشبه الأجنحة
صعد إلى سقف الكنيسة الكبير ، الكبير .

مضى الأسقف .
ليس ذلك سوى كذبة
الإنسان ليس طائراً
لن يطير البشر أبداً
هكذا قال الأسقف للخياط .

قال الناس للأسقف
الخياط قد مات
مسألة هزلية .
ارتطم مكسور الجناح
والآن يرقد محطماً
في ميدان البلدة الصلب ، الصلب .

لتدق أجراس الكنيسة
لم يكن ذلك سوى كذبة
الإنسان ليس طائراً

---

* ضمن مجموعة من أغنيات "أطفال من أجل هيلى" [ هيلينا فايجل ] ، مايو ١٩٣٧ . لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو كما لحنها فاجنر ـ ريمبنييه .

لن يطير البشر أبداً
هكذا قال الأسقف للناس .

## اللص وتابعه *

لصّان كانا ينهبان مقاطعة هسة
كم من فلاح كسرا عنقه
أحدهما كان نحيفاً كذئب جائع
والآخر سميناً كالبابا .

لكن ماذا جعل جسميهما بهذا الاختلاف ؟
ذلك لأنهما كانا تابعاً وسيداً .
السيد يلتهم القشدة من الحليب ،
عندها ينال التابع حليبه وقد صار رائباً .

قبض الفلاحون على اللّصين
وحين شنقا بنفس الحبل
تدلى أحدهما نحيفاً كذئب جائع
والآخر سميناً كالبابا .

هناك وقف الفلاحون يرسمون علامة الصليب .
ويحدقون في الإثنين
رأوا أن السمين كان لصّاً
لكن لماذا كان النحيف أيضاً ؟

## تقرير من ألمانيا

علمنا أنه ، في ألمانيا
أيام الوباء البني
فجأة ، خفق في ريح نوفمبر

---

* لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو .

فوق سقف مصنع علم أحمر
علم الحرية المحرم !
ومن السماء ، في منتصف نوفمبر الرمادي
سقط المطر مختلطاً بالجليد
كان يوم السابع : يوم الثورة*

انظر ! إنه العلم الأحمر !
في الساحات يقف العمال
ويظلون أعينهم بأيديهم ويحدقون
إلى السقف خلال نفحات المطر الثلجي .

عندئذ تتدفق الشاحنات محملة بجنود العاصفة
يلصقون بالجدار كل من يرتدي ملابس العمال
ويوثقون بالحبال أية أيدٍ خشنة
ويخرج المضروبون الدامون
متعثرين من الزنازين بعد استجوابهم
ولم يذكر منهم واحد اسم الرجل
الذي كان فوق السقف .
وهكذا يقتادون من لزموا الصمت
أما الآخرون فقد نالوا كفايتهم .
لكن في اليوم التالي
يرفرف ثانية
علم البروليتاريا الأحمر
فوق سقف المصنع . وثانيةً
يجتاح المدينة الساكنة سكون الموتى
خطو جنود العاصفة . الآن
لا يُرى رجال في الساحات . النساء فقط .

---

* يوم السابع من نوفمبر : يوم استيلاء البلاشفة على السلطة في ١٩١٧ .

تقفن بوجوه حجرية ؛ أيديهن تظل أعينهن ، وتحدقن
في السقف خلال نفحات المطر الثلجي .

ويبدأ الضرب من جديد . وتحت الاستجواب
تعترف النساء : ذلك العلم
ملاءة سرير
فيها حملنا أحد من ماتوا أمس .
لا يمكن أن تلوموننا بسبب لونها .
إنها حمراء بدم القتيل ، أنتم تعرفون .

## حين أتى المجرمون العتاة

حين أتى المجرمون العتاة
فتحت الباب على مصراعيه
وسمعتهم ينادون إسمي
فخطوت خارجاً .

لم يكونوا قد طلبوا شيئاً بعد
حين أحضرت المفاتيح
وهكذا لم تقع جرائم
بل مجرد اكتشافات .

## الرغبة الأخيرة *

في ألطونا ، حين أغاروا على أحياء الطبقة العاملة
قبضوا على أربعة من رجالنا . واقتيد
خمسة وسبعون ليروا إعدامهم .
وهذا ما رأوه : حين سئل أصغرهم ، وهو فتى ضخم ،
عن رغبته الأخيرة (وفق الإجراءات المعتادة)
قال بجفاء إنه يريد أن يمدد أطرافه مرة أخرى .
وحين فكوا قيوده ، تمطى وبكلتا قبضتيه
لكم القائد النازي في فكه
بكل قوته . بعدها قيدوه
إلى اللوح الرفيع ، ووجهه إلى أعلى ،
وقطعوا رأسه .

---

* ألطونا ضاحية عمالية لمدينة هامبورج .

## الثقب في حذاء إيليتش

أنت ، يا من تقيم نُصب إيليتش
بارتفاع عشرين متراً ، فوق قصر نقابة العمال
لا تنسَ كذلك في حذائه
الثقب الذي لاحظه الكثيرون ، علامة الفقر .
أسمع أنه يتجه
نحو الغرب ، حيث يعيش كثيرون ،
سيتعرفون في إيليتش ، بهذا الثقب في الحذاء ،
على واحدٍ منهم .

## حين يأتي الشر كالمطر المنهمر

مثل من يحضر خطاباً هاماً ليسلمه بعد ساعاتِ العمل : والمكتب
قد أُغلق .
مثل من يحاول تحذير المدينة من طوفان وشيك ، لكنه يتكلم لغة
أخرى .
فلا يفهمونه .
مثل شحاذ يطرق للمرة الخامسة باباً منحه شيئاً أربع مرات : وهو
جائع في الخامسة .
مثل من يتدفق دمه من جرح وهو ينتظر الطبيب : ودمه يمضي في
تدفقه .

هكذا نتقدم لنبلغ أن شراً قد نالنا .

أول مرة عُـلم فيها أن أصدقاءنا كانوا يذبحون صدرت صرخة
رعب . ثم
ذُبح مائة . لكن حين ذُبح ألف ولـم تتـوقـف المذبحـة ،
إنبسطت
ملاءة من الصمت .

حين يأتي الشرُّ كالمطر المنهمر ، لا يصيح أحد قائلاً 'قفوا !'

حين تبدأ الجرائم في التراكم تصبح غير مرئية . حين تصبح العذابات
غير محتملة لا تعود الصرخات تُسمع . الصرخات ،
هي الأُخرى ، تنهمر كمطر الصيف .

## توصية لتريتياكوف بأن يشفى

مناقشة رجل مريض
شيء يثير الضحك .

كلْ وجبة إضافية وكلْها ببطء
مفكراً في أعدائك
نمْ حتى ساعة متأخرة
وسوف يفارقهم النوم .

لمصلحة السوفيتات
اشرب كوب لبن في الصباح
حتى لا تصبح نصيحتك لنا
نصيحة رجل مريض .

إسبحْ في البحيرة ، للمتعة . فالماء
الذي يمكن أن يغرقك
سيجعلك تطفو .
تسبح فتتشق الماء ، وخلفك
يلتحم مرة أخرى .

## في العام الثاني من فراري *

في العام الثاني من فراري

* ظهر اسم بريخت في قائمة وزارة الداخلية في ١١ يونيو ١٩٣٥ ، التي أعلنت فقده للجنسية ومصادرة ممتلكاته .

قرأت في صحيفة ، بلغة أجنبية
أنني قد فقدت جنسيتي .
لم أحزن ولم أسرّ .
حين قرأت اسمي بين أسماء عديدة
طيبة وسيئة .
فمحنة من فرّوا لم تبدُ لي أسوأ
من محنة من بقَوا .

## موال ماري زاندرس ، عاهرة اليهود *

١ .

في نورمبرج سنّوا قانوناً
أبكى العديد من النساء
اللاتي تقاسمن الفراش مع الرجل الخطأ .
'ثمن اللحم يرتفع .
ضرب الطبول الآن على أشده .
الرب موجود ، إذا كانوا قد وصلوا إلى شارعنا
فسوف يكون ذلك الليلة' .

---

* المقصود قوانين نورنبرغ الصادرة بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٣٥ . وكانت هذه القوانين تحرم أي يهودي من الجنسية الألمانية ، وتحرم على غير اليهود التزاوج معهم ، وتقر مفهوم Rassen Schande ، أو تلوين الجنس ، في حالة الاتصال الجنسي بين الفئتين . وقد لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو ، كما ناقش بريخت مع بول ديساو إمكانية عمل أوبرا على أساسها . وفي مجموعة «قصائد سفنوبورج» نجد في المقطع الأخير «لهم» و «بلاءهم» «بدل» «لنا» و «بلاءنا» . لكن ذلك مشطوب في المخطوطات بقلم بريخت وبدله يبدأ بالمقطع
ماري زاندرس ، حبيبك .
له أنف خطأ وشعره أسود
فالافضل ألا تعودي تقابلينه
أما شترايشر فقد كان مسؤولاً عن أقسام الحزب النازي واشتهر بعدائه لليهود الذين كان يشن عليهم الحملات في صحيفة يملكها .

# أسئلة عامل يقرأ

من بنى طيبة ذات البوابات السبع ؟
في الكتب ستجد أسماء الملوك .
فهل حمل الملوك كتل الأحجار ؟
وبابل ، التي دمّرت مرات عديدة
من شيدها كل هذه المرات ؟ في أي من منازل
ليما المتلألئة بالذهب كان يعيش البناؤون ؟
أين ذهب البناة ليلة اكتمال
سور الصين ؟ روما العظيمة
مليئة بأقواس النصر . فمن أقامها ؟ على من
انتصر القياصرة ؟ ألم يكن في بيزنطة ، التي لهجت بثنائها الأغنيات
سوى القصور لسكانها ؟ حتى في أطلنطس الأسطورية
ليلة أن ابتلعها المحيط
كان الغارقون ما زالوا ينادون عبيدهم .

الاسكندر الشاب غزا الهند .
هل كان وحده ؟
وقيصر هزم الغال .
ألم يكن بصحبته ولو طباخ ؟
فيليب ملك إسبانيا بكى حين غرقت
الأرمادا . فهل كان الوحيد الذي بكى ؟
فريدريك الثاني كسب حرب السنوات السبع . فمن
كسبها معه ؟

كل صفحة انتصار .
فمن طبخ وليمة المنتصرين ؟
كل عشر سنوات رجل عظيم

من دفع مرتّبه ؟

تقارير كثيرة
وأسئلة كثيرة .

## حذاء أمبادوقليس

١ .
حين حاز أمبادوقليس الأجريجنتي
إعجاب مواطنيه
مع وهن الشيخوخة
قرر أن يموت . لكن لما كان يحب
أفراداً قلائل يحبونه بدورهم
لم يشأ أن يموت أمامهم ، بل
أن يختفي .
دعاهم للقيام بنزهة ، ليس جميعهم
فقد استبعد هذا أو ذاك وهكذا
لعب الحظ دوراً
في الاختيار والتنفيذ الجماعي .
تسلقوا بركان إتنا .
صعوبة التسلق
فرضت الصمت . فلم يفتقد أُحد
الكلمات الحكيمة . وعند القمة
تمددوا ليلتقطوا أنفاسهم
واستغرقوا في المشهد، مبتهجين بالوصول إلى غايتهم .
في غفلة بارحهم المعلم .
حين بدأوا يتكلمون ثانية ، لم يلحظوا شيئاً
في البداية ، لكن بعد برهة
بدأوا يفتقدون كلمة هنا أو هناك فتلفتوا بحثاً عنه .

لكنه كان، منذ وقت طويل، قد مضى إلى الفوهة
دون عجلة. توقف مرة وأنصت
كيف يعلو الحديث ثانية
بعيداً خلف الفوهة. لم يعد يميز
الكلمات المفردة: بدأ الموت.
بينما يقف عند الفوهة
مشيحاً بوجهه، لا يرغب في سماع المزيد
مما لم يعد يهمه على البعد، انحنى العجوز ببطء
وخلع بعناية حذاءً من إحدى قدميه، ومبتسماً
طوّحه لمسافة عدة خطوات، حتى لا يمكن
العثور عليه بسرعة بل في الوقت المناسب، أي
قبل أن يتحلل. عندها فقط
مضى إلى الفوهة. وحين عاد أصدقاؤه بدونه
بعد أن بحثوا عنه
بدأ موته تدريجياً كما أراد
خلال الأسابيع والشهور التالية. البعض
ظلوا ينتظرونه، بينما
سلم آخرون بموته. البعض
حجبوا أسئلتهم، انتظاراً لعودته، بينما
بحث آخرون عن الحل بأنفسهم، وببطء، مثلما تتراجع السحب
في السماء، دون أن تتغير، بل تتضاءل
وتزداد نعومة وأنت لا تراقبها، وبعدا
حين تفتش عنها ثانيةً، وربما تكون قد اختلطت بغيرها،
هكذا انسحب من شؤونهم العادية بالطريقة العادية.
ثم انتشرت شائعة
تقول إنه لا يمكن أن يكون ميتاً، فقد كان خالداً.
أحاطه الغموض. واعتقدوا في إمكان
وجود شيء غيبي يغيّر من مسار

الأحداث الإنسانية. تصاعد هذا النوع من اللغط.
لكن في ذلك الوقت عثروا على حذائه، حذائه الجلدي
المحسوس، البالي، الأرضي! الذي تركه
لمن يبدأون فوراً في الإيمان، حين لا يعودون يرون.
هكذا أصبحت أيامه الأخيرة
حقيقية مرة أخرى. فقد مات كأي شخص آخر.

.٢

قد يصف آخرون ما قلت
بطريقة مختلفة: فأمبادوقليس هذا
قد سعى فعلاً ليضمن أن يعبد كإله
وأن يقيم، باختفاء غامض، بقفزة صغيرة
في فوهة أتنا دون شهود، أسطورة
بأنه ليس من صنف البشر، وليس خاضعاً
لقوانين الفناء. وفي ذلك
خدعه حذاؤه بالسقوط في أيدي البشر.
(كذلك يقول البعض إن البركان نفسه أغضبه
هذا الأمر، فلفظ حذاء
الرجل الفاسد). لكننا بالأحرى نعتقد:
أنه إذا لم يكن قد خلع حذاءه فعلاً، فذلك
لأنه نسيَ حماقتنا ولم يظن أننا سنسارع
لجعل الغموض أشد غموضاً، ونفضل الإيمان
بما هو عبثي بدل البحث عن سبب كافٍ. وعلى كل حال
فالجبل لم يغضب بالتأكيد لهذا الاهمال أو لأنه
اعتقد أن الرجل يريد تضليلنا لنسبغ عليه تكريماً إلهياً -
(فالجبل لا يعتقد شيئاً ولا يهمه أمرنا)
لكنه بينما يلفظ الحمم، كما يفعل دائماً، قذف بالحذاء
لنا. وهكذا، بينما كان الدارسون مشغولين باستكناه الغموض

وبتطوير ميتافيزيقا عميقة ، مشغولين جداً في الحقيقة
أربكهم فجأة أن يمسكوا بأيديهم حذاء المعلم ، الحذاء المحسوس
البالي ، الجلدي ، الأرضي .

## في التعليم دون تلاميذ

التعليم دون تلاميذ
والكتابة دون شهرة
أشياء صعبة .
جميلٌ أن تخرج في الصباح
بصفحاتك المكتوبة للتو
إلى المطبعي المنتظر ، عبر السوق الذي يطن
حيث يبيعون اللحم وأدوات العمال :
وأنت تبيع جُمَـلاً .

السائق قاد بسرعة
ولم يكن قد أُفطر
كان كل منعطف مخاطرة
يدخل من البوابة متعجلاً :
والرجل الذي جاء لإحضاره
كان قد مضى .

ها هو يتكلم من لا ينصت إليه أحد
يتكلم بصوت بالغ الارتفاع
ويكرر نفسه
ويقول أشياء خاطئة :
ويمضي دون أن يصححه أحد .

## المتعلم

في البداية كنت أبني على الرمال ، ثم بنيت على الصخر .

وحين تآكل الصخر
لم أعد أبني على شيء .
ثم شرعت دائماً أبني من جديد
على الرمل أو الصخر ، كيفما اتفق ،
لكنني تعلمت .

من ائتمنتهم على الخطاب
ألقوه بعيداً . لكن من لم أعرهم إلتفاتاً
أعادوه إلي .
ومن ثم تعلمت .

ما أمرت به لم ينفذ .
وحين وصلت
رأيت أنه كان خطأ ، وأن الصواب
قد نُفِّذ .
من ذلك تعلمت .

الندوب مؤلمة
والجو الآن بارد .
لكنني كنت دائماً أقول : إن القبر وحده
هو الذي لن يعلمني جديداً .

## الراكب

منذ سنوات ، حين كنت أتعلم
قيادة سيارة ، جعلني معلمي
أدخن سيجاراً ، إذا انطفأ
في زحام المرور أو في المنعطفات الحادة
أعفاني من عجلة القيادة .
كان يلقي نكاتاً وأنا أقود ،

وإذا لم أضحك لانشغالي البالغ بالقيادة ،
أخذ مني عجلة القيادة قائلاً : أنا لا أشعر بالأمان .
وأنا ، الراكب ، أنزعج حين أرى
السائق بالغ الانشغال
بالقيادة .

منذ ذلك الحين ، أحاذر ،
حين أعمل ، ألا يستغرقني العمل بدرجة زائدة .
أولي اهتمامي لكل ما حولي
ودائماً أقطع عملي لأتحدث مع شخص ما .
والقيادة بسرعة بالغة حتى يمكنني التدخين
عادة تخلصت منها . إنني
أفكر في الراكب .

## أغنية كاتب المسرح*

أنا كاتب مسرح . أعرض
ما رأيته . في أسواق البشر
رأيت كيف يُشترى الناس ويباعون . ذلك
ما أعرضه ، أنا ، كاتب المسرح .

كيف يخطون داخل حجرات بعضهم بخططهم
أو بهراوات المطاط ، أو بالنقود
كيف يقفون في الشوارع وينتظرون
كيف ينصبون الفخاخ لبعضهم
يملأها الرجاء

---

* إحدى قصائد المسجكاوف . والمقاطع الأربعة الأخيرة هامة في فهم نظرية بريخت المسرحية . حيث انها تربط فهمه المبكر "للتمثيل من الذاكرة"بمذهبه الحديث التشكل في الاغراب أو Verfremdung .

التكنيك الخاص ومستخلصاً
كل ما يفيدني .
درست تصوير الشخصيات الاقطاعية الضخمة
الذي قدمه الإنجليز . الشخصيات الثرية
التي تعتبر أن العالم موجود من أجل اكتمال تطورها .
درست الأسبان المغرمين بالأخلاق
والهنود ، أساتذة المشاعر الجميلة
والصينيين ، الذين يصورون العائلة
والمصائر المتباينة الألوان في المدن .

وما أسرع ما كان مظهر البيوت والمدن
يتغير في زمني حتى أن الرحيل لعامين
والعودة يعد رحلة إلى مدينة أخرى
وكان البشر ، بأعداد هائلة ، يغيرون مظهرهم
خلال أعوام قليلة . رأيت
العمال يدخلون بوابات المصانع ، والبوابات عالية
لكن كان عليهم أن ينحنوا وهم يخرجون .
فقلت لنفسي :
كل شيء يتغير ولا يلائم سوى زمنه .

ومن ثم منحت كل مشهد علامته المميزة
ونقشت تاريخ السنة على كل ساحة مصنع وكل غرفة
كما يختم تجار الماشية الأرقام على ماشيتهم لتمييزها .
كذلك منحت العبارات التي تقال هناك
علاماتها المميزة ، فصارت
كأقوال بشر فانين
سُجّلت حتى لا تُنسى .

ما قالته المرأة في زي العمال خلال تلك السنوات
وهي تنحني فوق أوراقها

وكيف اعتاد السماسرة بالأمس التحدث إلى كتبتهم
وقبعاتهم فوق مؤخرة رؤوسهم
وضعت عليه علامة
زوال أعوامهم .

كل هذا أسلمته للدهشة
حتى أكثر الأشياء عاديةً .
فإرضاع الأم لطفلها
نقلته كشيء لن يصَدقه أحد .
وإغلاق البواب الباب بعنف في وجه رجل متجمد
كشيء لم يرَه أحد .

## خطاب إلى الكاتب المسرحي أوديتس

يا زميل ، في مسرحيتك الفردوس المفقود
تُبيّن أن عائلات المستغِلين
تتحطم في النهاية .
فماذا تعني بذلك ؟

قد يكون صحيحاً أن عائلات المستغِلين
تتحطم . لكن ماذا لو لم يفعلوا ؟
هل يكفون عن الاستغلال حتى يتناثروا أشلاء
أو أن من الأسهل لنا أن نظل نُستغل
طالما لم يتناثروا أشلاء ؟ هل يجب أن يظل الجائع جائعاً
طالما أن من يحرمه من الخبز
سليم معافى ؟

أو هل تعني القول لنا إن مستغلينا
قد أُضعفوا فعلاً ؟ أيجب
أن نجلس هناك فقط ، منتظرين ؟ مثل هذه الصور
ظل يرسمها نقاشنا ، يا زميل ، وبين عشية وضحاها
شعرنا بقوة مستغلينا الذين تناثروا أشلاء .

أم أنك تشعر بالأسف من أجلهم ؟ أيجب
أن ننخرط في البكاء حين ترى القمل يمضي ؟
أنت ، يا زميل ، الذي أظهرت تعاطفاً
تجاه من ليس لديه ما يأكله ، هل تحس الآن بالتعاطف
تجاه من أتخم نفسه حتى المرض ؟

## لماذا لا بد أن يخلد اسمي

.١

فكرت مرة : أنه في العصور البعيدة
حين تكون المباني التي سكنت فيها قد تهدمت
والسفن التي سافرت فيها قد تحللت
سيظل إسمي خالداً
بين آخرين .

.٢

لأنني امتدحت الشيء النافع
الذي كان يعد في أيامي وضيعاً
لأنني حاربت ضد كل الأديان
لأنني قاتلت الإضطهاد ،
أو لسبب آخر .

.٣

لأنني وقفت إلى جانب الناس
وأودعتهم كل شيء ، وبذلك كرمتهم
لأنني كتبت الأشعار وأثريت اللغة
لأنني علّمت السلوك العملي ،
أو لسبب آخر .

.٤

لذا ظننت أن اسمي
سيظل خالداً ؛ فوق حجر
سيبدو إسمي ؛ من الكتب
سينتقل ليطبع في الكتب الجديدة .

.٥

لكنني اليوم

# VI

# قصائد وهجائيات سفندبورج المتأخرة ١٩٢٦ ـ ١٩٢٨

## أغنية ألمانية *

مرة أخرى يقولون إن عصراً عظيماً سيشرق
( لا تبكِ، يا أنّا )
ما زال لدينا ما نرهنه.

المجد عاد يلوح في الأفق
( لا تبكِ، يا أنّا )
فتشت في صوان الطعام؛ وليس فيه شيء.

يقولون إن هناك المزيد من الانتصارات
( لا تبكِ، يا أنّا )
هناك واحد لن ينالوه.

لقد بدأنا الهجوم
( لا تبكِ، يا أنّا )
لو قدّر لي أن أعود
فسوف أعود تحت راية أخرى.

## غنائية لذكرى وفاة لينين

.١
حين مات لينين
يقال إن جندياً من جنود الحرس
قال لرفاقه: لم أرد
أن أصدّق: فدخلت، إلى حيث يرقد،

---

* لحنها آيزلر.

وصحت في أذنه : «إيليتش
المستغِلون قادمون !» فلم يتحرك . الآن
أعرف أنه قد مات .

٢ .
حين يريد رجل طيب أن يمضي
بماذا يمكن للمرء أن يُبقيه ؟
أخبروه : لأي شيء هو ضروري .
هذا يُبقيه .

٣ .
ماذا كان يمكن أن يُبقي لينين ؟

٤ .
فكر الجندي
أنه حين يسمع أن المستغِلين قادمون
قد يكون مريضاً ورغم ذلك سينهض .
ربما أتى على عكازات
وربما جعلهم يحملونه ، لكنه
سينهض وسيأتي
ليقاتل ضد المستغِلين .

٥ .
كان الجندي يعرف أن لينين
ظل يقاتل طول عمره
ضد المستغِلين .
وحين ساهم الجندي
في اقتحام قصر الشتاء
أراد أن يعود إلى بيته ، فهناك
كانت أراضي كبار الملاّك قد قسّمت فعلاً

فقال له لينين : انتظر قليلاً !
فما زال هناك مستغِـلون .
وطالما بقي استغلال
يجب القتال ضده .
وطالما أنت حي
عليك أن تقاتل ضده .

٧ .

الضعفـاء لا يقاتلون . الأقوى منهم
ربما قاتلوا ساعة .
من هم أقوى ، يقاتلون سنين عديدة . لكن
الأقوى يقاتلون طول عمرهم . وهؤلاء
لا غنى عنهم .

٨ .

( مديح الثوري )

حين يتزايد القمع
تفارق الكثيرين شجاعتهم
لكن شجاعته تزداد .

ينظم قتاله
من أجل درهم الأجر ، وماء الشاي
والسلطة في الدولة .

يسأل الملكية :
من أين تأتين ؟
ويسأل المعتقدات :
من تفيدين ؟

حيثما يخيم الصمت

سيتكلم
وحين يسود القمع ويجري الحديث عن القدر
سيسمي هو المسميات بأسمائها .

حين يجلس لتناول الطعام
يجلس السخط معه .
يصبح الطعام رديئاً
ويتبين ضيق الغرفة .

.٩

حينما مات لينين والحاجة إليه ماسة
كان النصر قد أُحرز ، لكن الأرض ترقد مهجورة .
كانت الجماهير قد انتفضت ، لكن
الطريق ما زال يرقد في الظلام .
حين مات لينين
جلس الجنود على الطوار وبكوا
وهجر العمال ماكيناتهم
وهزوا قبضاتهم .

.١٠

حين ذهب لينين ، بدا
وكأن الشجرة تقول للأوراق :
أنا ذاهبة .

.١١

منذ ذلك الحين مضت خمس عشرة سنة .
سدس الأرض
تحرر من الاستغلال .
واستجابة لصيحة : المستغلون قادمون !
تهب الجماهير المرة تلو المرة

مستعدة للقتال .

١٢ .

لينين يجد مثواه
في قلب الطبقة العاملة الكبير .
كان معلمنا .
وحارب معنا .
إنه يجد مثواه
في قلب الطبقة العاملة الكبير .

## شاهد على قبر جوركي *

هنا يرقد
سفير الأزقة
الرجل الذي وصف معذِبي الشعب
وأولئك الذين حاربوهم .
الذي تعلم في جامعات الطرق
الرجل ذو الأصل الوضيع الذي ساعد على الإطاحة
بنظام الرفيع والوضيع
معلم الشعب
الذي تعلم من الشعب .

## فكرة الأعمال الكلاسيكية **

عارية غير مكسوة
تمثل أمامك ، دون خجل ،
لأنها واثقة من فائدتها .
لا يحزنها
أنك تعرفها فعلاً ، كل ما تسأله

* لحنها ديساو لتغنى بمصاحبة البيانو .
** المقصود كلاسيكيات الماركسية .

هو هل نسيتها .
تتحدث
بكبرياء العظمة . دون مراسم
دون تقديم
تدخل ، معتادة
أن تلقى الاحترام لأنها مفيدة .
جمهورها هو البؤس ، الذي لا يحدُّه زمان .
البرد والجوع يراقبان عن كثب
إنتباه الجمهور . وأقل عدم إنتباه
يقضي عليهم بالخراب العاجل .
لكن رغم دخولها بجلال
فإنها تبين أنها لا تساوي شيئاً دون جمهورها
ولم تكن لتجيء أو لتعرف
أين تمضي أو أين تبقى . . .
لو لم يؤوُها. وفي الحقيقة ، فإنها دون إرشادهم
هم الذين كانوا حتى الأمس جهلة
سرعان ما تفقد قوتها وتتدهور .

## الشكاك

كلما بدا أننا
وجدنا إجابة سؤال
كان أحدنا يفك رباط البردية الصينية القديمة
المعلقة على الحائط، لتنبسط
وتكشف لنا عن الرجل الجالس أمام المنضدة
الذي يكثر من الشك .

وكان يقول لنا ،
أنا الشكاك . وأنا أشك فيما إذا

كنتم قد أحسنتم أداء العمل الذي التهم أيامكم .
فيما إذا ظل لما قلتموه قيمة لأي إنسان إذا كان
قد قيل بشكل أسوأ .
إذا كنتم قد أحسنتم قوله لكنكم
ربما لم تكونوا مقتنعين بصدق ما قلتم .
أليس غامضاً : فكل سوء فهم محتمل
هو مسؤوليتكم . أو ربما كان واضحاً
لكنه ينزع التناقضات من الأشياء
هل هو بالغ الوضوح ؟
إذا كان كذلك ، فما تقولونه بلا فائدة . فلا حياة فيه .
هل أنتم حقاً في تيار الأحداث ؟ هل تقبلون
كل ما يتطور ؟ هل تتطورون أنتم ؟ من أنتم ؟
ولمن تتحدثون ؟ من يجد ما تقولونه مفيداً ؟ وبالمناسبة :
هل هو قول متزن ؟ هل يمكن قراءته في الصباح ؟
هل يرتبط بما هو موجود فعلاً ؟ هل استفدتم
من العبارات التي قيلت أمامكم ، أو نفيتموها على الأقل ؟
هل يمكن التحقق من كل شيء ؟
بالتجربة ؟ أية تجربة ؟ لكن قبل كل شيء
دائماً قبل كل شيء : كيف يتصرف المرء
إذا صدق ما تقولون ؟ قبل كل شيء : كيف يتصرف المرء ؟

بإمعان ، وعناية ، كنا ندرس
الرجل الشكاك الأزرق فوق البردية ، ونتبادل النظرات
ثم نبدأ من جديد .

## I ( سفندبورج )

خلال النافذة ، تلك المربعات الإثني عشر
أرى شجرة كمثري ملتوية بأغصان متدلية
فوق مرعى غير مستو فيه بعض القش .
تعده قطعة أرض مقلّبة
زرعت فيها خمائل ، وأشجار قصيرة .
خلف ذلك الحاجز ، العاري الآن في الشتاء
يمر الدرب ، يحده سياج
من شرائح بارتفاع الركبة ، مطلية بالأبيض : وخلفه بثلاثة أقدام
منزل صغير ذو نافذتين بأطر خشبية خضراء
وسقف قرميدي بارتفاع الحائط .
الحائط مدهون حديثاً بطلاء جيري ، والياردة أو الياردتان من الحائط
التي يمتدها المنزل من جانبه ، والمبنية فيما بعد
مدهونة حديثاً هي الأخرى بالطلاء الجيري . أما إلى اليسار ، حيث يتراجع قليلاً
فهناك كذلك باب خشبي أخضر في امتداد المنزل
وعلى الجانب الآخر من المنزل يبدأ الساوند
الذي يغطي سطحه الضباب إلى اليمين
وأمامه سقيفة خشبية وشجيرات
ولذا افترض أن للمنزل الصغير منافذ ثلاثة في مجموعها .
ذلك يناسب السكان الذين يعارضون الجور
والذين يمكن أن تطلبهم الشرطة .

## II ( أوجسبرج )

أصيل ربيعي في الضواحي .
منازل الضيعة الأربعة
تبدو بيضاء في الغسق .
العمال ما زالوا جالسين
إلى الموائد الداكنة في الفناء .
إنهم يتحدثون عن الخطر الأصفر * .
صبايا معدودات يخرجن لشرب البيرة
رغم أن جرس دير أورسولين النحاسي قد دق .
آباؤهن مرتدين القمصان ، يميلون فوق حواف النوافذ .
جيرانهن يلفون أشجار الخوخ بجوار حائط المنزل
بخرق بيضاء صغيرة تحميها من صقيع الليل .

## في سبتمبر من كل عام

في سبتمبر من كل عام حين يبدأ العام الدراسي
تقف النسوة في متجر الأدوات الكتابية على مشارف المدينة
وتشترين الكتب والكراسات لأطفالهن .
بيأس تتصيدن دراهمهن الأخيرة
من حقائب أيديهن البالية ، متأوهات
لأن المعرفة تكلف كل هذا . وليست لديهن أدنى فكرة
كم هي سيئة تلك المعرفة
المقررة على أطفالهن .

## زملاء دراستنا الأفقر من ضواحي المدينة

زملاء دراستنا الأفقر في معاطفهم الرقيقة

---

* المقصود بالخطر الأصفر الصينيون . وقد إنتشر هذا التعبير في ألمانيا بعد حرب « البوكسر » .

كانوا دائماً يأتون للدراسة متأخرين جداً
لأنهم كانوا يوصلون اللبن أو الصحف بدل أمهاتهم.
وكان الأساتذة
يسجلونهم في السجل الأسود ويطردونهم.

لم يكونوا يحضرون شطائر. وخلال الاستراحة
يكتبون واجباتهم في دورات المياه
كان ذلك ممنوعاً. فالاستراحة
هدفها الترويح والأكل.

حين يعجزون عن معرفة القيمة العشرية للرمز π
كان أساتذتهم يسألونهم:
لماذا لم تبقوا في البالوعة التي أتيتم منها؟
لكن ذلك شيء يعرفون إجابته.

كانوا يَعِدون التلاميذ الأفقر من ضواحي المدينة
بوظائف دنيا في خدمة الحكومة.
ولذا كانوا يستظهرون
محتويات كتبهم القديمة الممزقة بعرق جباههم
ويتعلمون أن يلعقوا أحذية مدرسيهم
وأن يحتقروا أمهاتهم.

تلك الوظائف الدنيا للتلاميذ الأفقر من ضواحي المدينة
كانت تحت الأرض. وكراسي مكاتبهم
بلا قاع. ولم يكونوا يطلّون سوى
على جذور النباتات القصيرة. فلماذا جعلوهم
يتعلمون قواعد اليونانية وحملات قيصر
ومعادلة الكبريت وقيمة الرمز π؟
في مقابر الفلاندرز * الجماعية، التي كانت مصيرهم

* مقابر ضحايا الحرب العالمية الأولى.

ماذا كانوا يحتاجون سوى
القليل من الجير الحي ؟

## بينما نسافر في سيارة مريحة

بينما نسافر في سيارة مريحة
عبر طريق مطير في الريف
رأينا عند حلول الليل شخصاً زرياً
يلوّح لنا لنوصله، بإنحناءة بالغة.
كان لدينا سقف ومتسع لكننا واصلنا السير
وسمعنا صوتي يقول، برنة كئيبة : لا
لا يمكننا اصطحاب أحد.
كنا قد قطعنا مسافة طويلة، ربما مسيرة يوم
حين صدمني فجأة صوتي هذا
وتصرفي هذا
وهذا العالم بأسره.

## في الأوقات الحالكة

لن يقولوا : عندما ارتجفت شجرة الجوز في الريح
بل سيقولون : عندما سحق النقاش * العمال.
لن يقولوا : عندما ألقى الطفل حجراً ناعماً فوق الجدول
بل : عندما كان يجري الإعداد للحروب الكبرى.
لن يقولوا : عندما دخلت المرأة الحجرة
بل : عندما اتحدت القوى العظمى ضد العمال.
لكنهم لم يقولوا : كانت الأوقات حالكة
بل سيقولون : لماذا كان شعراؤهم صامتين ؟

---

* الإشارة إلى هتلر.

## للقراءة صباحاً ومساء

ذلك ، الذي أحبه
قال لي
إنه يحتاجني .

ومن ثم
أحافظ على نفسي
وأراقب موضع أقدامي .
أخشى كل قطرة مطر
يمكنها أن تصرعني .

## الوداع

نتعانق .
تلمس يداي ثوبك الفاخر
ويداك ثوبي الزري .
العناق متعجل
فأنت في طريقك إلى وجبة جيدة
ورجال الجلاد
يقتفون أثري .
نتحدث عن الطقس .
وعن صداقتنا الدائمة . فأي شيء آخر
يكون بالغ المرارة .

## السوناتا التاسعة عشرة *

ذات يوم حين لم تصلني أخبار

---

* كتب بريخت هذه القصيدة في باريس في خريف ١٩٣٧ . ووضع لها عنواناً فرعياً هو « لقاء مع الحراس العاجيين ». والفيلة المذكورة =

استدعيت الحرّاس، الفيلة الستة
إلى قوس النصر فوقفوا
في الحادية عشرة في طريق واجرام.

نظروا إليّ، متمايلين بخفة. فقلت:
'حين سلمتها لرعايتكم
أمرتكم بأن يداس سبع مرات ليسحق
كل من يضايقها'.

وقفوا صامتين حتى رفع أضخمهم
خرطومه ليدوّي باحتقار
وأشار بتمهل خبيث إلى المذنب: أنا.

هجم القطيع مرعداً. ففررت -
فررت، وهم يتعقبونني، إلى مكتب البريد لأكتب خطاباً
متلفتاً خلال النافذة في وجل.

## المستشار المعتدل

يقولون لي إن المستشار لا يشرب
ولا يأكل اللحم ولا يدخن أبداً
ويعيش في مسكن متواضع.
لكنهم يقولون لي أيضاً إن الفقراء
يتضورون ويموتون في بؤس.
كم يكون أفضل بكثير أن نكون في حال يقول الناس عنها:
المستشار دائماً مخمور في اجتماعات مجلس الوزراء
يراقب الدخان المتصاعد من غلايينهم،
وقلة من غير المتعلمين يجلسون ليغيروا القوانين

= هي حلية صغيرة إعتاد بريخت إرسالها إلى مارجريت شتيفين من المدن التي يزورها.

وليس هناك فقراء .

## في العقم

شجرة الفاكهة التي لا تثمر
تسمى عقيماً .
فمن يفحص التربة .

الغصن الذي ينكسر
يسمى فاسداً ، لكن
ألم يكن فوقه جليد ؟

## في العنف

الجدول الهادر يسمى عنيفاً
لكن لا أحد يصف مجرى النهر الذي يبتلعه
بأنه عنيف .

العاصفة التي تحني أشجار البتولا
تعد عنيفة
لكن ماذا عن العاصفة
التي تحني ظهور عمال الطرق ؟

## قول *

قال الشاعر كين :
كيف أكتب أعمالاً خالدة ما دمت لست شهيراً ؟
كيف أجيب ما لم أُسأل ؟
كيف أضيع الوقت في الأشعار ما دامت ستضيع مع الزمن ؟
إنني أكتب اقتراحاتي بلغة صلبة
إذ أخشى أن يمر بعض الوقت قبل أن تُنفّذ .
فتحقيق هدف عظيم يتطلب تغييرات ضخمة .
والتغييرات الصغيرة هي أعداء التغييرات الضخمة .
لي أعداء ، ولذا لا بد أن أكون شهيراً .

---

* كين هو الاسم الذي اطلقه بريخت على نفسه في مي - ليّ .

# الرفيقة الطيبة م . ش *

أتيتكم كمعلم ، وكمعلم
كان يمكن أن أترككم . لكن لمّا كنت أتعلم
فقد بقيت . وحتى بعد ذلك
حين هربت طلباً لملاذ تحت سقف القش الدانماركي
لم أترككم .
وأعطيتموني واحدة منكم
لتذهب معي .

حتى يمكنها أن تفحص
كل ما أقول ؛ حتى يمكنها أن تحسّن
كل سطر من ذلك الحين فصاعداً .
فقد تربت في مدرسة المحاربين
ضد الاضطهاد .

منذ ذلك الحين صارت سندي -
بصحة سيئة
لكن بمعنويات عالية ، لا يمكن أن يغويها
حتى أنا . وكثيراً ما كنت
أشطب بنفسي سطراً ، وأنا أضحك متخيلاً
ماذا كانت ستقول عنه .

---

* م . ش هي مارجريت شتيفين ، التي لعبت دور الخادم في مسرحية « الأم » عام ١٩٣٢ ومنذ الحين ظلت في منزل بريخت حتى توفيت بعدها بعشر سنوات وكان منزل سكوفسبوشتراند مسقوفاً بالقش .

لكنها ، رغم ذلك ، كانت تدافع عني ضد الآخرين .
سمعت أنها حين كانت مريضة نهضت من فراشها
لتشرح لكم فائدة المسرحيات التعليمية
لأنها تعلم أنني أجاهد
لأخدم قضيتكم .

**خمس أغنيات لجندي الثورة ***

## أغنية جندي الثورة

١ .
أنا ، جندي الثورة ، أعرف
أنه لا فرق أين أذهب
فأية غرفة تصلح مكاناً للسكن .
ورغم أنها قذرة أو مظلمة ، فسأنتقل إليها
لأجعلها نقطة حصينة حيث يمكنني أن أضع
بندقيتي في وضع الاستعداد للاطلاق .

٢ .
لا يهمني أبداً كيف يبدو الحي
إذ يمكنني على الفور أن أرى ما يحتاجه الناس .
الحي العادي ليس بالغ السوء
بل فقط أولئك الذين يظنون أنهم يعرفون القيادة .
أولئك يجب مواجهتهم بنزاهة
عندها تصبح الحياة محتملة في كل مكان .

٣ .
حتى الصداقة لا أحتاجها ، فأنا
أبلغ وحدتي على الفور .

---

* مهداة جميعها إلى مارجريت شتيفين .

أولئك هم أصدقائي ، أولئك الرجال الواقفون هناك
رغم أنني قد لا أكون رأيتهم قبلاً .
أعرفهم كأصدقاء بالنهار أو الليل
لأنهم يقفون بجانبي مستعدين للقتال .

٤ .
أصدقائي سيخرجون ليجلبوا لي الخبز
ويضعوا في رأسي كلمات السر الجديدة
سيضمدون جراحي ويخففون ألمي
ويقودونني ثانيةً إلى الفجوة في الجدار
حتى أستطيع أن أعود ثانيةً
إلى المكان الذي اضطررت لإخلائه قبلها بقليل .

٥ .
وبافتراض أنني لا أستَطيع أن أعرج عائداً كل هذه المسافة
فسأواصل القتال حيثما نكون
بالتلفت حولِي ومحاولة اكتشاف
ما يصنع نصراً وما يصنع هزيمة .
بهذا المعنى هناك مواقع قتال مجهولة
يمكن لجندي الثورة احتلالها .

## حظ جندي الثورة

الجندي محظوظ .
السفن التي تحمله
تجيد الإبحار وتنال التقدير
وتعيده سالما .

بندقيته كذلك جيدة
أفضل ما يمكن الحصول عليه هنا .

تستحق الإعتزاز
والعناية كما يجب.

وحدته صلبة كالفولاذ
ومشهورة في كل الأرجاء
بأنها تؤدي أقصى ما يمكن
بفهم ومهارة

الجندي محظوظ.
في معمعان المعركة
تمنحه الشجاعة القوة ليقاتل
ولن يتراجع.

## الأوامر المستديمة للجندي م . ش .

١ .
قل ما شئت عن الحياة ،
فهي فوضى .
وقتٌ للراحة :
لنسمع ما يقول الجندي .
سأقولها من فوق كتفي :
لا تهذر معي .
أنا جندي
فالأفضل أن تدعني وشأني .

٢ .
البلد الذي أطأه
( قد يكون بدلاً من ذلك غرفة )
مهزوم ومختل
وأنا مسؤول منذ الآن
وليس ذلك تظاهراً بالتأكيد .

والمقاومة ستسحق.
أيتها الغرفة، أقولها واضحة من فوق كتفي:
لا تهذري معي.
أنا جندي
فالأفضل أن تدعيني وشأني.

.٣
أعامل معداتي بعناية
ردائي الذي لا يمكن أن يتمزق
بندقيتي التي أُسميها كلير
حماستي العسكرية
كلها هناك مرتبة.
أخي، أقولها واضحة من فوق كتفي:
لا تهذر معي.
أنا جندي
فالأفضل أن تدعني وشأني.

.٤
هذا لا يغيب عن بال الجندي
ويحاول أن يحفظه في قلبه:
حين تمضي
مصاعب الجبال
عندها سترى
أن مصاعب السهول تبدأه
أيتها المصاعب، أقولها واضحة من فوق كتفي:
لا تهذري معي.
أنا جندي
فالأفضل أن تدعيني وشأني.

.٥

الجندي يعطي الأوامر من أجل النصر .
يرفض أن يظل خارج الساحة .
لكن كل شيء على ما يرام ما دامت الأوامر تصل .
فدوماً سيجد الجندي فجوة .
أيها العالم ، أقولها واضحة من فوق كتفي :
لا تهذر معي .
أنا جندي
فالأفضل أن تدعني وشأني .

.٦

الجندي يسير ( قد يعرج أحياناً )
ولا يُهزم حتى يموت .
وحيث يستلقي
مكان محتل .
أيها المكان ، أقولها واضحة من فوق كتفي :
لا تهذر معي
أنا جندي
فالأفضل أن تدعني وشأني .

## جندي الثورة يلقى السخرية

أيها الجنرال بحذاء مثقوب
تلك الأوامر التي تطيعها :
أيمكنك أن تخبرني أوامر من ؟ و :
هل أكلت اليوم ؟

في رأسك ، إذن ، خطط ضخمة ؟
فقط : معدتك خاوية .

تقول إن لديك راية
لكن أين جيشك ؟

يا رجل الدولة بفردة سروال واحدة
هل تحت امرتك لوح كواء ؟
أو أن مجلس وزرائك
يجتمع تحت الجسر ؟

الملك يغلب الولد
والآس يغلب الملك .
سيخلد إسمك في التاريخ
لكنك تفتقر إلى أوراق هوية .

إذا كان إثنان وإثنان أربعة
فسوف تنال السلطة
( سيكون الأعلى أدنى حينها ) لكن :
هل لديك فراش الليلة ؟

## جوابه

إذا كان لي أن أرتدي حذاءً يمنع البلل
فهذا الحذاء لا يكسو قدمي
فلا بد إذن أن أركل كل من يعتذرون
بأن ليس لديهم حذاء لي كلما تقابلنا ـ
لا بد أن أملك سوق الجلود بأسره .

سروالي يتمزق .
لكي أتحمل الشتاء ولو قليلاً
أحتاج إلى سروال يلف مقعدتي
فلا بد إذن أن أعرف أين ذهبت السراويل ، وكبداية ـ
لا بد أن أملك كل صناعة النسيج في جيبي .

إذا أردتُ خبزا صالحاً للأكل
فلا بد أن أحطم أسواق القمح أولاً
وأخرج لأنال ثقة الفلاحين
وأرسل الآلات إلى الحقول لتجني القمح -
لا بد أن أزرع على نطاق هائل، هذا هو الأمر.

أما أولئك الذين أبقوني ذليلاً في الماضي
ولست مستعداً لخوض حروبهم
فلا بد أن أسخر من كل ما يقولون ويكتبون
وأثبت رايتي (راية حمراء) إلى السارية
وأعلن حربي عليهم.

## بداية الحرب

حين تصير ألمانيا مدججة بالسلاح
ستقع في خطأ محزن
ويشن الطبال حربه .

لكنكم ، رغم هذا ، ستدافعون عن ألمانيا
في البلاد الأجنبية ، التي لا تعرفونها
وتحاربون ضد أناس مثلكم .

سيجعجع الطبال عن التحرير
لكن القمع داخل البلاد سيكون بلا مثيل .

قد يتمكن من كسب كل المعارك
إلا المعركة الأخيرة .

وحين يخسر الطبال حربه
ستكسب ألمانيا حربها .

## بين ذوي الشأن الرفيع

يعدُّ الحديث عن الطعام وضاعة .
والحقيقة أنهم
قد أُكلوا فعلاً .

لا بد أن يرحل الوضعاء عن هذه الأرض
دون أن يكونوا قد ذاقوا
وجبة جيدة .

تجدهم الأمسيات العذبة
بالغي الإجهاد
من تساؤلهم من أين أتوا
وإلى أين يمضون .

وحين يوافيهم الأجل
لن يكونوا قد رأوا بعد
الجبال والبحر العظيم .

ما لم يفكر الوضعاء
فيما هو وضيع
فلن يرتفعوا أبداً

## خبز الجوعى أُكل عن آخره

اللحم أصبح مجهولاً .

وتصبُّب عرق الشعب صار بلا جدوى.
قطعت أغصان
خمائل الغار.
ومن مداخن مصانع الأسلحة
يتصاعد الدخان.

**النقّاش يتحدث**
**عن عصور عظيمة مقبلة**
الغابات ما زالت تنمو
الحقول ما زالت تثمر
المدن ما زالت قائمة.
والشعب ما زال يتنفس.

**في التقويم، ما زال اليوم**
**لم يحدد.**
كل شهر، كل يوم
يظل موضع احتمال. أحد تلك الأيام
ستوضع عليه علامة صليب

**العمال يصيحون طلباً للخبز**
التجار يصيحون طلباً للأسواق.
كان العاطلون جوعى. والعاملون
الآن جوعى.
الأيدي التي كانت مضمومة صارت مشغولة مرة أخرى.
إنها تصنع القذائف.

**الذين يأخذون اللحم من المائدة**
يعلّمون القناعة .
الذين ينالون المزايا
يطلبون التضحية .
الذين يأكلون ملء بطونهم يحدِّثون الجوعى
عن عصور رائعة قادمة .
الذين يقودون البلاد إلى الهاوية
يصفون الحكم بأنه بالغ الصعوبة
على الرجال العاديين .

**حين يتحدث الزعماء عن السلام**
يعرف العامة
أن الحرب قادمة .

حين يلعن الزعماء الحرب
يكون أمر التعبئة قد وُقّع .

**من في القمة يقولون إن السلام والحرب**
مختلفان جوهرياً .
لكن سلامهم وحربهم
مثل الريح والعاصفة .

فالحرب تخرج من سلامهم
كما يخرج الابن من أمه
ليحمل
ملامحها البشعة .

حربهم تقتل

ما يكون سلامهم
قد خلّفه.

**على الحائط كتابة بالطباشير:**
هم يريدون الحرب.
والرجل الذي كتبها
سقط صريعاً.

**من في القمة يقولون:**
هذا طريق المجد.
من في القاع يقولون:
هذا طريق القبر.

**الحرب القادمة**
ليست الأولى. فقد سبقتها
حروب أخرى.
عندما انتهت الحرب الأخيرة
كان هناك منتصرون ومهزومون
بين المهزومين
جاعت عامة الشعب. وبين المنتصرين
جاعت عامة الشعب أيضاً.

**من في القمة يقولون إن روح الرفاق**
تسود في الجيش.

ويظهر صدق ذلك
في المطعم.
قلوبهم يجب أن تحمل
نفس الشجاعة. لكن
صحونهم تحمل
نوعين من المقننات.

**حين يصل الأمر إلى التقدم لا يعرف الكثيرون**
أن عدوهم يتقدم على رأسهم.
فالصوت الذي يصدر إليهم الأوامر
هو صوت عدوهم
والرجل الذي يتحدث عن العدو
هو العدو نفسه.

**الوقت ليل**
الأزواج
ينامون في أسرّتهم. النساء الشابات
ستلدنَ يتامى.

**أيها الجنرال، دبابتك قوية**
تسحق الغابات وتهرس مئة رجل.
لكن بها عيباً واحداً:
أنها تحتاج إلى سائق.

أيها الجنرال، قاذفتك قوية.
تطير أسرع من عاصفة وتحمل أكثر من فيل.

لكن بها عيباً واحداً :
أنها تحتاج إلى ميكانيكي .

أيها الجنرال ، الإنسان مفيد جداً .
يمكنه أن يطير ويمكنه أن يقتل .
لكن به عيباً واحداً :
إذ يمكنه أن يفكر .

## الاغتسال *

### ك . ن

حين أريتك منذ سنوات
كيف تبدئين الصباح بالاغتسال
وقطع الثلج
في ماء الوعاء النحاسي الصغير
غامرةً رأسك ، وعيناك مفتوحتان
وبينما تجففين نفسك بالمنشفة الخشنة
تقرئين الأبيات الصعبة من دورك
من الورقة المثبتة في الحائط ، قلت :
ذلك شيء تصنعينه لنفسك ،
اجعليه مثالياً .

الآن أسمع أنك في السجن .
الرسائل التي كتبتها لصالحك

---

* ك . ن : هي الممثلة الألمانية كارولا نيهر . وقد اشتركت في تقديم امسية من الأغنيات بمناسبة زيارة بريخت لموسكو عام ١٩٣٥ . وأعتقلت في العام التالي مع زوجها المهندس الروسي - وكانا يعيشان معاً في موسكو - وأعدم زوجها بينما أرسلت هي إلى أحد المعسكرات حيث توفيت فيما بعد . وحتى عام ١٩٥٥ ظل بريخت يحاول معرفة ما جرى لها .

لم تلق رداً . والأصدقاء الذين أوصيتهم من أجلك
صامتون . أنا عاجز عن عمل شيء من أجلك .
ماذا سيجلب لك الصباح ؟ هل ستظلين تصنعين شيئاً لنفسك ؟
شيئاً آملاً ومسؤولاً
بحركات جيدة ، شيئاً مثالياً ؟

## موعظة المنزل المحترق لبوذا

كان جواتاما بوذا يُعلم
مذهب عجلة الجشع التي تربطنا ، وينصح
بأن نطرح عنا كل صبوة ، وهكذا
ندخل ، بلا رغبات ، العدم الذي يسميه نيرفانا .
وذات يوم سأله تلاميذه :
كيف يبدو هذا العدم ، أيها السيد ؟ كلنا سيطرح عنه
كل صبوة ، كما تنصح ، لكن أخبرنا
فربما يشبه العدم الذي سندخله عندئذ
التوحد مع كل المخلوقات
مثلما تستلقي في الماء ، في الظهيرة ، وجسدك بالأوزن ،
ولا تكاد تفكر ، تستلقي بكسل في الماء ، أو مثلما تغفو
ولا تكاد تدرك حينئذ أنك تسوي الملاءة
التي تنزلق بسرعة ـ هل هذا العدم ، إذن ،
عدم سعيد من هذا النوع ، عدم بهيج
أو أن هذا العدم الذي تقول به مجرد لا شيء ، بارد ،
وخاوٍ ، وبلا حس .
صمت بوذا طويلاً ، ثم قال بلا مبالاة :
ما من إجابة على سؤالكم .
لكن عند الغروب ، حين انصرفوا
كان بوذا ما يزال جالساً تحت شجرة الخبز ، وإلى الآخرين
إلى أولئك الذين لم يسألوا ، وجه هذه الموعظة :

منذ قليل ، رأيت منزلاً . كان يحترق . وكان اللهب
يلعق سقفه . فدنوت ولاحظت
أن أناساً ما زالوا بالداخل . فتحت الباب وناديتهم
قائلاً إن السقـف يشتعل ، مناشداً إياهم
أن يخرجوا على الفور . لكن بدا أن هؤلاء الناس
ليسوا في عجلة من أمرهم . وحين
أخذت الحرارة تلسع حاجبي أحدهم ،
شرع يسألني عن الجو في الخارج ، ألم تكن السماء تمطر
ربما كانت الريح تهب ، ألا يوجد
منزل آخر لهم ، وأشياء من هذا القبيل . ودون جواب
بارحت المكان . وفكرت أن هؤلاء الناس
سيظلون يحترقون حتى الموت قبل أن يكفوا عن الأسئلة .
حقاً ، يا أصدقاء
ما لم يشعر المرء بأن الأرض شديدة الحرارة
تحت قدميه فلن يرحب
باستبدالها بأية أرض أخرى ، بدلاً من البقاء ،
وليس لديّ ما أقوله له . هكذا تحدث جواتاما بوذا .
لكننا نحن أيضاً ، الذين لم نعد نهتم بفن الخضوع
بل بفن عدم الخضوع ، ونطرح
مختلف المقترحات ذات الطبيعة الواقعية ، ونناشد
الناس أن يزيحوا
مضطهديهم من البشر . نحن أيضاً نعتقد أن أولئك
الذين ، في وجه أسراب قاذفات رأس المال المقتربة ،
يلجون في السؤال
عن كيف نقترح عمل هذا ، وكيف نتصور ذاك
وماذا سيكون مصير مدخراتهم وسراويل يوم الأحد
بعد الثورة ،
أولئك ، ليس لدينا ما نقوله لهم .

## حديث عامل إلى طبيب

نعرف ما يمرضنا .
وحين نمرض يقال لنا
إنك أنت الذي ستشفينا .

يقال لنا إنك درست العلاج
عشر سنوات في المدارس الجيدة
المقامة على حساب الشعب .
وإنك أنفقت ثروة
لتحصّل معرفتك .
ولذا لا بد أنك تستطيع شفاءنا .

فهل تستطيع شفاءنا ؟

حين نأتيك
تكون خرقنا ممزقة
وتتسمع أنت بطول أجسامنا العارية .
أما سبب مرضنا
فنظرة واحدة إلى خرقنا كافية
لإخبارك بالمزيد . إنه نفس السبب
الذه يُبلي أجسامنا وثيابنا .

تقول إن الألم في أكتافنا
يأتي من الرطوبة ؛ وهذا هو أيضاً سبب
البقعة على حائط مسكننا .
فأخبرنا إذن :
من أين تأتي الرطوبة ؟

العمل الكثير والطعام القليل
يجعلنا ضعافاً ونحافاً .
وتذكرتك تقول :
زيدوا وزنكم .
وكأنك تقول لثور
ألا يعرق .

كم تمنحنا من وقتك ؟
إننا نرى : أن سجادة واحدة في مسكنك
تساوي أجرك
من خمسة آلاف فحص .

ستقول ، بلا شك ،
إنك بريء . وبقعة الرطوبة
على حائط مساكننا
تقول نفس الشيء .

## حرق الكتب *

حين أمر النظام بحرق الكتب ذات المعرفة الضارة
علناً ، ومن كل الأنحاء
اقتيدت الثيران لتجر ملء عربات من الكتب
إلى النيران ، فحص أحد الشعراء المنفيين ،
أحد أفضلهم ، قائمة المحروقين ،
وصدمه أن يجد أن كتبه
قد نُسيت . اندفع إلى مكتبه
على جناح السخط ، وكتب خطاباً لمن في السلطة
احرقوني ! كتب والريشة تطير ، احرقوني !
لا تعاملوني هكذا ! لا تغفلوني ، ألم أكن أنقل الحقيقة دائماً
في كتبي ؟ والآن أُعامل ككاذب ! إنني آمركم :
إحرقوني .

---

* حضر غوبلز ، احتفال حرق الكتب في برلين والذي جرى بين الجامعة ودار الأوبرا في ١٠ مايو ١٩٣٣ ورافقته إحتفالات مماثلة في ميونيخ وفرانكفورت ، ودرسدن ، وبرسلاو . ويعتقد أن الكاتب المشار اليه في القصيدة هو «أوسكار ماريا جراف» الذي لم يظهر اسمه في القائمة التي ضمت بريخت في ٢٦ مارس لكنه ظهر في قائمة تالية في مايو . وقد هاجر جراف إلى تشيكوسلوفاكيا .

# حلم عن مشاكسة عظيمة

(خلال أزمة بطاطس)

رأيت حلماً:
في مواجهة دار الأوبرا
حيث ذهب النقّاش لإلقاء خطابه الكبير
فجأة تمددت أمام الشعب المنتظر
حبة بطاطس هائلة، أكبر من تل،
وألقت كذلك خطاباً.
قالت بصوت عميق،
جئت لأحذركم، بالطبع أعلم
أنني مجرد حبة بطاطس، شخص ضئيل
غير هام، لا يلاحظ كثيراً، ولا يكاد يذكر
في كتب التاريخ، ودون نفوذ
في المجتمع الراقي. حين يجري الحديث عن أشياء عظيمة
عن 'الشرف' و 'المجد'، أتخذ مقعداً خلفياً.
يقال إن من الوضاعة
أن تفضلوني على المجد. لكنني قمت بدوري
لأساعد الناس ليظلوا أحياء في وادي الدموع هذا.
والآن حان الوقت للاختيار
بيني وبين ذلك الرجل هناك. الآن
إما هو أو أنا. إذا اخترتموه
تفقدونني. لكن إذا كنتم تحتاجونني
فلا بد أن تلقوه بعيداً. هكذا أعتقد
أنكم لا يجب أن تبقوا طويلاً هناك، منصتين إلى ذلك الرجل
الذي سيطوحني برمتي. وحتى لو قال إنكم ستموتون
لو تمردتم عليه، فلا بد أن تتذكروا
أنكم بدوني ستموتون أيضاً، كما سيموت أطفالكم.

هكذا تحدثت حبة البطاطس ، وببطء
بينما مضى النقاش يخور في دار الأوبرا
يسمعه الشعب كله خلال مكبرات الصوت ، بدأت ،
كما لو كانت تبين أنها تعني ما تقول ،
في تقديم عرض شرير ، على مرأى من كل الشعب ،
أخذت تتضاءل

مع كل كلمة ينطقها النقاش
لتصبح أصغر ، وأحقر ، وأقرب للبذرة .

## صعوبة الحكم

. ١
الوزراء يحكون للشعب دوماً
عن صعوبة الحكم . فبدون الوزراء
ستنمو الذرة نحو الأرض ، وليس إلى أعلى .
ولن تغادر المنجم حفنة فحم
لو لم يكن المستشار بهذه البراعة . وبدون وزير الدعاية
لن تقبل فتاة أن تحمل أبداً . وبدون وزير الحرب
لن تكون حرب أبداً . وفي الحقيقة ، فإن من المشكوك فيه جداً
أن تشرق الشمس في الصباح
دون إذن الفوهرر ، وإذا فعلت ،
ستكون في المكان الخطأ .

. ٢
ونفس الصعوبة ، كما يقولون لنا
في إدارة مصنع . فبدون المالك
تنهار الحوائط وتصدأ الآلات ، هكذا يقولون .
حتى لو أمكن صنع محراث في مكان ما

. ٢
بقلق
يقطع الباحث مناقشته ليفحص
جدران مكتبه الرقيقة ، بوجه شاحب . والمدرس
يرقد مؤرقاً ، تقلقه
جملة غامضة أفلتها المفتش .
والمرأة العجوز في دكان البقال
تسد شفتيها بإصبعها المرتجف
لتكتم تعجبها الغاضب من رداءة الدقيق . وبقلق
يفحص الطبيب آثار الخنق على رقبة مريضه .
ومفعمين بالقلق ، ينظر الآباء إلى أطفالهم كخونة .
وحتى المحتضرين
يخفضون أصواتهم الواهنة
وهم يودعون أقاربهم .

. ٣
وبالمثل ، فإن ذوي القمصان البنية أنفسهم
يخشون الرجل الذي لا ترتفع ذراعه بالتحية
ويرعبهم الرجل
الذي يلقي عليهم تحية الصباح .
والأصوات المدوية لمن يصدرون الأوامر
يملأها الخوف كصرخات الخنازير الصغيرة
في انتظار سكين الجزار ، بينما مؤخراتهم المترهلة
تعرق بالقلق على كراسي مناصبهم .
وبدافع القلق
يقتحمون البيوت ويفتشون دورات المياه
والقلق
يجعلهم يحرقون مكتبات بأكملها . وهكذا فإن الخوف

يحكم ليس المحكومين فقط،
بل الحكام كذلك.

.٤
لماذا يخشون الكلمة الحرة هكذا؟

.٥
باعتبار قوة النظام المفرطة
ومعسكراته وأقبية تعذيبه
وشرطته الجيدة التغذية
وقضاته الخائفين أو الفاسدين
وأرشيفاته بقوائم المشبوهين
التي تملأ مبانٍ كاملة حتى السقف
قد يعتقد المرء أنهم لا يجب أن يخشوا
كلمة حرة من رجل بسيط.

.٦
لكن رايخهم الثالث يذكرنا
ببيت تار، الأشوري، تلك القلعة الحصينة
التي لا يمكن، كما تقول الأسطورة، أن يسقطها أي جيش، لكن
حين تنطق فيها كلمة واحدة مدوية
تتحول تراباً.

## حظر النقد المسرحي *

حين أراد وزير الدعاية
منع نقد الشعب للحكومة
مَنَع النقد المسرحي. فالنظام

* فور توليهم السلطة أظهر النازيون كراهيتهم للنقد الفني. ووضعت قيود كثيرة عليه قبل أن يعلن غوبلز، وزير الدعاية، =

يكن حباً جارفاً للمسرح . وإنجازاته
مسرحية أساساً .
واستخدامه البارع للأضواء
لم يفده أقل
من استخدامه البارع لهراوة المطاط
وعروضه الباذخة
تذاع بالراديو عبر الرايخ بأسره .
وفي ثلاثة أفلام ضخمة
بلغ طول آخرها ٢٦ ألف قدم
لعب البطل دور الفوهرر .
وزيارة هذه العروض ترتب على أساس إجباري
لتطوير مشاعر الشعب تجاه المسرح .
وفي أول مايو كل عام
حين يظهر ممثل الرايخ الأول
في دور عامل سابق
يجري الدفع للجمهور مقابل الحضور :
ماركين لكل شخص . ولا يبخلون بشيء في سبيل المهرجان
الذي يقام قرب بايرويت باسم REICHSPARTEITAG .
فالمستشار نفسه يظهر
في دور مخبول من طراز بارسيفال

---

الحظر الشامل للنقد الفني في ٢٦ نوفمبر ١٩٣٦ . وفي أول مايو من ذلك العام أعلن غوبلز في خطاب أمام غرفة الثقافة أن أية مناقشة للمنجزات الفنية «يجب أن تقتصر على المحررين الذين يتولون هذه المهمة بنقاء إشتراكي - قومي للقلب والنظرة». وقد تبنى النازيون عيد أول مايو ليكون عيد العمال وأما Reichparteitag فهو الاستعراض السنوي لمؤتمر الحزب الذي كان يجري في نورمبرغ . وعبارة Nie sollst du mich befragen من ألحان 'لوهنجرين' المشهورة وتعني : أبداً لن تسألوني .

منشداً مرتين يومياً لحنه الشهير
NIE SOLLST DU MICH BEFRAGEN
واضح أن هذا الانتاج الباهظ التكلفة
يحتاج إلى الحماية من أي نأمة نقد .
فما الذي لا يمكن أن يحدث
لو استطاع الجميع انتقاد
اسراف قائد شباب الرايخ بالدور في استخدام المكياج
أو حقيقة أن صوت وزير الدعاية يرن رنيناً يبلغ من زيفه
أن المرء لا يمكنه تصديق أي شيء يفعله ، ولا حتى
ضربة قدمه ؟ باختصار فإن كل هذا النشاط المسرحي
يتطلب حظراً كاملاً على التفوه بالنقد ؛ وفي الحقيقة
لا يجب حتى ذكر اسم المسرحية
ولا من يدفع تكاليف العرض
ولا من يلعب الدور الرئيسي

## حب الفوهرر

حب الشعب للفوهرر هائل .
فحيثما ذهب
يحيطه أناس بأردية سوداء
يبلغ من فرط حبهم له
أنهم لا يحولون أعينهم عنه .
وما أن يجلس في مقهى
حتى يجلس معه خمسة عمالقة
ليروّحوا عنه .

وحدات الحماية * [SS] خصوصاً ، يبلغ من حبها له

* وحدات الحماية SS : شكلها هتلر وكان هو قائدها . وكانت تشكل حرسه الخاص ، وتتكون من العناصر الجرمانية النقية . اشتهرت =

أنها تحسد من يكون معهم
فلا تبارحه .
يا لها من غيور . وحين ذهب مرة
في عطلة نهاية الأسبوع في رحلة بحرية مع بعض الجنرالات
وقضى معهم ليلة واحدة
اندلع تمرد بين صفوف قوات العاصفة (S A) ، وكان عليه
أن يقتل المئات .

## ما لا يعرفه الفوهرر

حسب ما يعتقد العديد من البسطاء
لا يعرف الفوهرر
أن وزير تعليمه دائماً مخمور
وأن قائده لجبهة العمل لا يفيق أبداً
وأن وزير دعايته يكذب ، كلما فتح فمه .
أن وزير حربيته يعد لحرب
وأن وزير شرطته لديه قرائن
على أن وزير الطيران ، في سبيل الرشوة
يسمح لكبار الصناعيين

---

= بقسوتها ونفوذها الواسع ، وكان أشد هذه القوات قسوة هي المجموعات الخاصة ذات الزي الأسود والتي كانت تراقب العسكريين والمدنيين على حد سواء . أما قوات العاصفة SA فهي أول قوات شكلها النازيون عام ١٩٣٣ من بقايا الجنود الذين اشتركوا في الحرب العالمية الأولى . وكانت الأحزاب اليمينية قبل هتلر تستخدم هذه القوات في عمليات قتل المسؤولين عن معاهدة فرساي التي كانوا يعتبرونها خيانة وطعنة في الظهر لمصالح المانيا التوسعية . ثم استخدمها هتلر في عمليات الشوارع والعمليات القذرة لقتل واختطاف التقدميين والشيوعيين وإرهاب الأحياء العمالية . وقد تم قتل قوادها جميعاً في ليلة واحدة «ليلة الخناجر الطويلة» بسبب تزايد نفوذهم .

بإمداد الدولة بآلات فاسدة.
حسب ما يعتقد العديد من البسطاء
لا يعرف الفوهرر كذلك أن الناس
يُضربون حتى الموت في سجونه ومعسكراته
وأن الأطفال في مجموعاته يشون بآبائهم لدى الشرطة
وأن أموال معونة الشتاء تختفي ليعيش عليها
بعض الناس في الصيف.
أن أبناء الأمهات الألمانيات يباعون لاسبانيا.
أن الصناعيين يضاعفون أرباحهم ثلاث مرات.
لو عرف الفوهرر كل ذلك
الذي لا يعرفه حسب ما يعتقد العديد من البسطاء
ألن يبعث عندئذ في طلب بعض الشرفاء
(والأفضل أن يكون ذلك من أحد معسكرات اعتقاله)
ويسألهم أن يعلقوا حول رقبته شارة تقول:
كنت قائداً إلى الهاوية
وهكذا، بالشارة حول رقبته، يطوف بالبلاد المهدمة
حتى يدرك الجميع الأمر؟
ألن يفعل ذلك؟ ماذا تظنون؟

## عزاء المستشار *

من عادة المستشار
بعد ضربات القدر القاصمة
أن يشد من عود أتباعه ثانيةً بخطبة عظيمة.
الحصَّاد كذلك، فيما يقال،
يحب أعواد القمح المنتصبة.

---

* المستشار: المقصود به هتلر.

## المدافع قبل الزبد *

١ .
ملاحظة الجنرال غورنـغ الشهيرة
أن المدافع يجب أن تأتي قبل الزبد
صحيحة بقدر ما تحتاج الحكومة
إلى مدافع أكثر كلما قل لديها الزبد
فكلما قل لديها الزبد
زاد أعداؤها .

٢ .
كذلك يجب أن يقال
إن المدافع على معدة خاوية
لا تروق كل شعب .
ويقولون إن مجرد ابتلاع الغاز
لا يروي الظمأ
ودون سراويل صوفية
فالجندي ، ربما ، لا يكون شجاعاً سوى في الصيف .

٣ .
حين تنفذ ذخيرة المدافع
يتعرض ضباط المقدمة
لحدوث فجوات في ظهورهم .

## وماذا عن بلادكم ؟ **

في بلادنا ، عند انتهاء العام

---

* جنرال الرايخ غورنـغ كان الرجل الثاني بعـد هتلـر . وقـد تـولى مسؤولية خطة التنمية الاقتصادية الرباعية في اكتوبر ١٩٣٦ .
** أرسلها بريخت كتحية لليون فويشتفينجر .

وعند الفراغ من عمل ، وفي يوم الميلاد
علينا أن نتمنى للطيب حظاً
فالصادق في بلادنا
يحتاج حظاً .

من لا يضر أحداً
يسقط في بلادنا تحت العجلات .
لكن الثروات
لا تكسب سوى بالخداع .

الحصول على الغداء
يحتاج إلى الجسارة
التي تقام بها الامبراطوريات .
ودون النظر في عين الموت
لا يساعد البائس أحد .

من يقص الأكاذيب ، يحمل على الأعناق
ومن ، على النقيض ، يروي الحقائق
يحتاج إلى حارس
لكنه لا يجده .

## حول تعريف المهاجر

سمونا إسماً دائماً أجده زائفاً : مهاجرون
ويعني أولئك الذين تركوا بلدهم . لكننا
لم نتركه بمحض إرادتنا ،
مختارين بلداً آخر . كذلك لم ندخل بلداً
لنبقى فيه ، لو أمكن ؛ إلى الأبد .
فقط ، فررنا . نحن مطرودون . ممنوعون .
البلد الذي آوانا ، لن يكون وطناً ، بل منفى .

هكذا، ننتظر بقلق، أقرب ما يمكننا إلى الحدود
مترقبين يوم العودة، وكل تغيير طفيف
مراقبين ما وراء الحدود، سائلين بلهفة
كل من يصل، لا ننسى شيئاً ولا نتخلى عن شيء
كذلك لا نغفر شيئاً مما حدث، لا نغفر شيئاً.
آه، صمت الساوند لا يخدعنا! حتى هنا
نسمع الصرخات من معسكراتهم. حقاً إننا، نحن أنفسنا
نكاد نكون كشائعات الجرائم، التي تسربت
عبر الحدود. كل من يسير منا
بحذاء ممزق عبر الزحام
هو شاهد على العار الذي يلطخ الآن بلدنا.
لكن لا أحد منا
سيبقى هنا. الكلمة الأخيرة
لم تُنطق بعد.

## تأملات حول مدة المنفى *

I

لا تدق مسماراً في الجدار
إكتف بإلقاء معطفك فوق الكرسي.
لماذا تجهز لأربعة أيام؟
غداً ستعود إلى الوطن.

دع الشجيرة دون ري.
لماذا تزرع شجرة الآن؟
قبل أن تبلغ ارتفاع العتبة
سترحل من هنا مبتهجاً.

---

* لحنها آيزلر.

إجذب قلنسوتك فوق عينيك حين يمر الناس .
ما فائدة التقليب في صفحات قواعد لغة أجنبية ؟
الرسالة التي تستدعيك إلى الوطن
مكتوبة بلغة معروفة .

كما يتساقط الجير من السقف
( لا تفعل شيئاً لتوقفه ! )
سيتهاوى حاجز العنف
المقام على الحدود
ليمنع العدالة .

II

أنظر إلى المسمار الذي دققته في الجدار :
متى تظنك ستعود ؟
أتود معرفة ما تقوله أعمق أعماقك ؟
يوماً بعد يوم
تجلس في غرفتك ، وتكتب .
أتود معرفة رأيك في عملك ؟
أنظر إلى شجيرة القسطل في ركن الفناء -
اليوم حملت إليها دلو ماء كامل .

## الملاذ

فوق السقف مجداف . ريح معتدلة
لن تُطيِّر القش .
في الفناء أعمدة
لأرجوحة الأطفال .
البريد يصل مرتين يومياً
حيث تُرتقب الرسائل .

على الساوند تأتي العبّارات .
وللمنزل أربعة أبواب للهرب .

## ربيع ١٩٢٨ *

I

اليوم ، صباح أحد الفصح
إجتاحت الجزيرة عاصفة ثلجية مفاجئة .
وبين شجيرات السياج المخضوضرة تراكم الجليد . اقتادني
إبني الصغير إلى شجيرة مشمش بجوار الجدار
بعيداً عن قصيدة وجهت فيها إصبع الاتهام
إلى أولئك الذين يعدّون لحرب
يمكن أن تمحو القارة بأسرها ، وهذه الجزيرة ، وشعبي ، وعائلتي
وأنا نفسي . في صمت
لففنا جوالاً
حول الشجيرة المتجمدة .

II

فوق الساوند تتلكأ سحب المطر . لكن الشمس
ما زالت تصبغ الحديقة بالذهب . أشجار الكمثري
بأوراق خضراء ولا براعم بعد ، بينما الكرزات
تحمل براعم دون أوراق . والعناقيد البيضاء
تبدو وكأنها تنمو من الأغصان الذابلة .
فوق صفحة الساوند المجعدة
يمضي قارب صغير بشراع مرقّع .
وشقشقة أفراخ الطير
يقطعها الدويّ البعيد
لنيران البحرية في مناورات

---

* لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو .

الرايخ الثالث.

III

فوق الصفصافات على ضفة الساوند
تنعق البومة دوماً في هذه الليالي الربيعية.
ووفق خرافة ريفية
تبلغ البومة الناعقة الناس
بأنهم لم يتبقَ في حياتهم الكثير. وأنا
الذي أعلم جيداً أنني قلت الحقيقة
عن كل القوى مهما كانت، لست بحاجة لطائر الموت
ليبلغني بذلك.

## لص الكرز *

ذات صباح باكر، قبل صياح الديك بكثير
أيقظني صفير فذهبت إلى النافذة.
فوق شجرة كرزي - والفجر الرمادي يملأ الحديقة -
جلس شاب، في سروال مرقّع
يلتقط كرزاتي بمرح. وحين رآني
أومأ، وبكلتا يديه
حشر في جيوبه الكرزات من الغصون.
لفترة طويلة وأنا أتمدد ثانيةً في الفراش
ظللت أسمعه يصفر أغنيته الصغيرة المرحة.

## تقرير عن طريد**

حين وطأ الطريد جزيرتنا

---

* لحنها آيزلر عام ١٩٤٢ لتغنى بمصاحبة البيانو.
** من المعتقد أن هذه القصيدة تشير إلى طبيب من فيينا هاجر إلى الدانمارك وكان يعتزم الاشتراك مع بريخت في كتابة عمل.

أتى كمن بلغ غايته .
أكاد أعتقد أنه حين رآنا
نحن الذين هرعنا لمساعدته
أحس على الفور بالاشفاق علينا .
من البداية
شغل نفسه بشؤوننا دون سواها .
وعلمنا الابحار ، مستفيداً بدروس
غرق زورقه . حتى الشجاعة
بثها فينا . كان يتكلم
عن المياه العاصفة باحترام كبير ،
لأنها ، ولا شك ، هزمت رجلاً مثله .
لكنها ، بالطبع ، كشفت العديد من حيلها .
قال إن هذه المعرفة ستجعلنا ، نحن تلاميذه ،
رجالاً أفضل . ولأنه كان يفتقد أطعمة معينة
فقد حسّن طهينا .
ورغم وضوح عدم رضاه عن نفسه
لم يكن راضياً للحظة عن الأوضاع
التي تحيط به أو بنا . لكنه
طول الوقت الذي قضاه معنا
لم نسمعه أبداً يشكو من أحد سوى نفسه .
مات بتأثير جرح قديم . وحتى حين كان طريح الفراش
كان يختبر عقدةً جديدة لشباكنا . وهكذا
مات وهو يتعلم .

# في وفاة محارب من أجل السلام

(في ذكرى كارل فون أوسيتسكي )*

ذلك الذي لم يستسلم
أُسقط صريعاً
ذلك الذي أُسقط صريعاً
لم يستسلم.

صوت النذير
قد أُسكِت بالتراب.
والمغامرة الدامية
تبدأ.
فوق قبر من أحب السلام
تدوس الكتائب.

هل كان القتال عبثاً، إذن ؟

حين يُصرع من لم يحارب وحده
فالعدو
لم ينتصر بعد.

---

* كان كارل فون أوسيتسكي Ossietzky ( ١٨٨٩ ـ ١٩٣٨ )، محرر صحيفة «مسرح العالم» Die Weltbühne ما بين ١٩٢٧ و ١٩٣٣. وكان مسالماً ضئيل الجسم معتل الصحة. سجن عام ١٩٣١ لمعارضته إعادة تسليح المانيا لكنه رفض مغادرة البلاد عند استيلاء النازيين على السلطة. وفي عام ١٩٣٣ وُضع في معسكر إعتقال كان ما يزال سجيناً فيه حين منح جائزة نوبل للسلام عام ١٩٣٦.

## شكوى المهاجر

كنت أكسب خبزي وآكله مثلك تماماً .
أنا طبيب ، أو على الأقل كنت .
لون شعري ، وشكل أنفي
كلفاني بيتي ، وخبزي وزبدي أيضاً .

من قاسمتني الفراش سبع سنوات
يدي حول عجيزتها ، وخدها لصق خدي
جرتني إلى المحكمة . وسبب مهانتي :
أن شعري أسود . هكذا تخلصت مني .

لكنني هربت ليلاً عبر غابة
( لأسباب تتعلق بأجداد أمي )
لأجد بلداً يستضيفني .

إلاّ أني بحثت عن عمل دون جدوى .
قالوا لي ، أنت وقح .
فقلت : لست وقحاً ، أنا ضائع .

### أربع قصائد عن المسرح

## تصوير الماضي والحاضر في آن *

مهما كان ما تصورونه فيجب دائماً أن تصوروه
كما لو كان يجري الآن . مستغرقاً
يجلس الجمهور الصامت في الظلام ، منصرفاً

---

* ضمت لمجموعة قصائد المسنجكاوف . ومشهد زوجة الصياد مأخوذ من مسرحية « بنادق السنيورة كارآر ». لبريخت والتي عرضت في باريس في اكتوبر ١٩٣٧ . وفي كوبنهاجن في فبراير ١٩٣٨ .

عن شؤونه العادية . الآن
يحضرون إلى زوجة الصياد إبنها
الذي قتله الجنرالات . حتى ما حدث في غرفتها
للتو قد جرى محوه . فما يحدث هنا
يحدث الآن وهذه المرة فقط. التمثيل بهذه الطريقة
مألوف لكم ، والآن أنصحكم
أن تقرنوا هذه العادة بأخرى : هي أن تمثيلكم
يجب أن يعبّر في نفس الوقت عن حقيقة أن هذه اللحظة
على خشبة مسرحكم تتكرر دائماً ؛ بالأمس فقط
كنتم تمثلونها ، وغداً أيضاً
إذا وجدتم جمهوراً ، سيجري عرض آخر .
كذلك لا يجب أن تدعوا «الآن» تحجب
«السابق» و «اللاحق»، ولا شيء
شبيهاً مما يجري الآن خارج المسرح
ولا حتى شيئاً مما لا صلة له بها - لا يجب
أن تسمحوا بأن يُنسى شيء من هذا .
يجب ببساطة أن تجعلوا اللحظة
تبرز ، دون أن تخفي خلال ذلك
ما تجعلونها تنتج عنه . امنحوا تمثيلكم
تعاقب الأشياء المتتابعة ، وموقف
تطوير ما اضطلعتم به . بهذه الطريقة
ستعرضون تدفق الأحداث وكذلك مسار
عملكم ، وتتيحون للمشاهد
أن يَخْبَرَ هذه «الآن» على مستويات متعددة ، قادمة
من «السابق» وممتزجةً في «اللاحق»، ومعها الآن الكثير غيرها
يرافقها . فالمشاهد ليس جالساً
في مسرحكم فقط بل كذلك
في العالم .

# في الحكم*

أيها الفنانون الذين ، من أجل البهجة أو الألم
تضعون أنفسكم أمام حكم الجمهور
ليكن دافعكم الآن
أن تضعوا كذلك أمام حكم الجمهور
العالم الذي تعرضونه .

يجب أن تعرضوا ما هو موجود ؛ لكن يجب أيضاً
وأنتم تعرضون ما هو موجود ، أن تشيروا إلى ما هو ممكن وليس موجوداً
ويمكن أن يكون مناسباً . فمن خلال تصويركم
لا بد أن يتعلم الجمهور التعامل مع ما تصورونه .
وليكن هذا التعلم ممتعاً . فالتعلم يجب أن يُعلّـم
كفن ، ويجب أن تعلموا
التعامل مع الأشياء والناس
كفن أيضاً ، وممارسة الفن ممتعة .

إنكم ، بالتأكيد ، تعيشون في زمن حالك . ترون الإنسانَ
تتقاذفُهُ قوى الشر ككرة .
الأحمقُ فقط يحيا بلا هموم . والغافلون
مقضيٌ عليهم . فما قيمة زلازل العصر السحيق
الرمادي بالمقارنة مع ضروب البلاء
التي نعانيها في المدن ؟ وماذا تكون السنوات العجاف
بالمقارنة مع الفاقة التي تسحقنا في قلب الوفرة ؟

---

* ضمت الى قصائد المسنجكاوف .

## حول الموقف النقدي *

الموقف النقدي
يصدم العديدين باعتباره غير مثمر.
ذلك لأنهم يجدون الدولة
منيعة أمام نقدهم.
لكن ما هو في هذه الحالة موقف غير مثمر
هو مجرد موقف واهن. إمنح النقد أسلحة
يمكنه أن يقوّض دولاً.

التحكم في مياه نهر
تطعيم شجرة فاكهة
تثقيف شخص
تحويل دولة
تلك أمثلة للنقد المثمر
وفي نفس الوقت
أمثلة للفن.

## مسرح العواطف **

بيني وبينكم، يبدو لي عملاً تعساً
تقديم المسرحيات
لمجرد إثارة المشاعر الكافية. إنكم تذكرونني بالمدلكين
الذين يغرسون أصابعهم في جنوب مترهلة،
كما في عجين، ليدلكوا كروش الكسالى.
مواقفكم جُمّعت على عجل
لتدفع الزبائن إلى السخط

---

* أضيفت إلى قصائد المسنجكاوف.
** ضمت إلى قصائد المسنجكاوف.

أو الألم . هكذا يصبح الجمهور
نظارة . والمتخمون يجلسون
جنباً إلى جنب مع الجائعين .

العواطف التي تصطنعونها عكرة وملوثة
عمومية وهلامية ، لا تقل زيفاً
عن الأفكار . ضربات كئيبة على الظهر
تدفع خَبَث الروح للطفو على السطح .
بعيون زجاجية
وجبين مبلل بالعرق وأفخاذ منقبضة
يتتبع الجمهور المسمم
عروضكم .
فلا عجب أنهم يشترون تذاكرهم
أزواجاً . ولا عجب أنهم
يحبون الجلوس في الظلام الذي يخفيهم .

**سوناتات أدبية**

## حول مسرحية شيكسبير «هاملت»

ها هو الجثمان ، منتفخ وخامل
هنا يتبدى العقل كمرض عضال .
كم يبدو عاجزاً ، في قميصه ، بين رفاقه المدججين بالصلب
هذا الطفيلي المتأمل في ذاته .

حتى يجعلوه يسمع الطبول
التي يدقها فورتنبراس للحمقى الألف
الذين يقودهم إلى الحرب من أجل قطعة الأرض تلك
"التي لا تتسع قبراً . . . لإخفاء القتلى" .

عندها يفلح الجسد المنتفخ في الاحساس بالغضب .

يحس أنه تردد بما يكفي .
حان الوقت ليلتفت إلى الأفعال (الدامية) .

هكذا يومىء المرء متجهماً حين يدرك
"ما كان سيثبته دون إخفاق
بجلالة سامية ، لو كان قد ارتقى العرش" .

## حول تراجيديا لنتس البرجوازية "المربي"

هاكم فيجارو كما يبدو على هذا الجانب من الراين !
النبلاء يتلقون العلم من الرعاع
الذين نالوا هناك السلطة ، وهنا الشرف :
هكذا صارت كوميديا هناك ، ولم تفعل هنا .

يا للرجل البائس ، بدل الأدب
يفتش بعينيه بلوزة تلميذته الغنية .
وبدل قطع عقدة جورديوس*
لا يملك هذا التابع سوى أن يفلت زمامه .

الآن يدرك أن خبزه
يحلق بعيداً كلما انتصب عضوه .
عليه إذن أن يختار ، وهو يختار .

أمعاؤه تتذمر ، وذهنه يصفو .
يصرخ ، ويتأوه ، ويسب ، ويخصي نفسه .
هذا ما يتهدج صوت الشاعر وهو يصفه .

---

* عقدة جورديوس - أو العقدة الجوردية - هي العقدة التي صنعها الملك جورديوس متحدياً أن يستطيع أحد فكها . وقد أنهى الاسكندر الأكبر المشكلة بأن قطعها بسيفه .

## حول تعريف كانت للزواج في
## «ميتافيزيقا الأخلاق»

عقد الاستخدام المتبادل
للثروة والأعضاء الجنسية
الذي كان يعنيه الزواج بالنسبة له ، يبدو لي
أن المطالبة به الآن عاجلة ومبررة .

أسمع أن بعض الشركاء يقصرون
أعضاؤهم الجنسية - ولا أظن ذلك كذبة -
أخذت حديثاً في التهرب :
هذه ثقوب في الشبكة ، ثقوب واسعة .

لا يبقى سوى اللجوء إلى القانون
لمصادرة هذه الأعضاء .
ربما حفز ذلك الشركاء

أن يراجعوا ما تنص عليه العقود .
وإذا لم يحدث - وهذا ما أخشاه -
فلا بد أن يجيء المُـحضر .

أحس المعلم بالحاجة إلى الاعتكاف في هدوء.
في بلده أخذ الخير يضعف من جديد
وعاد الشر يقوى ثانية.
فأخذ يخب في حذائه.

٢.

أخذ يحزم ما يحتاج
ليس بالكثير، لكن أشياء متفرقة:
الغليون الذي اعتاد تدخينه عند المساء
والكتيب الذي يقرأه دوماً.
والخبز بقدر ما ظن كافياً.

٣.

تمتع بالنظر مرة أخرى إلى واديه ثم نسيه
واستدار ليأخذ طريق الجبل.
كان ثوره سعيداً بالعشب الندي الذي يلتقطه
ويمضغ، والعجوز فوق ظهره
يرى السير سريعاً بما يكفي.

٤.

أربعة أيام بين شعاب الجبل، ثم حاجز

---

= بريحت عام ١٩٢٥ تحت عنوان «الصيني المهذب»، وتضمه الآن مجموعة قصص بريخت. وتحكي هذه القصة كيف أن لاو ـ تسو حين واجهه الاختيار «بين تحمل افتقار الناس الى العقل وعمل شيء لمحاربة ذلك...» ترك البلاد. وعلى الحدود قابله رجل جمارك طلب منه أن يدون تعاليمه ليستفيد منها. ونفذ لاو ـ تسو ذلك لكي لا يبدو وقحاً. أما موعظة الماء والصخر التي لم يوردها بريخت في ١٩٢٥ فتشير إلى الفصول ٤٣ و ٦٨ من كتاب تاو ـ تي ـ تشنج. ويفسر فالتر بنيامين رسالة القصيدة بأن من يريد أن يرى الصلابة تهزم يجب ألا يفلت فرصة ليكون ودوداً.

حيث يسألهما رجل جمارك
'أية نفائس تحملان ؟'
فيشرح الصبي الذي يجر الثور : 'العجوز يعلّـم'
وهكذا صار كل شيء واضحاً .

. ٥

عاد الرجل ، بمزاج مرح
ليسأل : 'عفواً ، ماذا يعلّـم'
فقال الصبي : 'يعلم كيف يُبلي الماء الواهن ، بالتآكل
عبر الزمن ، الصخور الصلدة .
إن الصلابة لا بد أن تخسر ، أفهمت ؟' .

. ٦

ثم جذب الصبي الثور ليسير
متعجلاً الذهاب ، ليلحق بضوء النهار .
لكن بينما ينعطفان ليختفيا خلف صنوبرة سوداء
بدأ شيء ما فجأة يدفع
رجلنا ، فصاح : 'هية ، أنت ! قف !' .

. ٧

'ماذا كان ما قلت عن الماء ؟'
توقف العجوز : 'هل يهمك ؟'
فأجاب الرجل : 'لست سوى رجل جمارك
لكن من يكسب يهمني ، رغم ذلك .
إذا كنت قد توصلت لذلك ، فقل لي .

. ٨

'اكتبه لي . أمله على صبيك ذاك .
فمثل هذا الشيء لا يجب أن تأخذه معك .
هناك محبرة وقلم تستخدمهما

وعشاء نتقاسمه ؛ وهذا منزلي .
والآن ، اتفقنا ؟'

.٩
استدار العجوز ، ونظر من فوق كتفه
إلى الرجل . بسترة مرقعة . ودون حذاء .
وجبهته غضنة واحدة ممتدة .
آه ، ليس من يخاطبه من الميسورين .
فغمغم برقة : 'حتى أنت ؟'

.١٠
رد الرجاء المهذب
شيء لم يسمع به القدماء .
فقد قال العجوز : الذين يوجهون الأسئلة
يستحقون إجابات' . قال الصبي : 'ماذا هناك ، فالبرد يزداد' .
'حسناً ، استراحة قصيرة' .

.١١
ترجل الحكيم عن ثوره
وظل سبعة أيام يكتب مع فتاه .
والرجل يقدم لهما الطعام
( ويسب المهربين بصوت خفيض ) .
ثم أصبح كل شيء جاهزاً .

.١٢
مبكراً ذات يوم ، ناول الصبي ما كتباه
ـ إحدى وثمانين حكمة ـ
وشكرا الرجل على الزاد الذي منحه للطريق
وانعطفا حول تلك الصنوبرة وصعدا الدرب الصخري .
الآن قولوا : هل ثمة من هو أكثر أدباً ؟

. ١٣
لكن يجب ألا نقصر الفضل
على العجوز الذي يُزوق اسمه .
فحكمة الحكيم يجب أن تستخلص
ورجل الجمارك يستحق نصيبه
فهو الذي طلبها .

## مطرود لسبب وجيه

شببت إبناً
لقوم ميسورين . وضع والداي
ياقة حول رقبتي وربياني
على عادة أن أنال الرعاية
وعلموني فن إلقاء الأوامر . لكنني
حين كبرت وتلفتٌ حولي
لم يرقني إناس طبقتي
ولا إلقاء الأوامر ، ولا نيل الرعاية
فتركت طبقتي وتحالفت
مع من لا شأن لهم .

هكذا
ربوا خائناً ، وعلموه
كل حيلهم
ليشي بهم إلى العدو .

نعم ، إنني أفشي أسرارهم . أقف
بين الناس وأشرح
مخاتلاتهم . وأقول مقدماً ما سيحدث ، فلدي
معرفة باطنة بخططهم .
لاتينية كهنتهم الفاسدين

أترجمها كلمة كلمة إلى اللغة الدارجة ، حيث
يتضح أنها شعوذة . ومعايير عدالتهم
أحللها لأبيّن
أثقالها الخادعة . ويُبلغهم وشاتهم
أنني أجلس بين المعدمين وهم
يخططون للتمرد .

أرسلوا إليّ التحذيرات وانتزعوا
ما كسبته بعملي . وحين لم أنصلح
جاءوا يطاردونني ؛ لكنهم
لم يجدوا
في منزلي سوى كتابات تكشف
مخططاتهم ضد الشعب . ومن ثم
أصدروا أمراً بالقبض عليّ
يتهمني باعتناق معتقدات وضيعة ، هي
معتقدات الوضعاء .

حيثما ذهبت فأنا موصوم
في عيون المالكين ، لكن المعدمين
يقرأون التهمة ضدي ويقدمون لي
مكاناً أختبىء فيه . ويقولون لي ، إنك
قد طردت
لسبب وجيه .

# إلى الأجيال المقبلة

I

حقاً ، إنني أعيش في زمن حالك !
الكلمة الصادقة حماقة ، والجبهة الناعمة
توحي بالبلادة . ومن يضحك
هو من يسمع بعد
بالنبأ الفاجع .

أي زمن هذا!
الذي يكاد يُعد فيه الحديث عن الأشجار جريمة
لأنه يتضمن الصمت على العديد من الفظائع ؟
أيكون ذلك الرجل الذي يَعْبُر الطريق صامتاً هناك
قد صار بالفعل بعيداً عن متناول أصدقائه
الذين يحتاجونه ؟

صحيح أنني ما زلت أكسب ما يسدّ رمقي
لكن ، صدقوني ، ذلك محض صدفة . فلا شيء
مما أفعله يمنحني الحق أن آكل ملء بطني .
بالصدفة أفلتتُ . ( وإذا ساء حظي ، ضعت ) .

يقولون لي : كلْ واشرب ! وابتهج بذلك !
لكن كيف يمكنني أن آكل وأشرب وأنا أنتزع ما آكله
من الجياع
وماء قدحي يخص شخصاً يموت من العطش ؟
ورغم ذلك آكل وأشرب .

كما أود أن أكون حكيماً .

والكتب القديمة تقول ما هي الحكمة :
أن تهجر نزاع العالم وتحيا
عمرك القصير دون خوف .
وأن تتصرف دون عنف
وترد الإساءة بالإحسان
وألا تشبع رغباتك بل تنساها
ذلك يعد حكيماً .
كل هذا لا يمكنني فعله :
حقاً ، إنني أعيش في زمن حالك .

II

أتيت إلى المدن في زمن قلاقل
حينما ساد هناك الجوع .
أتيت بين الناس في زمن ثورة
فثرت معهم .
هكذا انقضى عمري
الذي قُدِّر لي على الأرض .

أكلت طعامي بين المعارك
وتمددت لأنام بين القتلة
ومارست الحب بلا اهتمام
ونظرت إلى الطبيعة بنفاد صبر .
هكذا انقضى عمري
الذي قدر لي على الأرض .

في زمني كانت كل الطرق تؤدي إلى الوحل .
خانني لساني للجلادين .
لم يمكنني سوى القليل . لكن الذين يحكمون
كانوا أكثر استقراراً بدوني : ذلك كان أملي .

هكذا انقضى عمري
الذي قدر لي على الأرض.

قواتنا كانت ضئيلة. وهدفنا
بعيداً أمامنا
كان يبدو بوضوح، رغم أنني أنا نفسي
لم يكن من المحتمل أن أبلغه.
هكذا انقضى عمري
الذي قدر لي على الأرض.

## III *

أنتم يا من ستعقبون الطوفان
الذي غمرنا
حينما تتحدثون عن إخفاقاتنا
تذكروا كذلك
الزمن الحالك
الذي أفلتم منه.
فقد مضينا، نبدل بلداً ببلد أكثر مما نبدل حذاءً بحذاء

---

* **ترد القصيدة هنا حسب الترتيب الأخير الذي وضعه بريخت لأجزائها. لكن أجزاءها ظهرت إلى الوجود بترتيب مختلف. فقد كتب بريخت الجزء الثاني أولاً كقصيدة قائمة بذاتها عام ١٩٣٤. وكان اختلافها الرئيسي عن صيغتها النهائية هو في تحديد «الهدف» الذي لم يكن من المحتمل أن يبلغه الشاعر بأنه «حياة أفضل للبشرية».ثم ظهر الى الوجود الجزء الثالث ويبدو أنه بدأ كقصيدة من أربعة سطور (عام ١٩٣٧) بعنوان «رجاء إلى الأجيال المقبلة بالتسامح»، وتمضي القصيدة كما يلي:**

أيتها الأجيال القادمة، حين تقرأون ما كتبت
فكروا أيضاً، بمودة، في الزمن الذي كتبته فيه.
ومهما ظننتم، فلا تنسوا
هذا الزمن.

خلال حروب الطبقات، يائسين
حيث لا يوجد سوى الجور، دون التمرد.

لكننا نعلم:
أن الكراهية، حتى للوضاعة
تشوه الملامح.
والغضب، حتى ضد الجور
يبح الصوت. آه، نحن
الذين أردنا أن نمهد الأرض للمودة
لم نستطع أن نكون ودودين.

لكن حين يأتي أخيراً الزمن
الذي يصبح فيه الإنسان عوناً للإنسان
فكروا بنا
بتسامح.

---

**ثم اكتملت القصيدة لتقارب الصيغة الأخيرة فيما عدا المقطع الثالث الذي كان يمضي كما يلي:**

نحن المزدوجي ـ الوجه! الوجه الأول، ودود
كنا نديره الى المضطهدين، لكن الى المضطهدين
ندير الآخر، المفعم بالكراهية. كيف كان يمكن أن توجد الحكمة
في نداءاتنا للمعركة؟ وفي كلماتنا الغاضبة
لم يكن ثمة اعتدال. آه، نحن
الذين أردنا أن نمهد الارض للحكمة
لم نستطع أن نكون حكماء

**وأخيراً كتب الجزء الأول على الأرجح في شتاء ٣٨ ـ ١٩٣٩. وتم تجميع الأجزاء الثلاثة في قصيدة واحدة للمرة الأولى في مجموعة «قصائد في المنفى» حيث وردت بالترتيب III ثم I ثم II.**

## شعار لقصائد سفندبورج

طريداً تحت سقف القش الدانمركي، أتتبع نضالكم
أيها الأصدقاء. الآن أبعث لكم
كما فعلت من حين لآخر، قصائدي، التي تأتي إلى الوجود تفزعها
الأشباح القاتلة عبر الساوند والخمائل.
استعملوا بحذر ما يبلغكم منها.
فالكتب المصفرة، والتقارير المتناثرة
هي مصادري. إذا التقينا ثانيةً
فسوف أعود مبتهجاً للتعلم معكم.

## شعار *

أفي الأوقات الحالكة
سيوجد أيضاً غناء؟
نعم، سيوجد أيضاً غناء
عن الأوقات الحالكة.

---

* يتصدر هذا الشعار مجموعة قصائد سفندبورج.

# VII

# أحلك الأوقات

# ١٩٢٨ ـ ١٩٤١

## موكب الجديد القديم

جلست فوق تل ورأيت «القديم» يقترب، لكنه جاء كأنه «الجديد».

كان يعرج على عكازات جديدة لم يرها أحد قط ويفوح بروائح عفن جديدة لم يشمها أحد قط.

كان الحجر الذي يتدحرج خلفه أحدث إختراع وصرخات الغوريللا التي تضرب صدورهم أحدث مقطوعة موسيقية.

في كل مكان كان يمكنك أن ترى مقابر مفتوحة خاوية بينما يتقدم «الجديد» إلى العاصمة.

بجواره وقف الرعب المنشور، صائحاً: ها هو «الجديد» يأتي، كله جديد، حيّوا «الجديد»، كونوا جديدين مثلنا! ومن سمعوا، لم يسمعوا سوى صيحاتهم، لكن من رأوا، رأوهم وكأنهم لا يصيحون.

هكذا تقدم «القديم» متخفياً في زي «الجديد»، لكنه أحضر معه «الجديد» في موكب انتصاره وقدمه على أنه «القديم».

سار «الجديد» مكبلاً يرتدي الأسمال، التي كشفت عن أطرافه الرائعة.

ومضى الموكب خلال الليل، لكن ما حسبوه ضوء الفجر كان ضوء النيران في السماء. وكان من الأسهل سماع الصيحة: ها هو «الجديد» يأتي، كله جديد، حيوا «الجديد»، كونوا جديدين مثلنا! لو لم يغرق المشهد في دوي المدافع.

## بابل العظيمة تلد

حين آن أوانها انسحبت إلى أقصى حجرة وأحاطت نفسها بالأطباء والعرّافات .

دار الهمس . دخل رجال وقورون المنزل بوجوه متجهمة وخرجوا بوجوه قلقة شاحبة . وتضاعف ثمن مساحيق التجميل البيضاء في حوانيت التجميل .

في الشارع تجمع الشعب وظل من الصباح إلى المساء بمعدة خاوية .

أول صوت يُسمع كان مثل ضرطة هائلة هزت السقوف ، وتبعته صرخة هائلة **السلام** ! عندها اشتدت رائحة العطن .

وعلى الفور تدفق الدم في تيار مائي رفيع . وأتت أصوات أخرى في تتابع متصل ، كلّ منها أفظع من سابقه .

تقيأت بابل العظيمة بصوت كأنه **الحرية** ! وسعلت بصوت كأنه **العدالة** ! وضرطت ثانية بصوت كأنه **الرخاء** ! وحملوا طفلاً صارخاً إلى الشرفة ملفوفاً في ملاءة دامية ليعرض على الشعب بين رنين الأجراس ، وكان الطفل هو **الحرب** !

وكان له ألف أب .

## النزاع *

رأيتهم يقفون فوق أربـع تلال . إثنان يصرخان وإثنان صامتان . والجميع يحوطهم أتباعهم ، ودوابهم ، ومعداتهم . وكان كل الخدم فوق التلال الأربـع شاحبين وهزيلين . كان الأربعة حانقين . إثنان يمسكان السكاكين في أيديهما ، وإثنان يحملان السكاكين في رقبة حذاءيهما .

صرخ إثنان منهم ، ''أعيدا إلينا ما سرقتماه منا ، أو تكون الكارثة'' . وظل إثنان صامتين ، يرقبان الجو بلا مبالاة .

صرخ إثنان ، ''نحن جائعان ، لكننا مسلحان'' . عند ذلك بدأ الآخران في الكلام .

قالا بكبرياء ، ''ما أخذناه منكما صغير ولا قيمة له ولم يكن يشبع جوعكما'' . فصرخ الآخران ، ''حسنا ، أعيداه إذن ، ما دام لا يساوي شيئاً'' . فأجاب المتكبران ، ''إننا لا نحب منظر هذه السكاكين ، ضعوها جانباً فتنالا شيئاً'' فصرخ الجائعان ، ''وعود فارغة . حين لم تكن لدينا سكاكين لم تقدما حتى الوعود'' .

فسأل المتكبران ، ''لماذا لا تصنعان سلعاً مفيدة ؟''

فأجاب الجائعان بغضب ، ''لأنكما لن تدعانا نبيعها . لذا صنعنا سكاكين'' .

لكنهما لم يكونا جائعين شخصياً ، فظلا يشيران إلى أتباعهما الذين كانوا جوعى . فقال المتكبران لبعضهما : ''أتباعنا أيضاً جوعى'' .

وهبطا من تلّيهما ليتفاوضا ، حتى يكف الصياح ، فهناك الكثير جداً من الجوعى . كما هبط الآخران من تلّيهما وصار

---

* ربما تشير هذه الرؤيا إلى إتفاقية ميونخ عام ١٩٣٨ بين فرنسا وانجلترا من جانب وإيطاليا وألمانيا من جانب آخر .

النقاش هادئاً .

قال إثنان منهم ، ''بيننا وبينكم ، نحن نعيش على حساب أتباعنا'' . وهزّ إثنان رأسيهما قائلين : ''ونحن أيضاً'' .

قال المشاكسان : ''إذا لم نحصل على شيء ، فسوف نرسل اتباعنا ليحاربوا أتباعكم ، وستهزمان'' .

فابتسم المسالمان قائلين : ''ربما تهزمان أنتما'' .

فأجاب المشاكسان : ''نعم ، ربما هزمنا ، فينقض علينا أتباعنا ويقتلوننا ويناقشون مع أتباعكما كيف يقتلانكما . فحين لا يتحدث السادة معاً ، يتحدث الأتباع معاً'' .

فسأل المسالمان في فزع : ''ماذا تريدان ؟''. عندها أُخرج المشاكسان قوائم طويلة من جيوبهما .

لكن الأربعة وقفوا في وقت واحد واستداروا إلى أتباعهم قائلين في صوت مرتفع : ''سنناقش الآن وسائل حفظ السلام'' .

وجلسوا ونظروا إلى القوائم ، وكانت بالغة الطول . حتى أن وجه المسالمين إحمر غضباً . وقالا : ''ها نحن نرى أنكما تريدان أن تعيشا على حساب أتباعنا أيضاً'' . وعادا إلى تلّيهما .

حينئذ عاد المشاكسان أيضاً إلى تلّيهما .

رأيتهم يقفون فوق أربع تلال وجميعهم يصرخون . وجميعهم يحملون السكاكين في أيديهم ويقولون لأتباعهم : ''هؤلاء القوم الواقفون هناك يريدونكم أن تعملوا لحسابهم . ولا يسوي هذا الأمر سوى الحرب'' .

## صياد الأحجار

ظهر الصياد الضخم مرة ثانية . يجلس في قاربه البالي ويصطاد منذ أن تتوهج أولى المصابيح في باكورة الصباح حتى ينطفىء آخرها في المساء .

يجلس القرويون فوق حصى مرساه ويراقبونه ، مبتسمين .

يبحث عن الرنجة لكنه لا يخرج سوى الأحجار .

يضحكون جميعاً . يخبط الرجال جنوبهم ، وتمسك النساء بطونهن ، ويقفز الأطفال عالياً في الهواء من الضحك .

وحين يجذب الصياد الضخم شبكته الممزقة عالياً ليجد فيها الأحجار ، لا يخفيها بل يمد ذراعيه الأسمرين القويين ، ويمسك بالأحجار ، ويرفعها عالياً ليريها للقوم التعساء .

## إله الحرب

رأيت إلّه الحرب العجوز يقف فوق أرض سبخة بين الهاوية والصخر .

كان يفوح برائحة البيرة المجانية والبول ويظهر خصيتيه للمراهقين ، فقد أعاده إلى شبابه عدة أساتذة . أعلن في صوت ذنبي أجش حبه لكل ما هو شاب . وبقربه وقفت امرأة حبلى ، ترتجف .

دون حياء واصل الكلام وقدم نفسه على أنه نصير عظيم للنظام . ووصف كيف أعاد النظام إلى صوامع الغلال في كل مكان ، بأن أفرغها .

وكما يلقي المرء الفتات إلى العصافير ، أخذ يطعم الفقراء بكسر الخبز التي انتزعها من الفقراء .

كان صوته يعلو حيناً ، ويخفت حيناً ، لكنه دائماً أجش .

بصوت جهير تحدث عن عصور عظيمة قادمة ، وبصوت خافت علم النساء كيف يطهين الغربان والنوارس . بينما ظل ظهره يرتجف ، وظل يتلفت حوله ، كما لو كان يخشى أن يطعنه أحد .

وكل خمس دقائق يؤكد لجمهوره أنه لن يأخذ من وقتهم سوى دقائق معدودة .

## أمل العالم الوحيد

. ١

هل الاضطهاد قديم قدم الطحلب حول البركة ؟
فالطحلب حول البركة لا يمكن تجنبه .
ربما كان كل ما أرى طبيعياً ، وأنا مريض
أُريد أن أزيل ما لا يمكن إزالته ؟
قرأت أغنيات المصريين ، أغنيات الرجال الذين بنوا الأهرام .
كانوا يشكون من أحمالهم ويسألون متى يكف الاضطهاد .
كان ذلك منذ أربعة آلاف عام .
يبدو أن الاضطهاد مثل الطحلب لا يمكن تجنبه .

. ٢

حين تكاد عربة أن تدوس طفلاً ، يجذبه المرء إلى الرصيف .
لا يجذبه الرجل الطيب ، الذي يقيمون له التماثيل .
بل يجذبه أي شخص بعيداً عن العربة .
لكن الكثيرين هنا ديسوا ، وكثيرون يمرون ولا يفعلون شيئاً .
هل هذا لأن من يعانون كثيرون ؟ ألا يجب أن يساعدهم المرء
لأنهم كثيرون ؟ لذا يساعدهم أقل . حتى الطيبون يمرون
ويظلون طيبين بعدها كما كانوا قبلها .

. ٣

كلما زاد من يعانون ، إذن ، كلما بدا عناؤهم طبيعياً .
من يريد أن يمنع الأسماك في البحر من البلل ؟
ومن يعانون أيضاً يشاركون في هذه البلادة تجاه أنفسهم
ويفتقرون إلى الطيبة تجاه أنفسهم . من المفزع أن يقبل
البشر بهذه السهولة ظروفهم الراهنة ، ليس فقط بالنسبة

## العكازات

لسبع سنوات لم أستطيع أن أخطو خطوة .
حتى ذهبت إلى الطبيب العظيم
سألني : لماذا العكازات ؟
فأجبته : لأنني كسيح .

أجاب : هذا لا يدهشني .
تكرم بالمحاولة مرة أخرى .
إذا كنت كسيحاً ، فالسبب هذه الأشياء
فلتسقط إذن ! وتزحف على الأرض !

وأخذ عكازاتي الحبيبة
ضاحكاً ضحكة صديق .
وكسرها فوق ظهري
وألقاها في المدفأة .

حسناً ، الآن شفيت ، إذ أستطيع السير .
شفتني مجرد ضحكة .
لكنني ، أحياناً ، حين أرى عصياً
أظل أعرج بضع ساعات .

## أغنية حب في زمن رديء *

لم نحمل مشاعر ودية تجاه بعضنا
لكننا مارسنا الحب كأي اثنين .
حين رقدنا بالليل متعانقين
كان القمر أقل منك غربة .

وإذا صادفتك اليوم في السوق
وكلانا يشتري سمكاً ، فقد تثور مشاجرة :
لم نحمل مشاعر ودية تجاه بعضنا
حين رقدنا في الليل متعانقين .

## سوناتا رقم ١٩ **

مطلبي الوحيد : أن تبقى معي .
أود أن أسمعك ، ولتتذمري كما شئت .
لو كنت صماء فأنا أحتاج ما قد تقولين
أو كنت بكماء فأنا أحتاج ما قد ترين .

لو كنت عمياء فأنا أريدك أمام ناظريْ ،
فأنت الحارس الواقف بجانبي :
لم نكد نقطع نصف الطريق في مسيرتنا الطويلة
فتذكري أن الليل ما زال يحوطنا .

قولك « دعني ألعق جراحي » ليس عذراً الآن .
وقولك « في أي مكان » ( ليس هنا ) ليس دفاعاً

---

* لحنها بول ديساو .

** لا يجب الخلط بين هذه السوناتا و « السوناتا التاسعة عشرة » .

ستجدين الراحة ، لكن لن أطلق سراحك الآن .

تعلمين أن من إليه احتياج لا يمكنه الذهاب
وأنا أحتاجك بشدة
إنني أتحدث عني بينما الحديث عنا يعني أكثر .

## زمن سيء للشعر*

نعم ، أعرف أن السعيد وحده
هو المحبوب . صوته
يروق السمع . ووجهه وسيم .
الشجرة الكسيحة في الفناء
تشهد بأن التربة مجدبة ،
لكن العابرين يلعنونها لأنها كسيحة
وهم على حق .

القوارب الخضراء والأشرعة المتراقصة على صفحة نهر الساوند
تمضي فلا أراها . من بينها جميعاً
لا أرى سوى شباك الصيادين الممزقة .

---

* **تحمل أحدى مسودات بريخت مقطعاً إضافياً بعد « دافئة كعهدها دائماً » يمضي كما يلي :**

إندفاع الريح خلال أشجار الصفصاف
يبدو كافياً .
فلماذا لا افكر سوى بالجرب .

**ويبدو أنه ينتهي بالابيات التالية :**

منذ زمن بعيد لم يعد لدي
كلمة ثناء واحدة للشجرة في الفناء
وقافيه واحدة في أغنيتي
تبدو لي وقحة .

**ونهر الساوند الوارد في القصيدة يجري خلال سفندبورج .**

لماذا لا أسجل سوى
أن امرأة قروية في الأربعين تسير محنية ؟
بينما نهود الفتيات
دافئة كعهدها دائماً .

وقافية واحدة في شعري
تكاد تبدو لي وقحة .

داخلي يتصارع
الابتهاج بشجرة التفاح المزهرة
والرعب من خطب النقاش .
لكن الأخيرة وحدها
هي التي تدفعني إلى منضدة الكتابة .

## هل الشعب معصوم * ؟

١ .
معلمي
الطويل الودود
أعدم . أدانته محكمة شعبية
بالتجسس . إسمه ملعون .
كتبه تدمر . والحديث عنه

---

* وضوع القصيدة هو سيرجي تريتياكوف الذي اعتقل في بداية حملات التطهير عام ١٩٣٧ وأعدم بعدها باعتباره جاسوساً . وربما يرجع ذلك إلى ارتباطه بالصين حيث علّم في العشرينات وكتب عنها تحقيقات صحفية وسيناريوهات افلام . إختفى اسمه لعشرين عاماً . ورغم تبرئته بعد موته فإن كتبه ما زالت في الظل وقد عرف بريخت بمصيره المحتمل عام ١٩٣٨ . وفي المخطوطات كلمة مشطوبة بشدة بعد كلمة معلمي في السطر الاول . ويعتقد انها اسم تريتياكوف .

يُشتبه فيه ويكبت .
فماذا لو كان بريئاً ؟

. ٢
أبناء الشعب وجدوه مذنبا
المزارع الجماعية ومصانع العمال
أمجد مؤسسات العالم
رأت فيه عدواً .
لم يرتفع صوت لصالحه .
فماذا لو كان بريئاً ؟

. ٣
أعداء الشعب كثيرون .
في أرقى المناصب
يجلس أعداء . في أشد المعامل فائدة
يجلس أعداء . يقيمون
سدوداً وقنوات لصالح قارات بأكملها ، والقنوات
تردم والسدود
تنهار . المسؤول يجب أن يعدم .
فماذا لو كان بريئاً ؟

. ٤
العدو يمضي متخفياً .
يرخي على عينية قلنسوة عامل . أصدقاؤه
يعرفونه كعامل مخلص . وزوجته
تعرض حذاءه المثقوب
الذي بلي في خدمة الشعب .
لكنه عدو . هل كان واحداً منهم ؟
ماذا لو كان بريئاً ؟

.٥

الحديث عن الأعداء، الذين قد يكونون جالسين في محاكم الشعب
أمر خطير. فالمحاكم مشهورة بحسن اطلاعها.
وطلب أوراق تثبت الجرم بالأبيض والأسود
عبث، فلا حاجة لمثل هذه الأوراق.
فالمجرمون لديهم أدلة جاهزة على براءتهم.
والأبرياء دائماً لا يملكون دليلاً.
أيكون الصمت أفضل إذن؟
ماذا لو كان بريئاً؟

.٦

ما بناه خمسة آلاف يمكن أن يدمره رجل واحد.
بين خمسين مداناً
هناك واحد قد يكون بلا جريرة.
ماذا لو كان بريئاً؟

.٧

لو كان بريئاً
كيف سيمضي إلى حتفه؟.

## شعار

جالساً في مقدمة القارب، بينما
تلاحظ تسرب الماء في الناحية الأخرى
من الأفضل ألاّ تدير بصرك بعيداً، يا صديقي
فلست بعيداً عن بصر الموت

ما أجمل هز الرؤوس
أمام الحقيقة التي لا تقبل الجدل !
ما أشجع شفاء الطبيب
للمريض الذي لا شفاء له !

لكن أجمل أنواع الشك
هو عندما يرفع المطحونون القانطون رؤوسهم
ويكفّـوا عن الإيمان
بقوة مضطهديهم .

آه ، كم تطلبت المبادىء الجديدة من كفاح دؤوب !
كم تكلفت من تضحيات !
كم كان من الصعب رؤية
أن الأشياء كانت على هذا النحو وليس على نحو آخر !
بزفرة ارتياح أدرجها رجل ذات يوم في سجل المعرفة .
ربما بقيت هناك لزمن طويل ، وبها تحيا
أجيال عديدة وتعدها حكمة خالدة
ويحتقر المتعلمون كل من يجهلونها .
ثم قد يحدث أن يثور شك ، فالخبرة الجديدة
تجعل الحقيقة الراسخة موضعاً للتساؤل . ينتشر الشك
وذات يوم يشطبها رجل بإمعان
من سجل المعرفة .

بينما تصم أذنه الأوامر ، ويفحص
لياقته للقتال أطباء ملتحون ، وتتفقده
مخلوقات لامعة بشارات ذهبية ، ويعظه
كهنة مهيبون يلقون إليه كتاباً كتبه الرب نفسه
ويثقفه
مدرسون فارغو الصبر ، يقف الفقير ويسمع
أن العالم هو أفضل العوالم وأن الفجوة

في سقف جحره صممها الرب بشخصه.
حقاً أنه يجد من الصعب
أن يشك في هذا العالم.

هناك من لا يفكرون ولا يشكّـون أبداً.
قابليتهم رائعة، وحكمهم لا يخطيء.
لا يؤمنون بالحقائق، بل بأنفسهم فقط.
وساعة الفصل
يغفلون الحقائق. صبرهم تجاه أنفسهم
بلا حدود. والمناقشات
يسمعونها بأذن عملاء البوليس.

الذين لا يفكرون ولا يشكّـون أبداً.
يلتقون مع الذين يفكرون ولا يفعلون أبداً.
إنهم يشكون، لا ليصلوا إلى قرار بل
ليتجبنوا القرار. رؤوسهم
يكتفون بهزها. بوجوه قلقة
يحذرون بحارة السفن الغارقة من خطورة الماء.
وتحت فأس القاتل
يتساءلون أليس هو الآخر آدمي.
يذهبون إلى فراشهم
وهم يغمغمون شيئاً عن الموقف الذي لم يتضح بعد.
فعلهم الوحيد هو التردد
وعبارتهم الأثيرة: لم ينضج بعد للمناقشة.

لهذا، إذا امتدحتم الشك
فلا تمتدحوا
الشك الذي هو أحد أشكال اليأس.

ما قيمة القدرة على الشك

لرجل لا يستطيع أن يحزم أمره ؟
من يرضى بأقل القليل من الأسباب
قد يتصرف خطأ .
لكن من يحتاج إلى الكثير جداً منها
يظل خاملاً وقت الخطر .

أنت ، يا من تقود الناس ، لا تَنْسَ
أنك كذلك لأنك شككت في قواد آخرين .
إسمح للمقودين
بحقهم في الشك .

## في السهولة

فقط ، انظر إلى السهولة
التي يمزق بها
النهر الجارف ضفافه !
التي يهز بها الزلزال الأرض
بيد كسولة .
التي تبلغ بها النار المفزعة
بيوت المدينة العديدة
وتلتهمها على مهل :
هذه الأكول المصقولة .

## في بهجة البدء *

يا لبهجة البدء ! يا للصباح الباكر !
أول العشب ، حين لا يعود أحد يذكر
لون الخضرة . يا لأول صفحة من الكتاب
الذي طال إنتظاره ، يا لدهشتها . إقرأه
على مهل ، فسرعان ما يصبح ما بقي منه
ضئيلاً جداً . أول دفقة ماء
على وجه يبلله العرق ! القميص
النظيف البارد . يا لبداية الحب ! النظرة
التي تشرد !
يا لبداية العمل ! صبُ الزيت
في الآلة الباردة . أول لمسة وأول طنين
للآلة التي تعود إلى الحياة ! وأول نفس
من الدخان يملأ الرئتين ! وأنت أيضاً
أيتها الفكرة الجديدة !

---

* انظر قصيدة والت ويتمان «A Song of Joys». ( ١٨٦٠ )

## المسرح ، بيت الأحلام *

كثيرون يرون المسرح مكاناً
لتوليد الأحلام . وأنتم أيها الممثلون تعدون
مروجين لعقاقير مخدرة . ففي مسارحكم المظلمة
يتحول الناس إلى ملوك ، يؤدون
أعمالاً بطولية دون مخاطرة . وفي قبضة
الحماس للنفس أو التعاطف مع النفس
يجلس المرء في ذهول سعيد ، ناسياً
صعوبات الحياة اليومية - طريداً .
أيديكم الماهرة تلفق كل أنواع القصص
لإثارة مشاعرنا . ولهذا الغرض تستخدمون
أحداثاً من العالم الواقعي . حقاً ، إن أي شخص
يدخل إلى كل هذا وما زالت أصوات المرور عالقة في أذنه
وما زال واعياً ، لن يكاد يتعرف
هناك فوق خشبتكم ، على العالم الذي تركه لتوه .
كذلك ، فإنه حين يخطو خارج مسارحكم بعد النهاية ،
شخصاً عادياً مرة أخرى ولم يعد ملكاً
لن يعود يتعرف على العالم ، وسوف يحس
أنه في غير مكانه في الحياة الواقعية .
صحيح أن الكثيرين يرون في هذا نشاطاً غير ضار . ويقولون
إننا نرحب بالأحلام ، نظراً لحقارة
ورتابة حياتنا . فكيف يمكن تحمل الحياة

---

* ضُمت إلى مجموعة قصائد المسنجكاوف .

دون أحلام؟ لكن هذا، أيها الممثلون، يجعل مسرحكم
مكاناً يتعلم فيه المرء
كيف يتحمل حياتنا الحقيرة الرتيبة،
ويتخلى ليس فقط عن الأعمال
العظيمة بل حتى عن التعاطف
مع نفسه. إلا أنكم تعرضون
عالماً مزيفاً، ملفقاً بلا مبالاة، فقط
كما تعرضه الأحلام، تحوله الرغبات
أو تلويه المخاوف، أيها المخادعون
البائسون.

## العرض يجب توضيحه *

أوضحوا أنكم تعرضون! فبين كل الأساليب المتنوعة
التي تعرضون بها حين تعرضون كيف يلعب الناس أدوارهم
لا يجب أبداً نسيان أسلوب التوضيح.
وكل الأساليب يجب أن تقوم على أسلوب التوضيح
وإليكم كيف تمارسونه: قبل أن تعرضوا الطريقة
التي يخدع بها رجل شخصاً، أو تتملكه الغيرة
أو يعقد صفقة، انظروا أولاً
إلى الجمهور، كما لو كنتم تودون أن تقولوا:
'الآن لاحظوا، فهذا الرجل يخدع الآن شخصاً وإليكم كيف
يخدعه.
هكذا يبدو حين تتملكه الغيرة، وهكذا
يعقد صفقته حين يعقد الصفقات'. بهذه الطريقة
سيحتفظ عرضكم بأسلوب التوضيح
بأسلوب تقديم ما تم إعداده، بإنجازه

* ضُمت إلى مجموعة قصائد المسنجكاوف.

بالتقدم باستمرار . أوضحوا إذن
أن ما تعرضونه هو شيء تعرضونه كل ليلة ،
وطالما عرضتموه قبلها
وسوف يشبه تمثيلكم نسج النسّاج ، أو عمل
الحرفي . وكل ما يصاحب العرض
مثل اهتمامكم المتصل
بجعل المشاهدة أبسط ، وضمان أفضل رؤية
لكل مشهد دائماً ـ ذلك أيضاً يجب أن تظهروه للعيان .
عندئذ
سيكون كل هذا الخداع وعقد الصفقات
والوقوع في أسر الغيرة ، كما لو كان
مشبعاً بشيء له سمة
عملية يومية ، مثل الأكل ، مثلاً ، أو قول صباح الخير
أو أداء المرء لعمله . ( فأنتم تعملون ، أليس كذلك ؟ ) . وخلف
أدواركم
على الخشبة لا بد أن تظلوا أنتم أنفسكم ظاهرين للعيان ،
بوصفكم
من تلعبونها .

## في نطق العبارات *

وهكذا رتبتُ العبارات بحيث يصبح تأثيرها
مرئياً ، أعني ، بحيث أن
حقيقة نطقها يمكن
أن تجعل المتحدث سعيداً ، أو تعيساً ، وكذلك نحن
يمكن جعلنا تعساء ، أو سعداء ، بالاستماع إليه ينطقها هكذا .
( ومن ثم أصبحت مشاهدة المسرحيات أصعب : فالإنطباع

---

* أدرجت ضمن قصائد المسنجكاوف .

الأول دائماً ما يترسخ فقط عند رؤيتها مرة ثانية ).

## لحظة ما قبل التأثير *

أنطق أبياتي
قبل أن يسمعها الجمهور ؛ ما سيسمعونه
هو شيء مفروغ منه. كل كلمة تخرج من الشفة
ترسم قوساً، ثم
تطرق أذن المستمع ؛ أنتظر وأسمع
كيف تصطدم ؛ أعرف
أننا لا نحس نفس الشيء
وأننا لا نحسه في نفس الوقت.

## انتهت المسرحية *

انتهت المسرحية. قُدِّم العرض. وببطء، فإن المسرح،
هذه الامعاء الممتلئة، يفرغ. وفي غرف الملابس
يغسل الباعة الأذكياء للمحاكاة المختلطة، والخطابة الفاسدة
مساحيقهم وعرقهم. أخيراً
تخفت الأضواء التي أضاءت العمل
البائس المرقع ؛ يسقط الظلام
فوق الخواء المحبب للخشبة التي أسيء استخدامها. وفي الصالة
الخالية التي ما زالت تفوح يجلس
كاتب المسرح المخلص، غير قانع، ويبذل جهد طاقته
ليتذكر.

---

* أدرجت ضمن قصائد المد نجكاوف.

## الأدب سيجري تمحيصه*
## إلى مارتين أندرسن نكسو

I

من أُجلسوا على كراسٍ ذهبية ليكتبوا
سيسألون عمن
نسجوا معاطفهم.
لن تمحّص كتبهم
من أجل أفكارهم السامية، بل
ستقرأ باهتمام أية جملة عارضة
تكشف شيئاً عمن
نسجوا المعاطف، فقد تتضمن خصائص
أسلاف مشهورين.

آداب بأكملها
مغلفة بأرقى التعبيرات
ستُفحص بحثاً عن دلائل
على أن الثوريين أيضاً عاشوا حيث كان الاضطهاد.
النداءات الضارعة للموجودات الخالدة
ستثبت أن الفانين في ذلك الزمن كانوا يتربعون
فوق فانين آخرين.

---

* نشرت عام ١٩٣٩ تحت عنوان «كيف ستحكم العصور المقبلة على كتّابنا» ومهداة إلى «مارتين أندرسن - نكسو في ٢٦ يونيو ١٩٣٩». وهو عيد الميلاد السبعون للكاتب الدنماركي. كذلك وردت كتصدير لترجمة مارجريت شتيفين وبريخت لكتاب Die kindheit من تأليف نكسو.

وموسيقى الكلمات العذبة لن تعني
سوى أن العديدين لم يجدوا الطعام.

**II**

لكن في ذلك الزمن سيُمتدح
الذين جلسوا على الأرض العارية ليكتبوا
الذين جلسوا بين الوضعاء
الذين جلسوا مع المقاتلين.
الذين نقلوا معاناة الوضعاء
الذين نقلوا مآثر المقاتلين
بفن. بالكلمات النبيلة
التي كانت قبلها قاصرة
على تملق الملوك.

منشوراتهم وتقاريرهم عن المظالم
ستكون ما تزال تحمل
بصمات الوضعاء. فلهم
كانت تنتقل؛ وهم
حملوها فجأة تحت قمصانهم المبللة بالعرق
خلال حواجز البوليس
إلى زملائهم.

نعم، سيأتي زمن يحظى فيه
هؤلاء الرجال الأذكياء الودودون
هؤلاء الرجال الغاضبون الآملون
من جلسوا على الأرض العارية ليكتبوا
من أحاطهم الوضعاء والمقاتلون
بالمديح علناً.

## ARDENS SED VIRENS *

رائع، ما لا تحوّله النار الجميلة
إلى رماد بارد!
أختاه، أنتِ أثيرة لديّ
متأججة دون أن تأكلك النار.

رأيت كثيرين وهم يهدأون بمكر
متهورين يسقطون دون تعلم
أختاه، أنتِ من يمكن أن أُبقي بجانبي
متأججة دون أن تأكلكِ النار.

لم تجدي أبداً حصاناً
تمتطينه بعيداً عن أرض المعركة
لذا راقبتك تقاتلين بحذر
متأججة دون أن تأكلكِ النار.

---

* لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو.

## شعار لمجموعة شتيفين *

هذا ، إذن ، هو كل شيء . أعرف أنه غير كافٍ .
لكنني على الأقل ما زلت حياً ، كما ترون .
إنني مثل رجل حمل طوبة ليبيّن
كم كان منزله جميلاً ذات حين .

## ١٩٤٠

**I**

الربيع قادم . الرياح المعتدلة
تحرر حواف الجبال من ثلج الشتاء .
شعوب الشمال ترتجف منتظرة
أساطيل النقاش .

**II**

من المكتبات
يخرج السفاحون . .
الأمهات تقفن محتضنات أطفالهن
وتفتشن السماء باستكانة
بحثاً عن مخترعات المتعلمين .

**III**

المصممون يجلسون
محدودبين في صالات الرسم :
رقم خطأ واحد ، وتفلت مدن العدو

---

* لحنه آيزلر .

من الدمار .

**IV**

الضباب يلف
الطريق
وأشجار الحور
والمزارع
والمدفعية .

**V**

أعيش الآن في جزيرة ليندينجو الصغيرة .
لكن ذات ليلة قريبة
انتابتني الكوابيس وحلمت أنني في مدينة
اكتشفت أن علامات شوارعها
بالألمانية . أفقت
غارقاً في العرق ، لأرى الصنوبرة
أمام نافذتي سوداء كالليل ، فتنفست الصعداء :
أدركت أنني في بلد غريب .

**VI**

إبني الصغير يسألني : هل يجب أن أتعلم الرياضيات ؟
أود أن أقول ، لماذا . ستلاحظ على أي حال
أن كسرتين من الخبز أكثر من واحدة .
إبني الصغير يسألني : هل يجب أن أتعلم الفرنسية ؟
أود أن أقول ، لماذا . تلك الامبراطورية تتهاوى .
فقط تحسس بطنك بيدك وتأوه
وسوف يفهمونك تماماً .
إبني الصغير يسألني : هل يجب أن أتعلم التاريخ ؟
أود أن أقول ، لماذا . تعلم أن تلصق رأسك بالأرض

وربما نجوت .

لكنني أقول له ، نعم ، تعلم الرياضيات
تعلم الفرنسية ، تعلم التاريخ .

**VII**

أمام الحائط الجيري
ترقد الحقيبة العسكرية السوداء وبها المخطوطات .
فوقها تستقر أدوات التدخين والطفايات النحاسية .
وفوقها تتدلى البردية الصينية
التي تصوّر الشكاك . الأقنعة أيضاً هناك . وبجوار الفراش
يرقد الراديو الصغير ذو الصمامات الستة .
في الصباح الباكر
أديره وأسمع
أنباء انتصار أعدائي .

**VIII**

فراراً من مواطنيّ
وصلت الآن إلى فنلندا . الأصدقاء
الذين لم أكن أعرفهم بالأمس ، أعدّوا بعض الأسرّة
في غرف نظيفة . من المذياع
أسمع أنباء انتصار حثالة الأرض . وباهتمام
أفحص خريطة القارة . في أقصى لابلاند
مقابل المحيط القطبي
ما زلت أرى منفذاً صغيراً .

## في الحمام

الوزير يرقد في حمامه . بيد واحدة يحاول
دفع الفرشاة الخشبية تحت السطح الزجاجي .

هذا اللعب الطفولي
ينطوي على خطورة .

## فنلندا ١٩٤٠

I

نحن الآن لاجئون
في فنلندا .

إبنتي الصغيرة
تعود إلى المنزل في المساء شاكية أن الأطفال
يرفضون اللعب معها . فهي ألمانية ، جاءت
من أمة من قطّـاع الطرق .

حين أتبادل الصياح خلال مناقشة
يطلبون مني أن أهدأ . فالناس هنا لا يحبون
الصياح من شخص
جاء من أمة من قطّـاع الطرق .

حين أذكّـر ابنتي الصغيرة
بأن الألمان أمة من قطّـاع الطرق
يسرها مثلي أنهم غير محبوبين
ونضحك معاً .

II

أنا ، الذي أنحدر من نسل قرويين
أبغض أن أرى
الخبز يُلقى .
ويمكنكم أن تفهموا
كم أكره حربهم .

**III**

حول زجاجة خمر
وصفت لنا صديقتنا الفنلندية
كيف خرّبت الحرب بستان كرزها .
قالت إن الخمرة التي نشربها من هذا البستان .
أفرغنا كؤوسنا
في ذكرى بستان الكرز القتيل
وفي صحة التعقل .

**IV**

هذا هو العام الذي سيتحدث عنه الناس .
هذا هو العام الذي سيصمت عنه الناس .

الكهول يرون الشباب يموتون .
الحمقى يرون الحكماء يموتون .

الأرض لم تعد تنتج ، بل تلتهم .
السماء لم تعد تسقط مطراً ، بل حديداً .

## في أوقات الاضطهاد البالغ

حين تكون قد هُزِمْت
فماذا سيتبقى ؟
الجوع والثلج
والمطر الكاسح .

من سيشير إلى الدرس ؟
مثلما من قديم
الجوع والبرد
سيشيران إلى الدرس .

ألن يقول الناس إذن
إن ذلك لم يكن ليفلح أبداً ؟
من يحملون أثقل الأعباء
سيتمنون لو كانوا قد أحجموا .

ماذا سيذكّرهم
بكل القتلى ؟
الجروح التي لم تلتئم بعد
ستذكّرهم .

## إلى راديو نقال *

أيها الصندوق الصغير الذي حملته في هذه الرحلة
فارّاً من منزل إلى قطار ، ومن قطار إلى سفينة
محاذراً ألاّ تنكسر
حتى أسمع الرطانة الكريهة .

بجوار فراشي ، لتؤلمني
آخر شيء بالليل ، وحين يتبدّى الفجر
ترسم انتصاراتهم وأسوأ مخاوفي :
عدني على الأقل بأنك لن تخرس ثانيةً !

## إلى الملاذ الفنلندي **

قل ، أيها المنزل بين الساوند وشجرة الكمثري

---

* ترد هذه القصيدة كجزء من «المقطوعات الفنلندية» ضمن مجموعة شتيفين وتقول ملاحظة لبريخت أنه «في المقطوعات اليونانية تتحول أشياء الحياة اليومية التي صنعها الانسان ، بما في ذلك الأسلحة ، الى مادة للشعر». وقد لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو .

** واحدة من «المقطوعات الفنلندية» وكان بريخت يعلق نفس =

تلك العبارة القديمة الصدقُ عينيّ ، التي
نقشها عليك مهاجر ذات مرة -
هل نجت من القصف ؟

## الغلايين *

لما كنت قد تركت كتبي لأصدقاء
متعجلاً بلوغ الحدود ، فقد تخليت عن القصيدة
لكنني حملت معي أدوات التدخين ، مخالفاً القاعدة الثالثة
للمهاجر : لا تحمل شيئاً .

الكتب لا تعني الكثير لذلك الذي
ينتظر الآن قدومهم ليمسكوه .
الجراب الجلدي والغلايين القديمة
أكثر فائدة له .

## مناجاة لصاحب مقام رفيع **

١ .
يا صاحب الرفعة ، نائب القنصل ، تفضل
وامنح قملتك المرتجفة
الختم الذي يعني السعادة !

---

= العبارة الهيجلية على حائط مسكنه في نيويورك في منتصف الأربعينات .

* هذه القصيدة هي الأخرى إحدى قصائد «المقطوعات الفنلندية». وقد ترك بريخت كتبه وأوراقه في السويد . لحن آيزلر هذه القصيدة لتغنى بمصاحبة البيانو .

** تحمل مخطوطة بريخت الاهداء (اللاحق على كتابة القصيدة) «إلى ليون فويشتفانجر ٣١ / ١٢ / ٤١. كاليفورنيا . بحرارة ، برتولت بريخت». وقد حصلت عائلة بريخت على تأشيرة دخول =

أيتها الروح السامية
التي خلق الآلهة على صورتها
اسمح بمقاطعة أفكارك الغامضة
لثانية واحدة!

أربع مرات
أفلحت في بلوغ حضرتك.
آمل أن يكون بلغك
القليل من كلماتي
التي أعددتها في ليالي الأرق.

حلقت شعري مرتين من أجلك
أبداً
لم أجئك دون قبعةٍ، وقلنسوتي المهلهلة
أخفيها دائماً عن ناظريك.

أنت تعلم، أن كلماتك القليلة
تفسرها، لأسابيع، عائلات مرتجفة
بحثاً عن إشارات مشؤومة أو إمارات سعيدة:
هل هذا سبب قسوتها البالغة؟

ناصب الشراك العظيم يقترب.
هناك باب صغير، يقود
خارج الشرك. ولديك
المفتاح.

---

= الولايات المتحدة من قنصلية هلسنكي بعد طول انتظار. ولم يكن القنصل شديد الود، كما تروي هيلينة فايجل. وقد طلب منها شهادة بحسن السيرة والسلوك من الحكومة الالمانية. والمدهش انهما أرسلا في طلب هذه الشهادة وتلقياها من وزارة الداخلية النازية، وقد أرسلها مسؤول مجهول في خطاب شخصي.

فهل تلقيه ؟

. ٢
لا تخف ، أيها الضئيل خلف مكتبك !
فرؤساؤك
لن يضنوا عليك بالختم .
لشهور من الاستجواب
سبرت غور المتقدم .
تعرف كل شعره في لسانه .
لم تغفل حرفاً واحداً
من تعليماتك . ولم تنس
سؤالاً عويصاً ، فضع الآن نهاية لهذا العذاب !
اختم فقط بهذا الختم ، فرؤساؤك
لن يلتهموك من أجل هذا !

## تعلمت مبكراً

تعلمت مبكراً أن أغير كل شيء بسرعة
الأرض التي أسير عليها ، والهواء الذي أتنفسه
أفعل ذلك بخفة ، لكنني ما زلت أرى
كيف يريد الآخرون أن يحملوا معهم الكثير .
دع سفينتك خفيفة ، خلّف ما وراءك بخفة
خلّف كذلك سفينتك وراءك بخفة حين يخبرونك
بأن تأخذ الطريق البري .
لا يمكن أن تكون سعيداً إذا أردت أن تحتفظ بالكثير معك
أو إذا أردت ما لا يريده الكثيرون .
كن حكيماً ، ولا تحاول أن تسلك طريقاً وحدك .
بل تعلم أن تمسك بالأشياء وأنت تمر .
دع سفينتك خفيفة ، خلّف ما وراءك بخفة

خلّـف كذلك سفينتك وراءك بخفة حين يخبرونك
بأن تأخذ الطريق البري .

## هناك الكثير لرؤيته في كل مكان

ماذا رأيت ، أيها الجوّال ؟
رأيت مشهداً بهيجاً ؛ تلاً رمادياً في سماء صافية ، والعشب يتماوج
في الريح . ومنزلاً يستند إلى التل مثل امرأة تستند إلى رجل .
ماذا رأيت ، أيها الجوّال ؟
رأيت أخدوداً صالحاً لنصب البنادق خلفه .
ماذا رأيت ، أيها الجوّال ؟
رأيت منزلاً بلغ من تداعيه بحيث كان لا بد أن يسنده تل ، مما
يعني أنه
يبقى في الظل طوال النهار . مررت به في أوقات مختلفة ، ولم يكن
الدخان
يتصاعد أبداً من المدخنة كما لو كان الطعام يُطهى . ورأيت أناساً
يعيشون فيه .
ماذا رأيت ، أيها الجوال ؟
رأيت حقلاً ظامئاً فوق أرض صخرية . كل ورقة عشب تقف
وحدها .
والصخور ترقد فوق العشب . وتلاً يلقي ظلاً كثيفاً .
ماذا رأيت ، أيها الجوال ؟
رأيت صخرة ترفع كتفيها من التربة المعشوشبة مثل مارد يرفض
الهزيمة . والعشب ينتصب ، بكبرياء ، يابساً ومستقيماً ، فوق
التربة الظامئة . وسماءً لا مبالية .
ماذا رأيت ، أيها الجوال ؟
رأيت طيّة في الأرض . لا بد أن فورانات هائلة في سطح الأرض
قد جرت
هنا منذ آلاف السنين . فالبازلت يرقد مكشوفاً .

ماذا رأيت ، أيها الجوال ؟
لا مقعد لأجلس عليه . وكنت متعباً .

## علمني

حين كنت فتياً كان لدي صورة لي رُسمت على الخشب
بالسكين والورنيش ، تبيّـن فتىً كبيراً
يهرش صدره لأن الجرب يكسوه
لكنه ينظر نظرة ضارعة لأنه يريد أن يتعلم .
ولم تكتمل
لوحة أخرى للركن المقابل من حجرتي
تبين شاباً يعلمه .

حين كنت فتياً كنت آمل
أن أجد عجوزاً على استعداد أن أعلمه .
وحين أصبح عجوزاً آمل
أن يجدني شاب ، وسوف
أتركه يعلمني .

# VIII

# قصائد أميركية

# ١٩٤١ ـ ١٩٤٧

## حول انتحار اللاجىء ف . ب *

قيل لي إنك رفعت يدك ضد نفسك
متوقعاً السفاح .
بعد ثماني سنوات في المنفى ، تراقب صعود العدو
حين بلغت ، أخيراً ، حدوداً لا يمكن اجتيازها
يقولون إنك اجتزت أخرى ممكنة الاجتياز .

الامبراطوريات تنهار . زعماء العصابات
يتبخترون كرجال الدولة . والشعوب
لم تعد تُرى تحت كل تلك الأسلحة .

هكذا يرقد المستقبل في الظلام وقوى الحق
ضعيفة . كل هذا كان واضحاً لك
حين دمرت جسداً قابلاً للتعذيب .

## الإعصار * *

أثناء فرارنا من النقاش إلى الولايات المتحدة
لاحظنا فجأة أن سفينتنا الصغيرة لم تكن تتحرك .

---

* اللاجىء المذكور هو المفكر والكاتب فالتر بنيامين الذي عرف بريخت في أواخر العشرينات ، وكان يراه كل يوم أثناء اقامته في سكوفسبوستراند ما بين يوليو وأكتوبر ١٩٣٨ . وكان بنيامين يعيش منفاه في باريس حيث اعتقل ، وبعد هزيمة الفرنسيين انضم إلى مجموعة من اللاجئين تحاول عبور الحدود مع اسبانيا . وفي ٢٦ سبتمبر ١٩٤٠ ، انتحر بالسم بعد أن هدده عمدة قرية على الحدود بإعادته إلى السلطات النازية .

* * أبحرت عائلة بريخت من فلاديفوستوك على ظهر الباخرة "آني =

ليلة كاملة ويوماً كاملاً
ظلت واقفة مقابل لوزون ببحر الصين .
قال البعض إن السبب إعصار مندفع إلى الشمال
وخشي آخرون أن يكون السبب هو المغيرون الألمان .
والجميع
فضلوا الإعصار على الألمان

---

= جونسون" في ١٣ يوليو ١٩٤١ ، ووصلت إلى لوس أنجلوس بعدها بثمانية أيام.

## لوحة المنفى *

لكن حتى أنا ، على القارب الأخير
رأيت بهجة الفجر بين الأشرعة
وأجسام الدرافيل الرمادية تقفز
من بحر اليابان .

أما عربات الخيل الصغيرة ذات الزينات المذهبة
وأكمام أصحاب المحال الحمراء
في طرقات مانيلا المشؤومة
فقد رآها الطريد في ابتهاج .

وأما أبراج البترول وحدائق لوس أنجلس العطشى
ووهاد كاليفورنيا عند الغروب وسوق الفاكهة
فلم تخفق في إثارة مشاعر رسول الشقاء .

## بعد وفاة معاونتي م . ش . **

I

في العام التاسع للفرار من هتلر

---

* لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو .

** معاونته مارجريت شتيفين Margaret Steffin, وقد غادرت فنلندا مع عائلة بريخت بعد أن حصلت ، في آخر لحظة ، على تأشيرة زيارة للولايات المتحدة . ونتيجة لمرضها المستعصي بالسل ، تخلفت في إحدى مصحات موسكو حيث توفيت في ٤ يونيو ١٩٤١ بينما كانت عائلة بريخت تعبر سيبيريا بالقطار . وتبين ملاحظة كتبها بريخت بعدها بعام كامل أنه لم يكن قد تمالك نفسه من هذه الضربة بعد .

وقد أنهكها السفر
والبرد والجوع في فنلندا الباردة
وانتظار ترخيص بالسفر إلى قارة أخرى
ماتت رفيقتنا شتيفين
في مدينة موسكو الحمراء.

**II**

جنرالي سقط
جندي سقط.

تلميذي ذهب بعيداً
معلمي ذهب بعيداً.

ممرضتي مضت
مريضتي مضت.

**III**

حين بلغنا المرحلة التي هز فيها الموت الرحيم كتفيه
وأراني فصوص رئتيها الخمسة التالفة
فعجزت عن تصور أنها ستحيا على السادسة وحدها
جمعت بسرعة ٥٠٠ عمل
الأشياء التي يجب بحثها في الحال، وغداً، وفي العام القادم
وخلال سبعة أعوام من الآن
سألت أسئلة لا تنتهي، أسئلة حاسمة
لا يمكن أن يجيبها سواها
وهكذا، والحاجة إليها ماسة
كان موتها أسهل.

**IV**

في ذكرى معلمتي الصغيرة

ذكرى عينيها ، وومضات غضبها الزرقاء
معطفها الصوفي القديم بقلنسوته العميقة
وحاشيته الداخلية الغليظة ،
عمّدت الجوزاء في سماء الليل باسم كوكبة شتيفين
بينما أرفع هامتي وأراقبها ، هازاً رأسي
أسمع أحياناً سعلة خافتة .

**V**

## الحطام *

الصندوق الخشبي هناك ما زال ، يضم قصاصات بناء مسرحية
هناك السكاكين البافارية ، ومنضدة الكتابة
والسبورة ، هناك الأقنعة ما تزال
هناك الراديو الصغير والحقيبة العسكرية
هناك الإجابة ، لكن ليس هناك أحد أسأله
وعالياً فوق الحديقة
تقف كوكبة شتيفين .

**VI**

## بعد وفاة معاونتي م.ش .

منذ متِ ، يا معلمتي الصغيرة
أدور قلقاً ، لا أبصر
في عالم رمادي ، مذهولاً
كما لو لم يكن لديّ ما يشغلني .

---

* القصائد الأربع الأولى تشكل مجموعة واحدة رغم أن الثالثة انفصلت عنها في أوراق بريخت . أما القصيدتان الخامسة والسادسة وكل منها تحمل عنواناً فيبدو انهما قصيدتان مستقلتان . وقد جرى ضمهما إلى بقية المجموعة بمناسبة نشرهما لأول مرة . وقد أعطى القصيدة السادسة عنوانها ليضم المجموعة بأكملها .

لا سماح لي
أو لأي غريب
بدخول قاعة العمل

الطرق والحدائق العامة
أراها الآن في ساعات غير مألوفة
حتى لا أكاد أتعرف إليها

الوطن
لا أستطيع الذهاب إليه : أنا خجل
من كوني طريداً
وبائساً .

## سوناتا في المهجر *

مطارداً من وطني ، عليّ الآن أن أرى
هل يمكن أن أجد متجراً أو باراً
أبيع فيه نتاج عقلي .
هأنذا أطرق ثانيةً دروباً خَبَرتها جيداً .

أبلاني من اعتادوا الهزيمة .
أمضي في طريقي ، لكنني لا أعرف بعد من أقصد .
حيثما ذهبت يقولون لي : 'تهج اسمك !'
آه ، وهذا الإسم كان يعد عظيماً ذات حين .

كان سيسرني الآن ألاّ يعرف ذلك أحد
كشخص سقطت عنه العقوبة .
لا أظن أنهم سيرحبون باستخدامي .
فقد تعاملت من قبل مع أمثالهم
وأحس أن الشك يتزايد
فيما إذا كانت خدماتي ، في الحقيقة ، سترضيهم .

## حين أفكر في الجحيم **

حين أفكر في الجحيم ، أستنتج
أن أخي شيللي وجده مكاناً

---

* كتبت بعد وصول بريخت إلى الولايات المتحدة مباشرة .

** الاشارة هنا إلى البيت "الجحيم مدينة تشبه كثيراً مدينة لندن" في بداية الجزء الثالث من قصيدة شيللي "بيتربل الثالث" . وقد ترجم بريخت جزءاً منها عام ١٩٣٨ .

يشبه كثيراً مدينة لندن . وأنا
الذي أُعيش في لوس أنجلوس وليس في لندن
أجد ، حين أفكر في الجحيم ، أنه لا بد أن يكون
أشد شبهاً بلوس أنجلوس .

في الجحيم أيضاً
توجد ، بلا شك ، هذه الحدائق الفاخرة
بزهور في حجم الأشجار ، تذبل طبعاً
بلا تردد ما لم تُرْوَ بماء باهظ الثمن .
وأسواق الفاكهة
بأكوام ضخمة من الفاكهة ، رغم أنها
بلا طعم ولا رائحة . ومواكب السيارات التي لا تنتهي
أخف من ظلها ذاته ، وأسرع
من الأفكار المجنونة ، عربات لامعة
يأتي فيها قوم حسنو المظهر من لا مكان ويتجهون إلى لا مكان .
ومنازل ، بنيت للسعداء ، ولذا تظل خاوية
حتى حين تُسكن .

منازل الجحيم ، ايضاً ، ليست كلها قبيحة .
لكن الخوف من إلقائهم إلى قارعة الطريق
يطحن سكان الفيللات
بقدر ما يطحن سكان أكواخ الصفيح .

## نظراً للظروف في هذه البلدة *

نظراً للظروف في هذه البلدة
فإنني أتصرف كما يلي :
حين أدخل أذكر إسمي
وأبرز أوراقاً تثبته بأختام
لا يمكن تزويرها .
حين أقول أي شيء أذكر شهوداً أملك أدلة
على جدارتهم .
حين لا أقول شيئاً أكسو وجهي
بتعبير من البلاهة حين يُرى
أنني لا أفكر .
وهكذا
لا أسمح لأحد بأن يصدقني . وكل أشكال الثقة
أرفضها .

أفعل هذا لأنني أعلم : أن الظروف في هذه البلدة
تجعل التصديق مستحيلاً .

ورغم ذلك يحدث أحياناً -
قد أكون شارد الذهن أو مهموماً -
أن أُؤخذ على غرة وأسأل
ما لم أكن خدعة ، ما لم أكن أكذب ،
ما لم أكن أخفي شيئاً .
ساعتها

---

* يرجح أن البلدة المذكورة هي لوس أنجلوس .

يزداد اضطرابي ، فأتخبط وأخفق في ذكر
كل ما هو في صالحي ؛ على العكس
فإنني خجل من نفسي .

# أغنية أم ألمانية*

يا بني ، حذاؤك اللامع
وقميصك البُـنّي كانا هديتي لك :
لو عرفت حينها ما أعرف الآن
لكنت شنقت نفسي بشجرة .

يا بني ، حين رأيت يدك ترتفع
بتحية هتلر في ذلك اليوم الأول
لم أعرف أن من حيّـوا
سيرون يدهم وهي تذوي .

يا بني ، يمكنني أن أسمع صوتك يتكلم :
يحكي عن جنس من الأبطال .
لم أعرف ، أو أخمّن ، أو أرى
أنك كنت تعمل في غرف تعذيبهم .

يا بني ، حين رأيتك تسير
في طابور هتلر المظفّر
لم أعرف أن من مضىٰ عندئذ
لن يعود أبداً

يا بني ، قلت لي إن بلدنا
على وشك أن يستجمع ذاته .

---

* لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو . كما لحنها ديساو في ١٩٤٣ وأهداها إلى هيلينه فايجيل زوجة بريخت . واستخدم ديساو جملة موسيقية وضعها بريخت نفسه .

لم أعرف أن كل ما سيسفر عنه
هو الرماد والحجر الملطخ بالدم.

رأيتك ترتدي قميصك البني
وكان يجب أن أصرخ محتجة
فلم أكن أعرف ما أعرفه الآن:
أنه كان كفنك.

# تحت علامة السلحفاة*

١ .

لكن في السنة الرابعة خرج من الفيضان الدامي
حيوان صغير ، سلحفاة
تحمل في فمها الدقيق
غصن زيتونٍ هشاً .

٢ .

سرعان ما ظهرت صورتها كرسم خطته يد طفولية
على جدران عنابر الآلات
وعلى الأرضية الأسفلتية لمصانع القاذفات
وعلى طاولات العدد في مصانع الدبابات .

٣ .

وحيثما ظهرت تلك الضئيلة
البطيئة ، غير الماهرة
كانت الدبابات تزحف من العنابر متثاقلة
والقاذفات تحلق معتلة
والغواصات تتزايد بتردد كاره
وبدأ إفراخ المعدات العقيمة القاتلة في الركود .

---

* كان لكل نبالة أو ملكية شعارها التي تتخذه من حيوان أو طير أو نبات . وكان شعار الامبراطورية [ وتعني بالألمانية الرايخ ] هو النسر . وكلمة علامة في العنوان يقصد بها إحدى علامات البروج الفلكية .

٤ .

نازل شعار الوضعاء
شعار الوجهاء
غادر نسر الامبراطورية النهاب عشه
رغماً عنه .
والتهمت السلحفاة
البيض المشحون بالكارثة .

## سلم البضاعة ! *

مرةً بعد مرة
وأنا أتجول في مدنهم
بحثاً عن القوت ، يقولون لي :
أرنا ماذا تستطيع
ضعه على الطاولة !
سلم البضاعة !
قل شيئاً يلهمنا !
إحكِ لنا عن عظمتنا !
خمّن ما هي رغباتنا الدفينة !

---

* **في المخطوطات قصيدة أخرى ، لم تكتمل ، لبريخت كالتالي :**
يقولون لي ، إن في هذا البلد ، يُستبدل الفعل «أقنع»
بالفعل «باع» فالأمهات الشابات
حين يعطين ثديهن لطفلهن الوليد
يقال انهن يبعن اللبن . والمواطن
الذي يُري الغريب الجبال المكسوة بالجليد
يبيعه المشهد ، كما هو الحال .
**وتناقش «يوميات العمل» كذلك نفس مفهوم البيع (٢٧ ديسمبر و ٢١ يناير) : ويقال ، كما هي الحال ، أن المرء يبيع بوله للمرحاض .**

أرنا المخرج
إجعل نفسك نافعاً !
سلم البضاعة !

قف بجانبنا ، حتى
تشمخ فوقنا
أرنا أنك واحد منا .
وسندعوك أفضلنا .
يمكننا أن ندفع ، فلدينا المال الكافي -
ولا يستطيع ذلك سوانا .
سلم البضاعة !

اعلم أن نجومنا العظام
هم من يعرضون ما نود أن يُعرض .
إرتفع بأن تخدمنا !
أخلد بأن تمنحنا الخلود
إلعب لعبتنا ! كن مستقيماً معنا !
سلم البضاعة !

حين أنظر إلى وجوههم المتعفنة
يتلاشى جوعي .

## صيف ١٩٤٢

يوماً بعد يوم
أرى أشجار التين في الحديقة
والوجوه المتوردة للوسطاء الذين يشترون الأكاذيب
ولاعبي الشطرنج على المائدة الركنية
والصحف بتقاريرها
عن حمامات الدم في الاتحاد السوفياتي .

## مراثي هوليوود *

**I**

خُططت قرية هوليوود
طبقاً لتصور الناس في هذه الأنحاء عن الجنة . ففي هذه الأنحاء
توصلوا إلى نتيجة أن الرب
حين احتاج إلى جنة وجحيم ، لم يكن بحاجة
إلى أن يخطط هيئتين
بل واحدة فقط هي : الجنة
فهي ، للمعدمين ، والفاشلين
تقوم مقام الجحيم .

**II**

على ساحل البحر تقوم أبراج البترول . وفوق المنحدرات
ترقد عظام الباحثين عن الذهب وقد ابيضت .
أما أبناؤهم فقد أقاموا مصانع الأحلام في هوليوود
فالمدن الأربع
تفوح منها الرائحة البترولية
للأفلام .

---

* **كتب بريخت هذه المراثي ليلحنها هانز آيزلر ، ولم تنشر في حياة بريخت وهناك أغنية أخرى لآيزلر تحمل عنوان : « هوليوود » وتمضي كالتالي :**

علمتني هذه المدينة
أن الجنة والجحيم يمكن أن يكونا مدينة واحدة
فالجنة هي الجحيم
لمن لا مورد لهم .

III

سُمّيت المدينة باسم الملائكة*
وفي كل مكان تصادف ملائكة
تنضحن برائحة البترول، وترتدين موانع حمل ذهبية
وبدوائر زرقاء حول عيونهن
تطعمن الكتّاب في أحواض سباحتهن كل صباح.

IV

تحت شجيرات الفلفل الخضراء
يمارس الموسيقيون الزنا، إثنين إثنين
مع الكتّاب. فباخ
وضع قداساً داعراً**. ودانتي
يهز مؤخرته المغضنة.

V

ملائكة لوس أنجلوس
أنهكها الابتسام. وبيأس
خلف صناديق الفاكهة في الغروب
تشتري قنينات صغيرة
تضم عطوراً جنسية.

VI

فوق المدن الأربع تدور
مقاتلات وزارة الدفاع على ارتفاع شاهق
حتى لا يبلغها
عفن الجشع والفاقة.

---

* لوس أنجلوس: تعني الملائكة بالإسبانية.

** قداس داعر هي ترجمة Strumpet Voluntary وكلمة Volungary تعني مقطوعة موسيقية ارتجالية أو تغنى في الكنيسة أثناء القداس. والاشارة إلى موسيقى باخ الدينية.

## المستنقع

رأيت أصدقاء عديدين ، بينهم الصديق الذي أؤثره
يغوصون بلا حيلة في المستنقع
الذي أمر به كل يوم .

لم يكن الغرق لينتهي
في صباح واحد . فعادةً كان يستغرق
أسابيع ؛ وجعله هذا أكثر فظاعة ،
هو وذكرى أحاديثنا الطويلة معاً
عن المستنقع
الذي أودى ، فعلاً ، بالكثيرين .

بلا حيلة أخذت أرقبه ، وهو يميل إلى الوراء
تغطيه الديدان
في الوحل المتلألئ
البطيء الحركة :
وفوق الوجه الغائص
ابتسامة شبحية
هانئة .

## هوليوود *

كل يوم ، لأكسب خبزي اليومي
أذهب إلى السوق حيث تُشترى الأكاذيب
وآملاً
آخذ مكاني بين البائعين .

## والآن تستمر الأوقات الحالكة **

والآن تستمر الأوقات الحالكة
في المدينة الأخرى
لكن الخطوة ما تزال خفيفة
والحاجب دون تقطيبة .
الإنسانية القاسية ، غير عابئة
كأسماك ظلت طويلاً في الثلج
لكن القلب ما زال سريع الجواب
والابتسامة تذيب ملامح الوجه .

## في ري الحديقة

آه يا لري الحديقة ، يا لإحياء الخضرة !
سقي الأشجار العطشى . أعطها أكثر مما يكفي
ولا تنس الشجيرات

---

* ثالثة القصائد التي لحنها آيزلر تحت عنوان "مراثي هوليوود" وبين المعالجات السينمائية التي كان بريخت يحاول بيعها في ذلك الحين "أيام قيصر الأخيرة" و "مرض مستر هنري دونانت الغريب".

** لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو .

حتى تلك التي دون ثمار ، الشجيرات
المنهكة المسودّة . ولا تغفل
الحشائش النابتة بين الأزهار ، فهي أيضاً
عطشى . كذلك لا تكتف بري العشب الغض أو المحترق .
فيجب أن تنعش حتى التربة العارية .

## قراءة الصحيفة أثناء غلي الشاي

في الساعات الباكرة أقرأ في الصحيفة عن مشروعات تفتح عهداً جديداً
من قِبَل البابا والحكام، والمصرفيين وبارونات البترول.
بعيني الأخرى
أراقب الإبريق وبه ماء الشاي
كيف يتصاعد منه البخار، ويبدأ في الغليان ويصفو ثانيةً
ويفيض من الابريق مطفئاً النار.

## خريف كاليفورنيا

**I**

في حديقتي
ليس ثمة سوى نباتات دائمة الخضرة. وحين أريد أن أرى الخريف
أذهب إلى منزل صديقي الريفي في التلال. هناك
يمكن أن أقف خمس دقائق وأرى
شجرة جُرِّدت من أوراقها، وأوراقاً إنتُزِعَت من جذعها.

**II**

رأيت ورقة شجر ضخمة
تسوقها الريح عبر الطريق، وفكرت: أن من العبث
والتكهن بمسارها المقبل.

## قناع الشر

من حائطي يتدلىٰ نقش ياباني
قناع شيطان شرير، مطلي بالذهب.
بإشفاق ألاحظ
العروق النافرة على الجبهة، التي تبين
كم يرهق المرء أن يكون شريراً.

## مطارداً من سبع دول

مطارداً من سبع دول
رأيت الحماقات القديمة تؤدي :
من أمتدح هم من لم
تشوه تحولاتهم أشخاصهم .

## القاضي الديمقراطي

في لوس أنجلوس ، أمام القاضي الذي يفحص
من يحاولون أن يصبحوا مواطنين للولايات المتحدة
مثل صاحب مطعم إيطالي . وبعد استعدادات جسام
عرقلها ، رغم ذلك ، جهله باللغة الجديدة
أجاب في الاختبار على سؤال :
ما هو التعديل الثامن ؟ متلعثماً :
١٤٩٢ . ولما كان القانون يقضي بأن يعرف المتقدمون اللغة
فقد رُفض طلبه . وحين عاد
بعد ثلاثة أشهر إنقضت في دراسات أعمق
لكن ما زال يعرقلها الجهل باللغة الجديدة
واجهه هذه المرة سؤال : من كان
الجنرال المنتصر في الحرب الأهلية ؟ وكانت إجابته :
١٤٩٢ . ( قالها بودّ ، وبصوت عال ) . وحين رُفض
وعاد مرة ثالثة ، أجاب عن سؤال ثالث :
ما هي مدة رئاسة رؤسائنا ؟
بقوله مرة أخرى : ١٤٩٢ . عندها
أدرك القاضي ، الذي كان قد أحب الرجل ،
أنه لا يستطيع تعلم اللغة الجديدة ، وسأله
كيف يكسب قوته فقيل له : بالعمل الشاق . وهكذا
عند مثوله للمرة الرابعة سأله القاضي :
متى اكتشفت أميركا ؟ ونظراً لإجابته الصحيحة
١٤٩٢، مُنح الجنسية .

## أداة الصيد *

من حائط غرفتي الجيري
تتدلى عصا خيزران قصيرة يربطها خيط
بخطاف حديدي
مصمم ليلتقط شباك الصيد من الماء.
أتت العصا من متجر أدوات مستعملة بالمدينة.
أهداني إياها إبني في عيد ميلادي.
بالية، وفي الماء المالح أبلى صدأ الخطاف محوره.
آثار الاستخدام والعمل هذه
تضفي على العصا كبرياء عظيمة.
أحب أن أفكر أن أداة الصيد هذه
قد خلفها وراءهم أولئك الصيادون اليابانيون
الذين اقتادوهم الآن من الساحل الغربي إلى المعسكرات
كغرباء مشتبه بهم؛ وأنها وصلت إلى يدي
لتذكّرني بالعديد
من مشكلات البشرية
التي لم تُحل لكنها لا تستعصي على الحل.

## مشهد مديني **

١.

أنتم، أيها المبعثرون من علبة السردين

---

* كتب بريخت في مذكراته يوم ٢٥ مارس ٤٢ أنه رأى اليابانيين في كاليفورنيا يسجلون أسماءهم كغرباء مشتبه بهم من جنسية العدو في نفس الوقت الذي كان يسجل نفسه فيه.

** مثل «مراثي هوليوود»، تشير هذه القصيدة إلى لوس أنجلوس، =

شخوصاً مرة أخرى ، كما تمنت أمهاتكم
ويا لخيبة ظنهن ، مرة أخرى
بنظرة غريبة ، وربما بحاجب مرفوع !
تلتمعون بدهان الثقة والسلوان
الذي يبقيكم نضرين ، وقد بطّطتكم بعض الشيء
تجاعيد حد السكين ، أيها المحاسبون ،
إنكم من أبحث عنهم ، أيتها المحتويات المتبجحة
للمدن !

٢ .
الماء في البالوعات
ما زال يُفتش بحثاً عن الذهب .
والدخان ، موغلٌ في تباعده ،
يجر نفسه مصعّداً
فوق قمم الأسطح .

٣ .
في الفناء الخلفي غسيل منشور :
سراويل نسائية حمراء ،
تمتطيها الريح .

٤ .
المدينة تنام . تزدرد نومها
بنهم . متشدقةً
ترقد في البالوعة ، تطاردها
الأحلام البذيئة

---

= لكن من الممكن أن تكون فكرتها قد جاءت ، جزئياً ، من نيويورك حيث بقي بريخت من منتصف فبراير ١٩٤٣ إلى نهاية مايو ، ثم من ١٩ نوفمبر الى مارس من العام التالي .

والقلق على الوجبة التالية.

. ٥
تيارات البشر
تتدفق على الأحياء التجارية
التي نُظفت خلال الليل
من نفايات وخراب تيار البشر
في اليوم السابق.

. ٦
بين تيارات البشر الكئيبة
التي تطفح على جوانب المباني
تطفو صفحات الصحف
التي تدوّم حول التماثيل
وتتسلق مباني المكاتب.

. ٧
شعوب المدينة التسعة تنام
ترهقها
خطاياها وخطايا الآخرين.
أدواتهم
ترقد مستعدة لعمل اليوم التالي. وخلال الشوارع الخالية
ترن خطوات الخفراء
وفي مطار بعيد
تحلق القاذفات
بدأب.

## تناقضات *

ورأيت ضرباً من البشر بلغت مهارتهم أن يبنوا لأنفسهم أبراجاً
تعلو فتبلغ الشمس ، كما لم يفعل غيرهم ، ويعيشون في كهوف .
يعرفون كيف يسمّدون الأرض لتعطي محصولاً مضاعفاً
لكنهم يطعَمون لحاء الأشجار ولا يجدون منه كفايتهم .
وفوقهم في ذلك الموضع من السماء تظهر أسراب القاذفات
قاتلةً وتعلو كأمواج المد
لكنها أقل دقةً ، فهي الطبيعة ، لكن لا يفهمها أحد .
كما كانت الحال من قبل فإن الطقس الذي لا يمكن التنبؤ به
كان يحدد الجفاف والرطوبة ، وكذلك حجم المحاصيل
لكن ليس تماماً ؛ إذ يعود في دورات فظيعة
فيُلقي القمح في النار ، والبقول في الماء .
ولما كان الكثير يحدث مما لا يمكن لرجل عادي أن يضعه في
حسبانه
على هيئة تعاويذ تحرك الجبال ، وتحوّل مجرى الأنهار
فقد بزغت الآلهة من جديد ، الآلهة القديمة ، من الظلمة السحيقة .

## تحول الالهة **

الآلهة الطينية القديمة - وهذا سر -

---

* **تحمل مخطوطات بريخت ملاحظة بأن هذه القصيدة إحدى قصائد «الرؤى». لكنها لم تضم إليها في أية طبعة.**

** **توجد نسخة مطولة لم تنشر، وتبدو ناقصة ، لهذه القصيدة بعنوان "الكرنفال الأحمر" وتبدأ على النحو التالي :**
أمام المواكب المقنّعة الضخمة للكرنفال الأحمر
تُساق الآلهة ، الآلهة الطينية القديمة
التي كانت أول المتحولين إلى المسيحية
**- وترد بعد صياغة لمجمل القصيدة الحالية . ثم تمضي القصيدة :**

=

كانت أول المتحولين إلى المسيحية .
قبل الجميع ، خطت خلال أسيجة البلوط الرمادية
وتمتعت بصلوات مناسبة ورسمت علامة الصليب .

وخلال طول العصور الوسطى اتخذت مواقعها
كما لو كانت شاردة الذهن ، في المحاريب الحجرية لبيت الرب
حيثما تطلب الأمر شخوصاً ربانية .

وفي زمن الثورة الفرنسية
كانت أول من يضع أقنعة العقل الخالص
وكمفاهيم قوية
خطت ، مصاصة الدماء وخانقة الفكر القديمة هذه ،
فوق الظهور المحنية للجماهير الكادحة .

---

= وخلفها ، على الأقدام
يأتي رؤساء الحكومة البارزون
ومديرو المصانع والمشروعات الزراعية
يجرّون
عربة صغيرة تضم شخصاً أو إثنين
لا يحتلون منصباً .

وإثر هؤلاء ، بأقنعة هائلة
تحمل ملامح الأقوياء
يأتي الكتّاب الساخرون ويسجلون سخافاتهم ، التي تستهدف تدمير ثقة الشعب .

**ويحمل هذا المشهد صلة واضحة بمشهد الكرنفال في "جاليليو" ، مما يرجح أن هذه النسخة تعود إلى وقت مراجعة بريخت وترجمته للمسرحية .**

## المتذمرون النشطون

المتذمرون النشطون ، معلموكم العظام
وضعوا بنية مجتمع
لا يكون فيه الإنسان ذئباً للإنسان -
واكتشفوا متعة الإنسان في أن يأكل ملء بطنه ويملك
سقفاً يظله
ورغبته في أن يدبر أموره بنفسه .
لم يصدقوا جعجعة الوعّـاظ
أن جوعنا الفظيع سيخمد فور أن تتعفن أمعاؤنا .
وطوحوا الأطباق المليئة بالطعام الفاسد .
وعرفوا في الرجل الذي قيل لهم إنه العدو
جارهم الجائع .
لم يصبروا سوى في النضال ضد المضطهدين
ولم يتحملوا سوى أولئك الذين لا يتحملون الاستغلال
ولم يرهقهم سوى الجور .

ذلك الذي ركل الكرسي الذي لم يكن مرتاحاً عليه
الذي غرس المحراث في الأرض بوصة أعمق من كل من سبقوه
المتذمر ، سيكون معلمنا
في إعادة بناء المجتمع .

أما أولئك
الذين أتخموا أنفسهم بطبق من الوعود
فسوف تنتزع أمعاؤهم
وإخفاء عظامهم الملتوية
مضيعة لملعقة من الرمال .

## خطابات حول قراءات

## (هوراس ، الرسال I, II)

I

إحذر ، أنت
يا من تمجّـد هتلر ! فأنا
الذي رأيت مواكب مايو وأكتوبر
في الميدان الأحمر والكتابات
فوق راياتهم ، وعلى شاطيء الباسيفيكي
على طريق روزفلت قوافل
البنزين الراعدة والشاحنات
المحملة بخمس عربات ، الواحدة فوق الأخرى ، أعرف
أنه سرعان ما يموت وتكون
شهرته قد سبقته ، لكن حتى
لو أفلح في جعل هذه الأرض
غير صالحة للسكنى ،
بأن يهزمها ، فلن تبقى
أغنية في مديحه . عاجلاً ، بالطبع
ستتلاشى صرخة العذاب لقارات بأسرها
لتتمكن من خنق
أنشودة مديح الجلاد . حقاً
حتى أولئك الذين يمجدون الإساءات
قد تكون أصواتهم معسولة . لكن
غناء البجعة المحتضرة يُعد أحب الأغنيات :
فهي تغني دون خوف .

في الحديقة الصغيرة بسانتامونيكا
أقرأ في ظل شجرة الفلفل

أقرأ في هوراس عمن يُدعى فاريوس
الذي كان يمجّد أوغسطس (أي يمجد، ما فعله به
الحظ السعيد، وقُوّاده، وانحلال الرومان). مجرد فقرات قليلة
منقولة في عمل رجل آخر تشهد
بمهارة شعرية عظيمة. لم يكن الأمر يستحق
عناء نسخ غيرها.

II

بمتعة أقرأ
كيف تتّبع هوراس فن النظم المرح
إلى تلك الأهجيات الريفية
التي لم تفلت منها العائلات الراقية،
حتى منع البوليس السخريات، مجبراً
من لديهم ضغينة على تطوير
فن أكثر نبلاً يصوغونه
في أبيات أكثر سمواً. على الأقل هكذا
أفسر أنا هذا المقطع.

## العودة إلى الوطن *

مدينة موطني، كيف سأجدها؟
في أعقاب أسراب القاذفات
أعود إلى وطني.
حسناً، أين هي؟ حيث تربض
جبال الدخان الهائلة.
هذا الشيء هناك بين النيران
هو هي.

* لحنها آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو.

مدينة موطني ، كيف ستستقبلني ؟
قبلي تمضي القاذفات . أسراب قاتلة
تعلن عودتي إليكِ . الحرائق
تسبق ابنك .

## أنا ، الباقي

أعلم بالطبع : أنني بمجرد الحظ
بقيت بعد وفاة العديد من الأصدقاء . لكنني الليلة الماضية
في حلم
سمعت أولئك الأصدقاء يقولون عني : 'البقاء للأصلح'
فكرهت نفسي .

## فيلم للكوميدي شابلن *

إلى حانة في بولفار سان ميشيل
دخل رسام شاب ذات ليلة خريفية ممطرة
شرب ثلاثة أو أربعة كؤوس من تلك الخمر الخضراء،
وأضجر لاعبي البلياردو بقصة عودته المؤثرة
إلى عشيقة قديمة، مخلوقة رقيقة
هي الآن زوجة جزار ثري.
حثهم قائلاً "أسرعوا، يا سادة، من فضلكم ناولوني الطباشير
من منضدتكم"، وراكعاً على الأرض
حاول بيد مرتجفة أن يرسم صورتها
صورتها هي، محبوبة الأيام الخوالي،
ماسحاً بيأس ما رسمه، وبادئاً من جديد
متوقفاً مرة أخرى، مازجاً
ملامح أخرى ومغمغماً: "بالأمس فقط عرفت ملامحها".
خطا الزبائن فوقه لاعنين، وأمسكه صاحب الحانة الغاضب
من ياقته وألقاه خارجاً، لكنه
بلا كلل، بينما يهز رأسه، أخذ بالطباشير على الطوار
يتعقب تلك الملامح الخابية.

---

* شاهد بريخت الفيلم المذكور في فيسبادن في اكتوبر ١٩٢١ وقال عنه إنه «أعمق الأفلام التي شاهدتها تأثيراً». ويرجع الدارسون أن يكون هو الفيلم الذي يحمل عنوان "وجه على أرض الحانة". وقد قابل بريخت شابلن، الذي ظل معجباً به لفترة طويلة، وقضى معه بعض الوقت في هوليوود يتذكران الأفلام القديمة. لكن هانز آيزلر، الذي كان يعرف شابلن جيداً، قال إنه لا يستطيع تقدير عمل بريخت بصورة جيدة.

## دفن الممثل *

حين مات الرجل المتغير
مددوه في الغرفة الصغيرة ذات الطلاء الأبيض
وسط مشهد من الخضرة للزوار
ووضعوا على الأرض تحت قدميه
السرج والكتاب ، وخلاّط المشروبات والعدسة
وعلقوا على الحائط خطافاً حديدياً
لتثبيت قصاصات الورق التي تسجل
الصنائع التي لا تنسى من جانب المتوفي
وسمحوا للزوار بالدخول .

دخل أصدقاؤه
( وكذلك بعض أقاربه الذين يحملون له الود )
وزملاؤه وتلاميذه
ليسلّموا قصاصات الورق التي تسجل
الصنائع التي لا تنسى من جانب المتوفي .

حين حملوا الرجل المتغير إلى منزله السابق
حملوا أمامه أقنعة

---

* من المحتمل أن تكون هذه القصيدة قد كتبت نتيجة وفاة ألكسندر جراناش ، الذي قدم إلى هوليوود بعد أن كان أحد الممثلين البارزين لدى ماكس راينهارت . وقد مثل جراناش في مسرحيات بريخت «طبول في الليل» و «الانسان هو الإنسان» و «الاجراء». كما مثل مع بيسكاتور . وساعد بريخت في العثور على منزل في سانتا مونيكا .

أدواره الخمسة العظيمة
ثلاثة منها كلاسيكية وإثنان موضع خلاف
لكن غطاءه كان العلم الأحمر
هدية العمال
لثباته في أيام الاضطهاد
وإنجازاته في أيام الانتفاضة.

وعند مدخل بيته السابق، كذلك،
تلا ممثلو السوفياتات نص وداعه
الذي يصف إنجازاته، ويمحو
كل النقاط السوداء ويدعو الأحياء
لأن يحاولوا أن يكونوا مثله ويملأوا الفراغ الذي خلّفه.

ثم دفنوه في الحديقة العامة
عند مقاعد المحبين.

## في تفضيل تنورة طويلة واسعة *

تنورتك الريفية الضافية هي ما أختار
حيث أؤكد بخبث على طولها :
فرفعها عن جسدك إلى آخرها
كاشفةً الفخذين والمؤخرة ، يمنحني رجفة .
وحين تضعين ساقيك فوق أريكتنا
دعيها تنزلق إلى أعلى ، وهكذا ، مخبوءاً في ظلها
خلال المناقشات العميقة يلفها دخان التبغ ،
يلمّح جسدك بأن ليلتنا لم تنته بعد .

أكثر من مجرد إحساس وضيع شهواني
هو ما يجعلني أرغب في تنورة بهذا الاتساع :
فحركاتك تعيد إلى الذهن كولتشيز
يوم خطت ميديا تجاه البحر . -
إلاّ أن تلك ليست الأسباب التي أدافع بها
عن هذه التنورة . فالأسباب الوضيعة تكفيني .

## القراءة دون براءة **

في يوميات زمن الحرب
يذكر الكاتب جيد شجرة دلب عملاقة

---

* مهداة بالطبع إلى هيلينه فايجل . ولا ترتبط بأية مجموعة من السوناتات .

** الإشارة إلى يوميات جيد بتاريخ ٣ يوليو ١٩٤٠ ، بعد أيام قليلة من استسلام فرنسا ، حينما كان في جينول بجبال البرانس . وتشير يوميات العمل لبريخت أنه قرأها في ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤ .

ظل يعجب بها ـ لبرهة طويلة ـ لجذعها الضخم
وأغصانها القوية وتوازنها
بفعل جاذبية فروعها السابغة .

في كاليفورنيا النائية
أهز رأسي ، وأنا أقرأ هذه الفقرة .
الأمم تنزف حتى الموت . وما من صورة طبيعية
ترسي توازناً سعيداً .

## عند سماع أن رجل دولة قوياً قد سقط مريضاً

إذا قطّب الرجل الذي لا غنىً عنه
إهتزت إمبراطوريتان .
إذا مات الرجل الذي لا غنىً عنه
تلفّت العالم حوله كأمّ لا تملك لبناً لطفلها .
إذا كان للرجل الذي لا غنىً عنه أن يعود بعد أسبوع
من وفاته
فلَن يجد في طول البلاد وظيفة حمّال .

## عجوز دوننغ ستريت *

**'Sun, stand thou still upon Gibeon; and thou, Moon, in the valley of Ajalon'.**

شدوا أحزمتكم الجلدية ، يا عمال الفلاندرز !
فعجوز دوننغ ستريت سيفطر اليوم بالثلاثمائة الذين يخونونكم .
إخبزوا حبوب البذار ، يا فلاحي كامبانيا !
فلن تكون هناك أرض . يا شاحني سفن نابولي
على حوائط المنازل ستخطّون :
'أعيدوا الحقير !' فاليوم في رابعة النهار
كان عجوز دوننغ ستريت في روما .

أبقين أبناءكن في المنازل ، يا أمهات أثينا !
أو أشعلن الشموع من أجلهم : فالليلة
سيعيد عجوز دوننغ ستريت مِلككن .

إنهضوا من فراشكم ، يا زملاء حزب العمال !
تعالوا نظفوا معطف عجوز دوننغ ستريت الدامي !

## حول أنباء حمامات دم المحافظين في اليونان **

حيث يفوح أفظع النتن
تقال أضخم الكلمات .
إذا كان على المرء أن يسد أنفه

---

* موضوع القصيدة هو ونستون تشرشل وسياسته في مساندة الأنظمة الملكية في بلجيكا ، وإيطاليا ، واليونان بعد تحرير هذه البلدان .

** تشير القصيدة إلى تدخل الحكومة البريطانية (وكانت حكومة =

فكيف يسد أذنيه ؟

لو لم يكن صوت المدافع مبحوحاً
لقالت : نفعل ذلك لإقرار النظام .
لو أمكن للجلاد أن يجد وقتاً للحديث
لقال : غاياتي غير أنانية .

بعد طرد مواطنيّ ، دارسي الكلاسيكيات
من تلك الحقول الهوميرية
حيث كانوا يدرسون زيت الزيتون والماشية
عاد المحررون من المعركة
ليجدوا أسياداً جدداً يسيّرون المدن .

من بين المدافع تسلل التجار .

## كل شيء يتغير

كل شيء يتغير . يمكنك
أن تبدأ من جديد بآخر أنفاسك .
لكن ما حدث قد حدث . والماء
الذي صببته في الخمر ذات مرة
لا يمكن فصله ثانية .

ما حدث قد حدث . الماء
الذي صببته في الخمر ذات مرة
لا يمكن فصله ثانية . لكن
كل شيء يتغير . يمكنك
أن تبدأ من جديد بآخر أنفاسك .

---

= ائتلافية ، وليس حكومة محافظين ) في اليونان في ديسمبر عام ١٩٤٤ ضد أنصار « هيلاس » بقيادة الشيوعيين . وقد زار تشرشل بنفسه أثينا في الفترة من ٢٦ ـ ٢٨ ديسمبر .

## المؤخرة *

القتال آنتهى ، فلنأكل !
حتى أسود الأوقات لا بد أن تنتهي .
كل ما بقي بعد القتال لا بد أن يمسك سكينه وشوكته .
الأقوىٰ هو من بقي
ولتذهب المؤخرة إلى الجحيم .

آنهضوا ، أيها الكسالىٰ !
القوي هو من لم يترك أحداً خلفه .
آخرجوا ثانيةً ، آعرجوا ، آزحفوا ، قاتلوا بضراوة
وأحضروا المؤخرة !

---

* انتهت الحرب في أوروبا في ذلك الربيع ( ١٩٤٥ ) .

## ماذا حدث ؟

الصناعي يصلحون له طائرته .
القس يتساءل ماذا قال في القداس منذ ثمانية أسابيع عن العشور .
الجنرالات يرتدون الملابس المدنية ويبدون كموظفي البنوك .

الموظفون العموميون يصبحون أكثر وداً .
رجل البوليس يدل رجلاً ذا قلنسوة قماشية على الطريق .
مالك العقار يأتي ليتأكد أن ماسورة المياه سليمة .
الصحفيون يكتبون كلمة الشعب بحروف كبيرة .
المطربون يغنون في دار الأوبرا دون مقابل .

قباطنة السفن يختبرون الطعام في مطبخ البحارة .
أصحاب السيارات يركبون بجوار سائقيهم .
الأطباء يقاضون شركات التأمين .
الباحثون يعرضون اكتشافاتهم ويخفون أوسمتهم .
المزارعون يورّدون البطاطس إلى الثكنات .

الثورة كسبت معركتها الأولى :
هذا ما حدث .

## الآن شاركنا انتصارنا أيضاً

شاركتنا هزيمتنا ، الآن
شاركنا إنتصارنا أيضاً .
حذرتنا من دروب خاطئة عديدة
مشينا فيها ،
فمشيت معنا .

لكن العاملات المسخّرات الروسيات الجائعات لم يكن يمكن شراؤهن

أحسست بالفخر.

## مرثية

ليكن آخر نقش إذاً كالتالي
(ذلك اللوح المكسور بلا قـرّاء):

الكوكب سينفجر.
من أنجبهم سيـدمـرونـه.

لم نبتكر سوى الرأسمالية كطريقة للحياة معاً.
وحين فكرنا في الفيزياء، إبتكرنا ما هو أكثر:
طريقة للموت معاً.

## ألمانيا ١٩٤٥

في الداخل الموت بالطاعون
وفي الخارج الموت من البرد .
فأين إذن نمضي ؟
الخنزيرة تبرزت في فراشها
الخنزيرة هي أمي . قلت :
أماه ، أماه
ماذا فعلت بي ؟

## الشوكة المحببة

حين انكسرت الشوكة ذات المقبض القرني المحبب
خطر لي أنه لا بد أن عيباً
ظل في أعماقها طول الوقت . وبصعوبة
آسترجعت إلى ذاكرتي
آبتهاجي بكمالها .

## ذات مرة

ذات مرة بدت لي هذه البرودة رائعة
وكان الانتعاش يبعث الحياة في جلدي
والمرارة طيبة المذاق ، وكنت أحس بالحرية
في أن آكل أو لا آكل حسب هواي
مفترضاً أن يسألني الظلام الإذن بالدخول .

البرد كان البئر التي أستمد منها حماسي
وكان العدم يمنحني هذا المدى اللامحدود .

## كتابة على قبر «م»*

أسماك القرش راوغتها
النمور ذبحتها
أما ما التهمني
فكان القمل.

## خطاب إلى الممثل تشارلز لوتون بشأن العمل في مسرحية «حياة جاليليو»**

كان شعبك وشعبي ما زالا يمزقان بعضهما إرباً إرباً حين كنا
ننكبّ على كراسات التدريبات الممزقة تلك، مفتشين
في القواميس عن الكلمات، ومرة بعد أخرى
نشطب نصوصنا
ونعود لننقب تحت الشطب
عن المعاني الأصلية للنص. وشيئاً فشيئاً -
بينما كانت واجهات المنازل تتهدم في عاصمتينا -
إنهارت حواجز اللغة. وبدأنا فيما بيننا
نتبين ما تمليه علينا الشخصيات والأحداث:
نصاً جديداً.

المرة تلو المرة كنت أنقلب ممثلاً، أوضّح

---

* «م» الذي تجري الاشارة إليه هو الشاعر السوفياتي 'ماياكوفسكي' الذي إنتحر عام ١٩٣٠. وقد كتب ماياكوفسكي مسرحية ساخرة بعنوان «القمل» أخرجها مايرهولد عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٠.

** كتبت بعد الهدنة وربما بعد انتاج المسرحية في ١٩٤٧.

إيماءات إحدى الشخصيات ونغمة صوتها ، وتنقلب أنت
كاتباً . لكن أحداً منا أنا وأنت
لم يتخط حدود مهنته .

# IX

# قصائد التعمير

# ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢

# موكب في غير أوانه
# أو
# الحرية والديمقراطية

عاد الربيع إلى الأرض الألمانية .
فوق الرماد والحطام
تمايل برعم بتولا مبكر
وَجِلاً ، ورقيقاً ، وجسوراً .

بينما من وديان الجنوب
تحرك متباهياً ، موكب مهلهل
من الناخبين
يحمل لافتتين عتيقتين .

قوائمهما الخشبية نخرها الدود
والدود كالحة اللون
لكنها تشبه أن تكون
الحرية والديمقراطية * .

من الكنائس انبعث رنين الأجراس .
أرامل المحاربين ، وزوجات الطيارين
ويتيم ، ومرتجف ، وأعرج
وقفوا يتفرجون ، فاغري الأفواه .

---

* استخدم بريخت في هذه القصيدة الكلمة الانجليزية **Democracy** بدل الكلمة الألمانية **Demokratie** وذلك بهدف السخرية من ديمقراطية الحلفاء المفروضة على ألمانيا .

الأعمى سأل الأصمَّ
عمن يتقدم بين الغبار
خلف شعار يشبه أن يكون
الحرية والديمقراطية .

في المقدمة خطا أحمق
يغني ملء عقيرته :
'هيا يا أطفال ، حفظ الله الملك
والدولار ، كليك ، كليك ، كليك' * .

بعده خطا إثنان في عباءة القساوسة
يحملان عالياً وعاء القربان المقدس .
ولو انطوت العباءة
لظهر تحتها حذاء عسكري .

لكن الصليب فوق رايتهما
تنقصه اليوم بضعة خطوط معقوفة **
ولأن المرء يجاري الزمن
أُلصقت فوقها قصاصات تخفيها .

وبدلاً من ذلك خطا تحت الصليب راهب
أوفده البابا المقدس ،
الذي يغمره القلق العميق ، كما نعلم
فيظل ناظراً باتجاه الشرق .

إثر ذلك يجيء من لا ينسون

---

* ياتي هذان البيتان في الأصل بمزيج من اللغات كما يلي :
**'allons, enfants, God save the King and the dollar, kling, kling, kling'**

** الاشارة إلى الصليب النازي المعقوف .

وهم يدقون الأرض في صفوف متراصة
ويصرخون عالياً طلباً لليلة حرة
لسكاكينهم الطويلة * .

ثم أرباب الأعمال ،
سادة الاحتكارات الرماديون المتعجلون
يطلبون لصناعة الأسلحة
الحرية والديمقراطية !

ومثل ديك عاجز
يخطو بخيلاء داعية للوحدة الألمانية
مؤكداً أهمية الكلمة الحرة
والكلمة هي "القتل" .

بحذائه يسير المدرّسون
عبدة السلطة ، مخربو العقول
من أجل الحق في تعليم
الشباب الألماني فضيلة الجزارين .

يتبعهم السادة الأطباء
محتقرو البشرية ، خدم النازية
مطالبين بالاحتفاظ لهم
بشيوعيين من أجل تجاربهم .

ثم ثلاثة باحثين ، جادين نحيلين
من مخططي معسكرات القتل بالغاز
يطالبون كذلك للكيمياء

---

* يشير بريخت إلى ليلة السكاكين الطويلة ، وكانت في ٣٠ يونيو ١٩٣٤ ، حين قامت وحدات الحماية التابعة مباشرة لهتلر (SS) بقتل كل قادة قوات العاصفة (SA) وذلك للقضاء على نفوذ هذه القوات المتزايد .

دون تحفظ
من أجل حرية التجارة .

أما ذلك القاضي ، كلب الصيد ذاك
فيلوح بوضاعة بقانون قديم
من النظام الهتلري
يبرىء به نفسه وكل الآخرين .

وفنانون ، وموسيقيون ، وشعراء فطاحل
يطالبون بالغار ، وبالمقانق
كلهم صالحون ، يسارعون
بإثبات أنهم لم يتورطوا .

السياط ترن فوق الطوار :
تطرقعها وحدات الحماية مقابل النقود *
لكنهم أيضاً بحاجة إلى الحرية
الحرية والديمقراطية .

وتأتي منظمة النساء الهتلرية
بتنورات مرفوعة
وتحاولن بالسيقان الداكنة
اصطياد شيكولاتة العدو اللدود ** .

---

* وحدات الحماية (SS) هي القوات التي شكلها هتلر لتكون حرسه الخاص . وكانت تتكون من العناصر الجرمانية النقية المختارة بعناية والتي تمر بتدريبات قاسية . ومنذ عام ١٩٣٣ صارت هي أقوى الجهات نفوذاً وأشدها قسوة . ومن بينها مجموعة خاصة بملابس سوداء تراقب العسكريين والمدنيين كانت أسوأ انواع القوات النازية .

** منظمة النساء الهتلرية **Frauenschaft** . وكان جنود الحلفاء يدفعون للعاهرات بالشيكولاته والسجائر بدل النقود .

ونسوة منظمة القوة من خلال البهجة ،
عيون الشرطة ، أعضاء معونة الشتاء ، وكاتبات الصحف
وجامعات الضرائب والهدايا والجبايات
ومحرّرات وموحّدات ألمانيا الموروثة * .

الدم والقاذورات ، في تحالف وثيق
طافت بربوع ألمانيا
تجشأت ، وتقيأت ، ونتنت ، وصاحت :
الحرية والديمقراطية .

ووصلت أخيراً ، تتفجر بالعطن
إلى ضفة نهر الإيزر
إلى عاصمة الحركة النازية
مدينة حفر قبر ألمانيا ** .
هناك كانت البرجوازية الحائرة ،
وقد ضللتها صحافة الأكاذيب ،
تقف جائعة
بين أطلال منازلها .

وبينما الموكب الجهنمي
يحمل الرايات خلال الركام
تخرج ، في صمت ، من الدار البنية ***
ستة أشباح .

يتوقف الركب .
تنحني الأشباح الستة محيية

* منظمة القوة من خلال البهجة (KDF) كانت المنظمة الهتلرية للترفيه عن العمال .
** عاصمة الحركة النازية هي مدينة ميونيخ .
*** الدار البنية هي المقر الرئيسي للحزب النازي في ميونخ .

وتنضم إلى الموكب
الذي يحمل الرايات القديمة .

ويمضي رفاق الحزب الستة
في ست عربات حكومية
خلال الركام ، بينما يصيح الجميع
الحرية والديمقراطية .

في مقدمتهم يأتي ''القمع''
ممسكاً بيده المعروقة سوطاً
فوق عربة مصفحة
هي هدية الصناعة الثقيلة .

وفي دبابة صدئة ، وسط تهليل حار
يأتي ''الجذام'' ، يفوح منه النتن .
وبخجل ، يجذب حول ذقنه في الريح
ضماداً بنياً .

خلفه يظهر ''الخداع''
ملوّحاً بإبريق بيرة مجانية
ما عليكم سوى شربها
لتبيعوه أطفالكم .

وقديمة قدم الجبال ،
لكنها ما زالت واعدة ،
تمضي ''الحماقة'' في الموكب
لا تحول بصرها عن ''الخداع'' .

ثم يأتي ''القتل''
مسنداً مرفقه إلى حافة العربة .
ومسترخياً ، يتمطى الوحش ويدندن :

حلم الحرية الجميل * .

ومرتجفاً ، لا يزال ، من صدمة الأمس القريب
يأتي "النهب" مرتدياً معطف
فيلدمارشال من اليونكر **
فوق حجره كرة أرضية .

لكن الستة الكبار جميعهم
بكل مكانتهم، وقسوتهم
يطالبون الآن
بالحرية والديمقراطية .

وخلف الأوبئة الستة
تترنح متثاقلة سيارة موتى هائلة
داخلها يتمدد ، غير مرئي
جنس مجهول .

من الخرائب تعزف الريح
قداساً جنائزياً من أجل من
كانوا يجلسون هنا
في بيوت ، ذات حين . جرذان ضخمة

تندفع متسللةً من الأزقة المتهاوية
لتتبع هذا الركب في أعداد غفيرة
مطلقةً صيحات ثاقبة : عاشت الحرية
الحرية والديمقراطية .

---

* Sweet dream of liberty: بالإنجليزية في النص . وهي مطلع أغنية مشهورة .

** اليونكر هم كبار ملاك الأراضي في بولندا وجنوب ألمانيا . والإشارة إلى بسمارك .

فرغ بريخت من هذه القصيدة في ٢٠ مارس ١٩٤٧، كما توضح 'يوميات العمل' التي تصفها بأنها صياغة جديدة موازية لقصيدة شيللي "قناع الفوضى". وفي قصيدة شيللي تظهر شخصيتا 'القتل' و'الخداع'. الفرق هو أن موكب شيللي قدم بوصفه حلماً. أما موكب بريخت فيعبر عن واقع الديمقراطية التي فرضها الحلفاء على ألمانيا بعد ١٩٤٥. الجدير بالذكر أن بريخت كان قد ترجم بعض مقاطع قصيدة شيللي عام ١٩٣٨ لكنه لم يترجم مقطعها الأول الذي ينص على أنها حلم ولا الجزء الأخير المتفائل منها.

نشرت القصيدة في برلين في ١٠ أكتوبر ١٩٤٨. كما لحنها ديساو لتغنى بمصاحبة البيانو وآلات الإيقاع عامي ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦.

## أنتيجون *

إخرجي من الظلام واخْطِري
أمامنا برهة
أيتها الودودة ، بالخطوة الخفيفة
للثقة القاطعة ، رعباً
لناشري الرعب .

تشيحين بوجهك . أعلـمُ
كم كنت تخافين الموت ، لكنك
تخافين أكثر
الحياة دون كرامة .

وما كنت لتدعي الأقوياء
يفلتون ، وما كنت
لتتهادني مع المغالطين ، أو
تنسي العار أبداً . وفوق أحقادهم
لم ينبت عشب .

## الوجه الآخر

في ١٩٣٤ ، العام الثامن للحرب الأهلية
ألقت طائرات شيانج كاي تشيك
فوق المنطقة الشيوعية منشورات

---

* طبعت في بطاقات برنامج عرض أنتيجون في شور بسويسرا في فبراير ١٩٤٨ . وقد كتبت لهيلينه فايجل التي لعبت الدور الرئيسي .

تضع ثمناً لرأس ماو .
بحكمة ،
في مواجهة نقص الورق ووفرة الأفكار ،
جعلهم ماو الموصوم ، يجمعون
الورق المطبوع على جانب واحد
ووزعه بين السكان
وقد طُبع على الوجه النظيف شيء نافع .

## الصديقان *

فرقتني الحرب
أنا ، كاتب المسرحيات ، عن صديقي مصمم المناظر .
المدن التي عملنا فيها لم تعد موجودة .
حين أسير في المدن التي لم تزل موجودة
أحياناً أقول : قطعة الغسيل الزرقاء تلك
يا صديقي كان يمكن أن تكون أنسب للديكور .

## إلى هيلينه فايجل **

والآن تقدمي بطريقتك المتمهلة
إلى خشبة المسرح القديمة في مدينتنا المهدمة
مفعمة بالصبر ، لكن دون هوادة

---

* الصديق هو كاسبر نيهر Caspar Neher الذي بقي تحت النازي في ألمانيا وكان يتعاون مع بريخت في ذلك الوقت في انتاج «انتيجون».

** مهداة إلى هيلينه فايجل في ١١ ـ ١ ـ ١٩٤٩ ، ليلة إفتتاح عرض «الأم شجاعة» وخشبة المسرح القديمة هي خشبة مسرح الدوتيشز تياتر Keutsches Theater ، الذي كان المسرح الرئيسي في برلين لماكس راينهارت Max Reinhardt حيث عمل بريخت قبلها .

في عرض ما هو صواب .

الحمق ، تعرضينه بحكمة
والكراهية ، بمودة
حيث آنهار المنزل
ماذا كان الخطأ في التصميم .

لكن لمن لا يتعلمون آعرضي الآن
بقليل من الرجاء
وجهك الحسن .

## ملاحظة

حين عدتُ
لم يكن شَعري قد شاب
وكنت مبتهجاً
فخلفنا عناء الجبال
وأمامنا عناء السهول .

## منزل جديد *

حين عدت إلى وطني بعد خمسة عشر عاماً في المنفى
سكنت في منزل أنيق .
هنا علّقت
أقنعة النّو والبردية التي تصور الشكاك .
كل يوم ، وأنا أتجول بين الخرائب ، أتذكر
الإمتيازات التي أدين لها بهذا المنزل . وآمل
ألاّ تجعلني صبوراً على الحُفر

---

* كان ذلك منزل برلينر ألليه ببرلين حيث استقرت عائلة بريخت حتى انتقالها إلى شارع شاوزيه في اكتوبر ١٩٥٣ .

التي يتكوم فيها آلاف عديدون . حتى الآن
فوق الصوان الذي يضم مخطوطاتي
ترقد حقيبتي .

## أوقات سيئة

الشجرة تحكي لماذا لم تثمر .
الشاعر يحكي لماذا طاشت أبياته .
الجنرال يحكي لماذا وقعت الهزيمة .

الصور ، رُسمت على قماش هش .
سجلات الاستكشاف ، أُعطيت لضعاف الذاكرة .
السلوك العظيم ، لم يلحظه أحد .

أيجب أن تُستخدم الزهرية المكسورة كوعاء للتبول ؟
أيجب أن تُحوّل المأساة السخيفة إلى مسخرة ؟
أيجب أن تُلقى الحبيبة المشوهة في المطبخ ؟

كل المديح لمن يهجرون المنازل المنهارة .
كل المديح لمن يسمرون بابهم في وجه صديق بلا معنويات .
كل المديح لمن يغفلون الخطط المستحيلة التنفيذ .

المنزل يُبنىٰ بالأحجار المتاحة .
التمرد أثير بالمتمردين الذين كانوا متاحين .
الصورة رُسمت بالألوان التي كانت متاحة .

الوجبات أُعدّت من الطعام الذي أمكن تدبيره .
الهباتُ مُنحت للمعوزين .
الكلمات قيلت لمن كانوا حاضرين .
العمل أنجز بالموارد التي كانت متاحة ، بالحكمة والشجاعة .

الاهمال لا يجب أن يغتفر .

كان بالإمكان الكثير .
الأسف يُعلن .
( ما جدواه ؟ )

## إلى مواطني *

أنتم يا من بقيتم أحياء في مدن ماتت -
أظهروا الآن ، أخيراً ، رحمة بأنفسكم .
لا تسيروا ، أيها التعساء ، إلى الحرب كما في الماضي
كما لو أن الحروب الماضية لم تكفكم .
أتوسل إليكم - رحمة بأنفسكم أخيراً .

أيها الرجال ، تناولوا الجاروف وليس السكين .
اليوم تجلسون آمنين تحت السقوف .
ألم تستخدموا السكين لشق طريقكم
تحت السقوف يحيا المرء أفضل .
أتوسل إليكم ، تناولوا المسحاة وليس السكين .

أيها الأطفال ، لتفلتوا من حرب أخرى
لا بد أن تصرحوا لآبائكم بوضوح .
أنكم لن تعيشوا في خرائب مرة أخرى
ولن تقاسوا ما كان عليهم أن يقاسوه .
أيها الأطفال ، لتفلتوا من حرب أخرى .

أيتها الأمهات ، لأن الكلمة كلمتكن

---

* تحمل المخطوطات الاهداء «من برتولد بريخت الى فيلهلم بيك Wilhelm Pieck» الذي أصبح أول رئيس لجمهورية المانيا الديمقراطية في ٢ نوفمبر ١٩٤٩ . وكان بيك رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الألماني منذ عام ١٩٢٨ ورئيس الحزب الاشتراكي الألماني الموحد منذ تأسيسه في ١٩٤٦ .

أن تؤيدن الحرب أو لا تؤيدن الحرب
أتوسل إليكن ، إخترن أن تدعن أطفالكن يحيون .
ليكن الميلاد ، وليس الموت ، ما يشكرونكن عليه .
أيتها الأمهات ، إخترن أن تدعن أطفالكن يحيون .

## إلى الممثل ب . ل في المنفى *

أنصت ، إننا نستدعيك . طردوك
والآن يجب أن تعود . البلد
الذي طردوك منه كان يفيض ذات مرة
باللبن والعسل . ونحن نستدعيك
لبلد قد دُمّـر .
وليس لدينا المزيد
لنقدمه لك سوى الحاجة إليك .

فقيراً أو غنياً
مريضاً أو معافى
إنس كل شيء
وتعال .

---

* القصيدة موجهة إلى بيتر لور Peter Lorre الذي اشترك في ١٩٣١ في مسرحية بريخت «الإنسان هو الإنسان». وقد ذهب إلى هوليوود بعد نجاحه في أفلام مثل فيلم فريتزلانج «م». وكان أحد من عاونوا بريخت على الذهاب إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤١ . وكان بريخت يريده أن يمثل دور «شفيك» وكتب قصص أفلام خصيصاً له . وأحد هذه المعالجات «صديق الرجل الفني» مأخوذة من تجربة مر بها لور شخصياً . مثل في أفلام لا تليق بمواهبه ثم أخذ يبحث عن مخرج في المخدرات . وقد زار برلين في عام كتابة هذه القصيدة ١٩٥٠ .

## مرثية لـ xx *

تكلم عن الطقس
كن شاكراً لأنه مات
ذلك الذي قبل أن يتكلم
كان يسحب ما يقول.

## لقاء مع الشاعر أودن **

دعوتي للغداء، لفتة كريمة
في حانة قديمة
جلس محلقاً كسحابة
فوق الزحام المنقوع في البيرة.
وظل يعزف بإصرار
على وتر حقيقة الوجود العارية
أعني، نظرية حول هذا الموضوع
تطور حديثاً في فرنسا.

## بهجة العطاء ***

أعظم مباهج الحياة حقاً

---

* العنوان الأصلي هو «مرثية لـ تش.ل». والمقصود تشارلز لوتون الذي انسحب في ديسمبر ١٩٤٧ من العمل في مسرحية «جاليليو» بناء على نصيحة مدير أعماله ليتجنب الارتباط بالآراء السياسية لبريخت وهانز آيزلر. وكان ذلك بعد استماع لجنة النشاطات غير الأميركية لبريخت وآيزلر. وبعد مغادرة بريخت للولايات المتحدة.

** حين عرضت القصيدة على أودن (الذي لم يكن رآها في حياة بريخت) لم يستطع تذكر لا المناسبة ولا الحديث.

*** كتب بريخت هذه القصيدة لأوبرا «أسطورة فارسية» من وضع

هي العطاء لذوي الحظ العاثر
وبعثرة الهدايا الرائعة حولنا
بتهور، بيد سعيدة.

أي وردة أجمل من وجه
امرىء نقوم له بدور الواهبين؟
انظر إلى يديه، يا للبركة السابغة،
مثقلتين بجمائلنا الرحيمة.

لا يمكن أن يمنح هذه المتعة العارمة
سوى مساعدة البشر جميعاً.
وما أملك لا يمكنني الاحتفاظ به
دون أن أفكر في إعطائه للآخرين.

□ **خمس أغنيات للأطفال، ١٩٥٠ ***

## ١ قصة الأم شجاعة

ذات مرة كانت أم
يسمونها الأم شجاعة
كانت في حرب الثلاثين عاماً
تبيع المؤن للجنود.

لم تمنعها الحرب
عن اقتطاع نصيبها
وصاحبها أطفالها الثلاثة

---

فاجنر ـ ريجيني Wagner - Régeny وينهر. وتحمل الاهداء «إلى نيهر ريجيني ٢٨ / ٤ / ١٩٥٠».

* تعرف هذه المجموعة أيضاً باسم «اغنيات جديدة للاطفال». ومجموعها ١٥ قصيدة لحن منها آيزلر عشر أغنيات في مجموعتين.

وبذلك نالوا حظهم .

إبنها البكر مات بطلاً
والثاني مات شريفاً
وأصابت طلقة ابنتها
ذات القلب الرحيم .

## ii المدرس المؤيد للحرب

مدرس كان اسمه هوبر .
كان بجوارحه مع الحرب ، مع الحرب .
حين يتكلم عن العجوز فريد العظيم
ترى عينه تلمع بالشرر
لكن عند ذكر الرئيس بيك ، لا تلمع مطلقاً .

مرة جاءت الغسالة شميتن
كانت ضد القذارة ، ضد القذارة .
حشرت المدرس هوبر
في برميل الغسيل
وغسلته جيداً .

## iii فأل

ليزا وجدت برسيمة بأربع أوراق
تنمو في الخميلة
من شوقها لقطعها
قفزت فوق الحفرة
فكسرت ساقها الأثيرة .

عنكبوت في الصباح
صعد الدم إلى خدود ليزا .
لكن اليوم مر دون كوارث

وفي موعد النوم
أحضر بابا جيلاتي فراولة .

طائر اللقلق لا يجلب الأطفال .
والسبعة لا تجلب الحظ .
وليس هناك شيطان
في جمهوريتنا .

## ١٧ أغنية صغيرة من عصور ماضية

(لا يجب أن تغنى الآن)

واحد ، إثنان ، ثلاثة ، أربعة .
بابا يريد كأساً آخر .
أربعة ، ثلاثة ، إثنان ، واحد .
ماما لا تريد شيئاً .

## ٧ أغنية صغيرة بعد الحرب

در ، أيها الخذروف الصغير !
طريقنا لم يعد صاعداً .
بابا أمامه منزل يصلحه
وماما تلتقط الطوب
در ، أيها الخذروف الصغير !

طيري ، أيتها الطيارة الصغيرة !
سماؤنا صافية ولامعة .
فحلقي واقطعي الخيط
طيري فوق موسكو حتى بكين
طيري ، أيتها الطيارة الصغيرة

## نشيد الأطفال *

لا تدخروا فتنة ولا عاطفة
جهداً ولا ذكاءً
حتى تزدهر أمة ألمانية
مهذبة كما تفعل غيرها من البلدان.

حتى تكف الشعوب عن الاجفال منا
كما تجفل أمام غولة
وتمد لنا يد الصداقة
كما تمدها للشعوب الأخرى.

لن نكون فوق الشعوب الأخرى
ولا تحتها كذلك
من الأودر إلى الراينلاند
من الألب إلى بحر الشمال.

ولأننا سنجعل وطننا أفضل
فلنحمه ونحبه
نحبه كأعز الأوطان
كما يحب الآخرون أوطانهم.

## حين يكون تصوراً

حين يكون تصوراً

* من الواضح ان هذا النشيد بمثابة نشيد قومي مضاد للنشيد النازي «ألمانيا فوق الجميع». وكلمات بريخت تتمشى مع نفس لحن هايدن الذي صيغ وفقاً له النشيد النازي.

حين يكون ما زال غامضاً
يمتدح.
وحين يعلو سامقاً
حين تنفذ الخطط
تثار الإعتراضات.

**ست قصائد متأخرة عن المسرح ***

## البحث عن الجديد والقديم**

حين تتلون أدواركم
مستكشفين، مستعدين للإندهاش
ابحثوا عن الجديد والقديم. لأن عصرنا
وعصر أطفالنا هو عصر الصراعات
بين الجديد والقديم.
فمكر المرأة العاملة العجوز
التي تريح المعلم من معرفته
كأنها حمل أثقل من أن يحمل، جديد
ولا بد من عرضه كشيء جديد. وقديم
هو خوف العمال في زمن الحرب
إذ ينفرون من أخذ المنشورات التي ستعلمهم؛ ولا بد
من عرضه كشيء قديم. لكن
كما يقول الناس، عند تغير أطوار القمر
فإن القمر الجديد يحتضن لليلة واحدة
القمر القديم بين ذراعيه. وتردد الخجولين

---

* كل القصائد الست ضمن مجموعة قصائد المسنجكاوف. ظهرت الخمس الأولى في Teater arbeit في درسدن عام ١٩٥٢.

** البحث عن الجديد والقديم: العمال، والمعلم وأخوه، شخصيات من مسرحية «الأم»، والفتاة الخرساء هي كاترين في «الأم شجاعة».

يعلن عن العصر الجديد . ثبتوا دائماً
'ما زال' و 'فعلاً' .
والصراعات بين الطبقات
والصراعات بين القديم والجديد
تحتدم أيضاً داخل كل إنسان .
استعداد المعلم للتعليم
يغفله أخوه ، لكن الغريب
يراه .
إفحصوا كل مشاعر وأفعال شخوصكم
بحثاً عن السمات الجديدة والقديمة .
آمال التاجرة 'شجاعة'
قاتلة بالنسبة لأطفالها ؛ لكن يأس الفتاة الخرساء
تجاه الحرب
ينتمي إلى الجديد . وحركاتها اليائسة
وهي تجر طبلتها المنقذة إلى السطح
عون كبير ، يجب أن يملأكم
بالفخر ؛ وطاقة التاجرة
التي لا تتعلم ، بالتعاطف .
وأنتم تتلون أدواركم
مستكشفين ، مستعدين للإندهاش
ابتهجوا بالجديد ، واخجلوا من القديم !

## الستائر *

فوق الستارة الكبيرة إرسموا حمامة سلام
أخي بيكاسو المشاكسة . وخلفها

---

* الستائر : كانت حمامة بيكاسو مرسومة فوق الستارة الرئيسية لمسرح البولينر انسمبل . وهي « مشاكسة » لأنها أصبحت رمزاً =

مدّوا حبل السلك وعلقوا
أنصاف ستائري المتمايلة ببطء
التي تتقاطع كموجتين من الزبد لتجعل
المرأة العاملة التي توزع المنشورات
وجاليليو المتراجع ، يختفيان .
وحسب تغير المسرحيات يمكن أن تكون
من الكتان الخشن أو الحرير
أو من الجلد الأبيض أو الأحمر ، وهكذا .
فقط لا تجعلوها داكنة جداً ، ففوقها
يجب أن تعرضوا عناوين الأحداث
التالية ، من أجل التوتر وحتى
يمكن توقع الشيء الصحيح . وأرجوكم أن تجعلوا
ستارتي نصف مُسدلة ، لا تخفوا خشبة المسرح بأكملها .
دعوا المتفرج ، وهو مائل إلى الخلف
يلاحظ الاستعدادات الجارية على أشدها
والتي تصنع بكل مهارة من أجله ، يظهر
قمر صفيح يتأرجح ، أو سقف خشبي
يُحمل إلى الخشبة ؛ لا تروه الكثير
لكن أروه شيئاً . ودعوه يلاحظ
أن هذا ليس سحراً
بل عمل ، يا أصدقائي .

## الإضاءة *

اعطنا بعض الضوء على الخشبة ، يا عامل الإضاءة . فكيف

---

= لسياسة السلام الشيوعية ، وكذلك لأن بعض السلطات الثقافية في ألمانيا الديمقراطية اعتبرتها « شكلية » . والمرأة العاملة التي تحمل المنشورات هي فلاسوفا في « الأم » .

* الإضاءة : الفلاحة الحانقة هي إمّا في « بونتيلا » .

يمكننا ، نحن كتاب المسرح والممثلين أن نقدم
صورنا عن العالم في شبه ظلام ؟ الغبش الداكن
يبعث النوم . لكننا نحتاج إلى يقظة
بل وانتباه الجمهور . دعهم يحلمون
في الضوء . وقطعة الليل الصغيرة
التي نحتاجها بين الحين والحين ، يمكن
الإشارة إليها بالأقمار أو المصابيح ، كذلك يمكن
أن يبين تمثيلنا أي وقت من النهار هو
حين نحتاج إلى ذلك . فقد كتب لنا الاليزابيثي أشعاراً
عن مرج عند الغروب
لا يمكن أن يباريها عامل إضاءة ، ولا حتى
المرج نفسه . فأضىء إذاً
ما اجتهدنا فيه ، حتى يرى الجمهور
كيف تجلس الفلاحة الحانقة
فوق التربة الفنلندية
كما لو كانت ملكها .

## الأغنيات *

إفصلوا الأغنيات عما عداها !
الآن فلتبينوا ، برمزٍ للموسيقى ، بتغيير الإضاءة
بالعناوين ، أن
الفن الشقيق

---

* الأغنيات : «رمز الموسيقى» تشير إلى مجموعة الآلات الموسيقية العتيقة التي كانت تتدلى من السقف خلال كل أغنية في مسرحية «الام شجاعة» من إخراج بريخت . ونانا كالاس تغني أغنية الساقية في مسرحية «الرؤوس المستديرة والرؤوس المدببة» لبريخت ، كما تغني الأم شجاعة «اغنية الاتفاق العظيم»؛ أما فيزوفشيكوف وفلاسوفا فضمن شخصيات «الأم»

قادم على الخشبة. الممثلون
يتحولون إلى مغنين. لهم أسلوب جديد
حين يتوجهون إلى الجمهور، ما زالوا
شخوصاً في المسرحية لكنهم الآن كذلك ودون خفاء
شركاء لكاتب المسرح.
نانا كالاس، إبنة المالك المستدير الرأس
المـُساقة إلى السوق مثل دجاجة
وهي تغني أغنية
مجرد تبدّل الأسياد، لن يمكن فهمها
دون هزة الأرداف
حيلة الحرمة التي
حولت عورتها إلى ندبة. كذلك لن يمكن فهم
أغنية إمرأة المقصف عن الاتفاق العظيم،
ما لم يُضف غضب كاتب المسرح
إلى غضب المرأة.
لكن إيفان فيزوفشيكوف، العامل البلشفي، يغني
بالصوت الحديدي للطبقة التي لا تُقهر
وفلاسوفا الودودة، الأم
تقرر، مغنية بصوتها الشخصي المدقق
أن راية العقل حمراء.

## معدات فايجل

مثلما ينتقي زارع الشوفان لشتلته
أثقل الحبوب، والشاعر
أدق الكلمات لشعره، كذلك
تنتقي هي الأشياء التي تصاحب
شخوصها على خشبة المسرح. الشوكة القصدير
التي تشبكها «شجاعة»

في ياقة سترتها المنغولية ، وبطاقة الحزب
لفلاسوفا الحنون وشبكة الصيد
للأخرى ، الأم الاسبانية أو الإناء البرونزي
« لأنتيجون » جامعة التراب . الخلط مستحيل
بين الحقيبة الممزقة التي تحملها المرأة العاملة
لمنشورات ابنها ، وبين كيس النقود
للتاجرة الماكرة . كل قطعة
في عدتها منتقاة باليد : الأربطة والأحزمة
علب القصدير وأحزمة الطلقات ؛ هي الأخرى منتقاة باليد .
الرجاحة والعصي التي تلويها
المرأة العجوز في النهاية خلال الحبل
لوح امرأة الباسك الذي تخبز عليه خبزها
ولوح عار المرأة الإغريقية ، المربوط إلى ظهرها
بفتحات تمسك يديها ، وجرة الشحم
للمرأة الروسية ، البالغة الصغر في كف رجل البوليس :
كلها منتقاة لقدمها ، ووظيفتها ، وجمالها
بعين الخبيرة
بالأيدي الخابزة الخبز ، الناسجة الشباك
الطاهية الحساء ، لذوّاقة
الواقع .

## حول الجدية في الفن *

جدية الرجل الذي يشكل الحلى الفضية
مطلوبة كذلك في فن المسرح ، ومطلوبة
جدية الناس الذين يناقشون نص

---

* حول الجدية في الفن : تبين ملاحظة أنها قد كتبت خلال بروفات البرلينر أنسمبل على مسرحية «الأم»، التي افتتحت في يناير ١٩٥١ .

نشرة خلف أبواب موصدة . لكن جدية
طبيب ينحني فوق مريضه لم تعد مناسبة
لفن المسرح ، الذي يحرم تماماً
جدية الكاهن ، سواء كانت مهذبة أو محمومة .

## السادة يشترون رخيصاً

ديكورات وملابس نيهير العظيم
من مواد رخيصة
فمن الخشب ، والخرق ، واللون
يصنع كوخ صياد الباسك
وروما الإمبراطورية* .

كذلك فإن صديقتي ، بابتسامة
تنالها دون مقابل في سوق السمك
وتمنحها كما تمنح زعانف السمك
تصنع ، حين تريد ، احتفالاً
كان يمكن أن يغوي لاو ـ تسو .

## أغنيات حب

### I

بعد أن تركتك
ذلك اليوم الذي لا يغيب عني أبداً
وبدأت أرى ثانية
كان كل ما رأيته بهيجاً .

---

* **كان كوخ صياد الباسك ديكوراً لمسرحية «بنادق السنيورة كارار» التي عرضت في مسرح البرلينر إنسمبل . أما الديكور الروماني فكان لمسرحية «كوريولاتوس» التي كان يجري الإعداد لها لكنها لم تنفذ سوى بعدها باثني عشر عاماً ، ودون اشتراك نيهير .**

منذ قضينا ساعة الغروب تلك
أنت تعلم الساعة التي أعني
صارت ساقاي أكثر خفة
وفمي أكثر هدوءاً .

ومنذ أحسست بذلك ، صارت الشجرة والخميلة
والمرج أشد خضرة
حتى الماء حين أغتسل
ينساب فوقي أكثر برودة .

II

## أغنية امرأة عاشقة

حين تبهجني
أفكر أحياناً
أنني لو مت الآن
فسوف أكون سعيدة
حتى نهاية حياتي .

وعندما تشيخ
وتفكر بي
فسوف أبدو كما أنا الآن
ويكون لك حبيبة
ما زالت شابة .

III

سبع أوراد في الخميلة
ست للريح
وتبقى هناك واحدة ، وهكذا

لن أجد سوى واحدة .

سأناديك سبع مرات
إبق بعيداً ست مرات
لكن في السابعة ، عدني
أن تأتي سريعاً .

IV

محبوبي أعطاني غصناً
أوراقه بنيّة .

العام كاد ينتهي
حبنا بدأ لتوه .

## حين أغرق مبكراً في الخواء *

حين أُغرق مبكراً في الخواء
أمتلىء عن أخرى من الخواء من جديد .
حين أكون قد بقيت مع العدم
أعلم ثانيةً ماذا أفعل .

حين أحب ، أو حين أحسّ
فذلك مجرد تفريغ جديد .
لكنني أنغمس في البرودة
فأُصبح ساخناً من جديد .

* معنونة في المخطوطات «إلى ر» أي إلى روت برلاو Ruth Berlau .

## في نقش صيني لأسد *

الأشرار يخشون مخالبك
الأخيار تمتعهم رشاقتك.
هذا
ما أود أن أسمعه يقال
عن شِعري.

## لقاء سعيد

بين الشجيرات في أيام الآحاد من يونيو
يسمع الفلاحون الباحثون عن التوت
الفتيات والنساء المجتهدات من الكلية التكنيكية
تلتقطن العبارات من مراجعهن
عن الديالكتيك ورعاية الأطفال.

حين ترفعن البصر عن مراجعهن
ترى الطالباتُ الفلاحين
يلتقطون التوت من الأعشاب.

---

* لحنها هاتر آيزلر لتغنى بمصاحبة البيانو تحت إسم «شعار». أما القصيدة فكتبها بريخت لتطبع على غلاف كتابه «مائة قصيدة» توضيحاً لصورة نقش صيني لجذر شجرة شاي نحت على شكل أسد. وجاء التوضيح نظراً لحب بريخت للغلاف وإعتراض دار نشر أوفباو - فرلاغ عليه لاعتقادها بأنه غلاف ذو نزعة شكلية وأخيراً تم التوصل إلى حل وسط، فطبع من الكتاب في طبعته الاولى عشرة آلاف نسخة نصفها يحمل صورة الأسد الصيني والنصف الآخر بدونها. وكانت النتيجة مؤيدة لرأي بريخت ومصمم الغلاف. فقد طلب كل الموزعين تقريباً نسخاً من الكتاب تحمل صورة الأسد.

## صوت عاصفة أكتوبر

صوت عاصفة أكتوبر
حول المنزل الصغير بجوار أعواد الغاب
يدهشني بأنه يشبه صوتي تماماً.
مسترخياً،
أتمدد في فراشي وأسمع،
فوق البحيرة وفوق المدينة،
صوتي.

## الرجل الذي آواني

الرجل الذي آواني
فقد منزله.
الذي عزف من أجلي
انتزعوا آلته.

هل سيقول
إنني أجلب الموت
أو: إن أولئك الذين انتزعوا منه كل شيء
يجلبون الموت؟

## ألمانيا ١٩٥٢*

ألمانيا، يا لك ممزقة شقين
ولا تتركين لشأنك!
في البرد والظلمات

---

* ضمنها فولفجانج شتاوته Wolfgang Staudte عام ١٩٥٥ في سيناريو فيلم «الام شجاعة» الذي لم يتم إنتاجه. لحنها ديساو Dessau عام ١٩٥٢ لتغنى بمصاحبة البيانو.

يترك كل شقٍ الشق الآخر .
يمكن أن تكون لك المراعي الرائعة
والمدن العديدة المزدحمة ،
فقط لو وثقت بنفسك
فسيكون كل شيء لعب أطفال .

# X

# قصائد أخيرة
# ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦

# خبز الشعب

العدالة هي خبز الشعب.
أحياناً يكون وفيراً، وأحياناً شحيحاً.
أحياناً يكون طيب المذاق، وأحياناً سيىء المذاق.
حين يشح الخبز، يكون الجوع.
وحين يسوء الخبز، يكون السخط.

ألقوا بعيداً العدالة السيئة
المخبوزة دون حب، المعجونة دون معرفة!
العدالة دون نكهة، بقشرة رمادية
العدالة الحامضة التي تأتي بعد فوات الأوان!

إذا كان الخبز طيباً ووفيراً
أمكن إيجاد العذر لبقية الوجبة.
فلا يمكن نيل الكثير من كل شيء في آن واحد.
وبالتغذي من خبز العدالة
يمكن إنجاز العمل
الذي ينتج الوفرة.

مثلما الخبز اليومي ضروري
فكذلك العدالة اليومية
وهي ضرورية كذلك عدة مرات يومياً.

من الصباح إلى المساء، في العمل، وفي المتعة.
في العمل الذي يعد متعة.
في الأوقات الصعبة والأوقات السعيدة

يتطلب الشعب خبز العدالة اليومي
الوفير ، المشبع .

ولما كان خبز العدالة بكل هذه الأهمية
فمن إذن ، يا أصدقاء ، سيخبزه ؟

من يخبز الخبز الآخر ؟

مثل الخبز الآخر
لا بد أن يخبز الشعب
خبز العدالة .

وفيراً ، ومشبعاً ، ويومياً .

## أنصت بينما تتكلم !

لا تقل دائماً إنك محق ، أيها المعلم .
دع الطلبة يدركون ذلك .
لا تدفع الحق قسراً :
فليس ذلك في صالحه .
أنصت بينما تتكلم !

## الأخطاء غير المحددة للجنة الفنون *

عند دعوتهم لدورة أكاديمية الفنون

* بعد تأسيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية رسمياً بدستور ١٩٤٩ ، كان يدير الفنون عدد من اللجان كانت عضويتها موضع انتقاد . فقد منعت لجنة الشؤون الفنية إنتاج إيجون مونك لمسرحية «أورفاوست» من برنامج «البرلينر إنسمبل» بعد افتتاحها بشهرين . كما تخطت هيئة التحكيم في المعرض الألماني الثالث في درسدن واستبعدت عدداً من اللوحات . وبعد ثلاثة أيام من =

أثنى أرفع مسؤولي لجنة الفنون
على العادة النبيلة
في اتهام النفس بأخطاء معينة ،
وغمغموا بأنهم هم أيضاً يتهمون أنفسهم
بأخطاء معينة . ورغم ذلك ،
فحين سئلوا ما هي ، وجدوا أن من المستحيل تماماً
أن يتذكروا
أية أخطاء محددة . وكل ما كانت
الأكاديمية تتهمهم به لم يكن
خطأ بالقطع ، فلجنة الفنون
لم تكتب سوى إنتاج لا قيمة له ، وفي الحقيقة فإنها
لم تكتبه بالضبط ، كل ما هناك أنها لم تشجعه .
ورغم أعمق التأملات
لم يستطيعوا تذكر أية أخطاء محددة ، إلاّ أنهم
كانوا شديدي الاصرار على أنهم
قد ارتكبوا أخطاء ـ كما هي العادة .

## مكتب الأدب *

مكتب الأدب معروف بأنه يخصص

---

= من نشر قصيدة بريخت في « البرليز تسايتونج » نشرت نفس الصحيفة مقالاً أشد عنفاً في هجومه على اللجان بقلم فولفجانج هاريش (يوليو ١٩٥٣) . وفي أوائل أغسطس جاء مقال بريخت في جريدة الحزب « نويس دوتيشلاند » . ونتيجة لذلك الهجوم ولضغوط أكاديمية الفنون تم إدماج لجنة الشؤون الفنية ، ومكتب الأدب ، ولجنة الفيلم ، وقسم تعليم الكبار في وزارة التعليم في وزارة الثقافة التي أنشئت في ٧ يناير ١٩٥٤ وتولاها يوهانس ر . بيشر **Johannes R. Becher**.

* نشرت في « البرلينر تسايتونج » في ١٥ يوليو ١٩٥٣ ، في اليوم التالي =

الورق لدور نشر جمهوريتنا ، أطناناً عديدة
من هذه المادة الثمينة لتلك الأعمال التي تلقى الترحيب .
وتلقى الترحيب
تلك الأعمال ذات الأفكار
التي يعرفها مكتب الأدب من الصحف .
وهذه العادة
مع اعتبار نوع الصحف التي لدينا
يجب أن يؤدي إلى توفير هائل في الورق ، ما دام
مكتب الأدب يقتصر على الترخيص بكتاب واحد
لكل فكرة في الصحف . لكنه لسوء الحظ
يسمح فعلياً بطباعة كل تلك الكتب التي تتناول
فكرة واحدة
من الصحف وتوسعها .
ومن ثم
لا يتبقى ورق
لأعمال أساتذة عديدين .

## ليس هذا هو المقصود

حين طالبت أكاديمية الفنون بالحرية
للتعبير الفني من البيروقراطيين الضيقي الأفق
ثار صياح وجلبة بجوارها مباشرة
لكن الزئير الذي غطى على كل شيء
جاء تصفيقاً راعداً يصم الآذان
من وراء حدود القطاع .

---

= لمقالة هاريش (انظر هامش القصيدة السابقة) . وكان المسؤولون المعنيون قد رفضوا تخصيص الورق اللازم لإعادة طبع أعمال لودفيج رين Ludvig Renn . وبعدها بعامين في ١٩٥٥ اقترح بريخت منح رين جائزة قومية .

جاء الزئير ، الحرية ! الحرية للفنانين !
الحرية لكل شيء ! الحرية للجميع !
الحرية للمستغلين ! الحرية لدعاة الحرب !
الحرية لاحتكارات الرور ! الحرية لجنرالات هتلر !
مهلاً ، أيها الأعزاء . . .

قبلة يهوذا للفنانين تأتي
في أعقاب قبلة يهوذا للعمال .
مُشعل الحرائق بزجاجة البترول
يتسلل مبتسماً
لأكاديمية الفنون .

لكننا لم نطلب متسعاً لمناكبنا
لكي نحتضنه ، بل
لنطوح الزجاجة من يده القذرة .
فحتى أضيق العقول أفقاً
والتي تنطوي على السلام
تلقى من الفنون ترحيباً أكثر من محب الفنون
الذي هو أيضاً محب لفن الحرب .

# مراثي بوكوف

## شعار

لو هبّت الريح
لنصبت شراعاً
ولو لم يوجد شراع
لصنعت واحداً من القماش والعصيّ .

## تغيير الاتجاه

أجلس ناحية الطريق
والسائق يغير الاتجاه .
لا أحب المكان الذي جئت منه .
ولا أحب المكان الذي أنا ذاهب إليه .
فلماذا أرقبه بنفاد صبر
وهو يغير الاتجاه ؟

## حديقة الزهور

بجوار البحيرة ، عميقاً بين الصنوبرات والحور الفضي
حديقة ، يحميها حائط وحاجز من الأشجار
زرعت بحكمة بزهور شهرية الإزهار
بحيث تزهر من مارس حتى أكتوبر .

هنا ، في الصباح ، أجلس من آن لآخر
وأتمنى أن أبدي دائماً أنا أيضاً
في كل أحوال الطقس ، حسنة أو سيئة ،
جانباً بهيجاً .

## الحل *

بعد انتفاضة ١٧ يونيو

---

* في ١٧ يوميو ١٩٥٣ جرت مظاهرات في برلين الشرقية وغيرها من مدن ألمانيا الديمقراطية لأسباب اعتبرها بريخت مبررة رغم إرتيابه في استغلالها الخارجي . وتعلق ملاحظة في 'يوميات العمل' بتاريخ ٢٠ أغسطس على ذلك بالقول إن ١٧ يونيو قد سبب 'الاغتراب' لوجوده كله . أما شارع ستالين ، ويسمى الآن بشارع كارل ماركس ، فكان مركز مظاهرات اليوم السابق . وكان =

وزع سكرتير إتحاد الكتاب
منشورات في شارع ستالين
تقول إن الشعب
قد خسر ثقة الحكومة
ولا يمكنه استعادتها
سوى بجهود مضاعفة . ألا يكون من الأسهل
على الحكومة في هذه الحالة
أن تحل الشعب
وتنتخب غيره ؟

## زمن طويل ، مهدر

علمت أن مدناً تُبنى
لم أزر أياً منها .
فكرت أن هذا شأن الإحصاء
لا التاريخ .

ما معنى المدن ، التي تُبنى
دون حكمة الشعب ؟

## صباح كريه

شجرة الحور الفضية ، الحسناء المحلية المحبوبة
اليوم صارت عجوزاً مشاكسة . البحيرة
بركة ماء قذر ، لا تُلمس !
زهرات الفوشيه بين حنك السبع رخيصة وبلا جدوى .
لماذا ؟
الليلة الماضية في حلم رأيت أصابع تشير إليّ

---

= سكرتير إتحاد الكتاب في ذلك الوقت هو كورت بارتل **Kurt Barthel** ( ١٩١٤ ـ ١٩٦٧ ) .

كما لو كنت أبرص . كانت مكسورة
قد أبلاها الكدح .

إنكم لا تعلمون ! هكذا صرخت
معذب الضمير .

## نفس الشيء ما زال

الأطباق تُخبط بقوة
الحساء يراق فوقها .
بصوت أجش
يدوي الأمر : الآن كلوا !

النسر البروسي
يحشر الطعام
في حلوق صغاره .

## يوم حار

يوم حار . بحقيبة الكتابة فوق ركبتي
أجلس في المنزل الريفي . قارب أخضر
يظهر خلال الموج . في المؤخرة
راهبة بدينة ، في ملابس فضفاضة . أمامها
شخص مسنّ في ثوب الاستحمام ، ربما كان راهباً .
وعلى المجاذيف ، طفل يجدف بكل قوته .
تماماً مثل الأوقات الماضية ، هذا ما أظن
تماماً مثل الأوقات الماضية .

## الصدق يوحد *

يا أصدقاء، أودكم أن تعرفوا الصدق وأن تقولوه.
ليس مثل قياصرة متعبين، مراوغين: 'غداً سيأتي القمح'.
لكن مثل لينين: غداً
سنكون قد هلكنا، ما لم...
ومثلما تقول الأغنية:
'يا إخوتي، واجبي الأول
هو أن أخبركم مباشرة:
نحن في موقف صعب
دون أمل منظور'.
يا أصدقاء، اعتراف صريح
و 'ما لم' صريحة!

## الدخان

المنزل الصغير بين الأشجار بجانب البحيرة.
من السقف يتصاعد الدخان.
بدونه
ما أشد ما تكون وحشة
المنزل، والأشجار، والبحيرة.

## الحديد **

الليلة الماضية، في حلم،
رأيت عاصفة عاتية.

---

* الاشارة المتعلقة بلينين تنقل رسالته إلى اللجنة المركزية في ٦ نوفمبر ١٩١٧ والأغنية المذكورة من كلمات الكسندر تفاردوفسكي.

** كان بريخت قد تأثر بصورة في إعلان أميركي تبين منزلاً وحيداً =

أخذت بخناق الدعامات
مزقت سلالم البنائين
المصنوعة من الحديد .
لكن كل ما كان من خشب
صمد وبقي .

## الصنوبرات

في الساعات الباكرة
تكون أشجار الصنوبر نحاساً .
هكذا كنت أراها ـ
منذ نصف قرن
منذ حربين عالميتين ـ
بعيون شابة .

## الرجل الوحيد الذراع في الأجمة *

العرق يقطر منه وهو ينحني
ليجمع الأغصان . البعوضات
يهشها بهز رأسه . بين ركبتيه
يحزم حطبه بعناء . يئن
وهو يفرد قامته ، ويرفع يده ليتحسس
ما إذا كانت تمطر . بيدٍ مرفوعة
ها هو رجل العاصفة المرعب .

---

= بقي بين أطلال زلزال طوكيو في ١ سبتمبر ١٩٢٣ وقد كتب تحتها «الصلب صمد» وربما كان في ذهنه لقب ستالين : الرجل الحديدي .

* اليد المرفوعة لتحسس قطرات المطر تحمل بعض الشبه بالتحية النازية التي تؤدى بمد الذراع وراحة اليد إلى الأمام .

## منذ ثماني سنوات

مضى وقت
كان فيه كل شيء مختلفاً هنا .
زوجة الجزار تعرف .
ساعي البريد له خطوة بالغة الانتصاب .
لكن كيف كان الكهربائي ؟

## التجديف ، والحديث

الوقت أصيل . زورقان
ينزلقان ، داخلهما
شابان عاريان : يجدفان جنباً إلى جنب
وهما يتحدثان . يتحدثان
وهما يجدفان جنباً إلى جنب .

## أثناء قراءة هوراس

حتى الفيضان
لم يدم للأبد .
جاء وقت
إنحسرت فيه المياه السوداء .
نعم ، لكن ما أقل ما
بقي بعدها .

## أصوات

في أواخر الخريف
تؤوي أشجار الحور الفضية أسراباً هائلة من الغربان
لكن طوال الصيف
حين يخلو الاقليم من الطيور لا أسمع

سوى أصوات إنسانية المصدر .
لا اعتراض لدي .

## قراءة كتاب سوفياتي *

ترويض الفولغا ، كما أقرأ
لن يكون مهمة سهلة ، فسوف تستنجد
ببناتها ، الأوكا ، والكاما ، والأونشا ، والفيتلوجا
وحفيدتيها ، الشوسوفايا ، والفياتكا .
ستستجمع كل قواها ، بمياه سبعة آلاف رافد
وترتطم ، يملأها الحنق ، بسد ستالينغراد .
وذلك التصميم العبقري ، بالمكر الشيطاني
لأوديسيوس الإغريقي ، سيستفيد من كل صدع
سينتشر على الضفة اليمنى ، ويستدير حول الضفة اليسرى ،
ويختبىء تحت الأرض ـ لكنني أقرأ ، أن الشعب السوفياتي
الذي يحبها ، ويتغنى بها ، قد درسها
مؤخراً ، وفي عام ١٩٥٨
على أقصى تقدير
سيروضها .
أما الحقول السوداء لسهول قزوين
تلك الحقول المجدبة ، التي ستصير أبناء بالتبني
فسوف تكافئهم بالخبز

---

* كان الكتاب هو كتاب Ein Strom Wird zum Meer من تأليف ف . جالاكتيونوف و ا . أجرانوفسكي . وكان الفولجا موضوع إحدى قصائد مجموعة 'Lied der Ströme' لبريخت . وقد لحنها شوستاكوفيتش وحولت إلى فيلم كتبه جوريس إيفنز Joris Ivens وعرض في سبتمبر ١٩٥٤ .

فوق الاستحكامات كان النواح على الموتى قد بدأ -
أخذ الطرواديون يصلحون قطعاً صغيرة، قطعاً صغيرة

---

= **بريخت يقرأه في ترجمة هيلموت فون دين شتاينين. والقصيدة تمضي كالتالي:**

جهودنا هي جهود تعسى الحظ؛
جهودنا مثل جهود الطرواديين.
ننجح بعض الشيء، نستعيد الثقة
بعض الشيء، ونبدأ مرة أخرى
في امتلاك الثقة والآمال الكبار

لكن شيئاً يحدث دائماً ويوقفنا.
أخيل في الخندق يظهر أمامنا
ويفزعنا بصرخات مدوية.

جهودنا مثل جهود الطرواديين.
نظن أننا بالتصميم والجسارة
سنحول مسار القدر الذي يجرنا إلى القاع،
ونقف في الخارج مستعدين للمعركة.
لكن حين تحل الأزمة الفاصلة،
تتلاشى جسارتنا وتصميمنا؛
روحنا تهتاج، وتُشل:
فنجري حول الأسوار
ساعين إلى الهرب لإنقاذ انفسنا.

ورغم ذلك، فسقوطنا مؤكد. عالياً،
فوق الأسوار، بدأ النواح فعلاً
ذكريات ومشاعر أيامنا ذاتها تنتحب.
بريام وهكتور ينتحبان بمرارة من أجلنا.

**وقد أعاد بريخت صياغة البيتين الأولين من المقطع الأخير والأبيات الثلاثة الأخيرة من المقطع الأول لتناسب غرضه. أما صورة «القطع الصغيرة» التي يجري إصلاحها في البوابات فتعود إلى الخطأ في الترجمة الألمانية التي أوردت «نصلح» بدل «ننجح» و «قطعاً صغيرة» بدل «بعض الشيء».**

في البوابات الخشبية الثلاثية، قطعاً صغيرة.
وبدأوا يتشجعون، ويأملون.

الطرواديون أيضاً، إذن.

## حول انتقال البرليز إنسمبل إلى مسرح آم شيفباوردام *

في البداية عرضت بين الحطام. والآن
ستعرض في هذه الدار الأنيقة، وليس لمجرد التسلية.
منك ومنا لا بد أن تنمو «نحن» محبة للسلام
لتعين هذه الدار على البقاء، هي وكثيراً غيرها.

## إلى زميلة تخلفت في المسرح خلال إجازة الصيف * *

عبر الفناء أراك تدخلين مبنى المسرحيين
وتصعدين الدرج، إلى القاعة
حيث، تحت لوحة رفيقنا بيكاسو، في دخان التبغ الأزرق
تعد المسرحيات وتختصر النصوص وتحدد
البروفات الجديدة، بينما التليفون
يرن أبداً، رغم كل شيء. أتبعك
إلى غرفة المصور وأراك
تحضرين صورا لفرنسا ومرة ثانية

---

* تم انتقال البرلينر إنسمبل في مارس ١٩٥٤، وقبلها كانت الفرقة تعرض في مسرح الدويتشز تياتر.

* * الزميلة هي إيزوت كيليان Isot Kilian. وكان مبنى المسرحيين خلف مسرح آم شيفباوردام (الذي يحمل الآن اسم مسرح آم برتول بريخت بلاتس). وكانت الفرقة على وشك القيام بأول رحلاتها إلى مهرجان باريس الدولي للمسرح. أما أصدق فهو القاضي في دائرة الطباشير القوقازية.

أصبحت زوجته'.
تركنا كلانا الزمن يمضي
حتى انقضى
فلبسنا معطفينا
وتعانقنا، ومضينا.

## الوردة الصغيرة، اه كيف يجب أن نحسبها؟

الوردة الصغيرة، آه كيف يجب أن نحسبها؟
فجأة حمراء داكنة وفتية وقريبة؟
آه لم نعرف أبداً أنها موجودة
حتى أتينا، ووجدنا أنها هناك.

غير متوقعة حتى أتينا ورأيناها
لا تُصدَّق فور رؤيتها
تصيب الهدف، رغم عدم التصويب عليه:
ألم يكن ذلك هو الحال دائماً؟

## متع

أول نظرة من النافذة في الصباح
الكتاب القديم وقد عثرت عليه ثانيةً
الوجوه المتحمسة
الجليد، تغير الفصول
الصحيفة
الكلب
الديالكتيك
الاستحمام، السباحة
الموسيقى القديمة
الحذاء المريح

تقبُّل الأشياء
الموسيقى الجديدة
الكتابة، الزراعة
السفر
الغناء
أن أكون ودوداً.

## الكلب

بستاني يقول لي : الكلب
قوي وذكي وقد اشتُري
ليحرس الحدائق . لكنك
ربيته ليتحول إلى محب للبشر . لماذا إذن
ينال طعامه ؟

## أكل اللحم باستمتاع

أكل اللحم باستمتاع ، قطعة بطن طرية
وخبز الشعير الطازج ، المخبوز لتوه
مع قطع من الجبن الكامل الدسم ، وازدراد
البيرة الباردة من الإبريق : هذه الأشياء
تعد وضيعة ، لكن في رأيي ، فإن بلوغ القبر
دون الاستمتاع أبداً بملء فم من اللحم الجيد
يعد غير إنساني ، أقول ذلك ، أنا
الذي لست أكولاً .

## أرسلي إلي ورقة شجر

أرسلي إليّ ورقة شجر ، تكون من خميلة
تبعد عن منزلك
مسيرة نصف ساعة على الأقل ، حينئذ
سيكون عليك أن تذهبي فتصيري قوية
أشكرك أنا على الورقة اللطيفة .

## أوقات صعبة

واقفاً بجوار مكتبي
أرى خلال النافذة شجرة بيلسان في الحديقة
وأتبين فيها شيئاً أحمر ، وشيئاً أسود
وفجأة أتذكر بيلسانة
طفولتي في أوجسبرج .
لعدة دقائق
أفكر جدياً أن أذهب إلى الطاولة
وألتقط نظارتي ، حتى أرىٰ ثانيةً
تلك الثمرات على غصونها الحمراء الدقيقة .

## الأمور تتغير

I
وكنت كهلاً ، وكنت فتياً أحياناً
كنت كهلاً عند الشروق ، وفتياً عند حلول الظلام
وكنت طفلاً يتذكر الإخفاقات
وكهلاً ينسىٰ حتى آسمه .

II
حزيناً في أيام صباي
وحزيناً بعدها
متى سأكون سعيداً ؟
الأفضل أن يكون ذلك قريبا .

## تصحيح

الحرب لا تصبح غير ضرورية
حين لا تُخاض .
بل فقط حين تكون غير ضرورية
لا تعود ثمة حاجة لخوضها .

## إلى طلبة كلية العمال والفلاحين *

. ١

ها أنتم تجلسون هناك . وكم من دم أريق
لكي تجلسوا هناك . أتضجركم هذه الحكايات ؟
حسناً ، لا تنسوا أن آخرين جلسوا قبلكم
وبعدها جلسوا فوق رقاب الشعب . فحاذروا !

. ٢

ستجدون أن علمكم سيكون بلا قيمة
والتعلم عقيماً ، ولو كان جذاباً
ما لم تكرسوا ذكاءكم للمحاربة
ضد كل أعداء البشرية بأسرها .

---

* تبين ملاحظة في الاعمال الألمانية الكاملة لبريخت أن هذه القصيدة كانت جزءاً من «كتاب سلام» مزمع ليكون مقابلاً «لكتاب حرب ألماني» المنشور في ١٩٥٥ . وعنوان القصيدة في الأشعار الكاملة هو «إلى الطلبة في قاعة محاضرات جامعة أعيد بناؤها».

.٣
لا تنسوا أبداً أن رجالاً مثلكم أضيروا
لكي تجلسوا أنتم هناك، وليس القوم الآخرين.
والآن لا تغمضوا عيونكم، ولا تهربوا
بل تعلموا أن تتعلموا، وحاولوا أن تتعلموا لماذا.

## أغنية الأنهار

المسيسيبي العجوز يثور
مكتسحاً ماشيتنا وحتى الأرض.
طاردوهم إلى الجحيم غوغاء القمة أولئك
الذين يدعونه طليقاً عاماً بعد عام
فنحن، الذين اختفت حقولنا
لن نغفر شيئاً -
حين يكون سادته قد اختفوا
سوف نروضه.

نهرنا الغانج يفيض في الهند.
حيث يفيض، يعم الخصب
وحيث يفيض، يعم الجوع
لكن بالتأكيد لن يظل الحال هكذا دائماً.
فنحن، الذين زرعنا حقول الأرز
وروينا الوادي
نعلم، أن اليوم قد أصبح قريباً، حين
ننال وجبتنا.

نيلنا يفيض في مصر
المعابد والقصور تنظر إليه
والعبودية عمرها ستة آلاف عام

لكن الأرجح أنه لن يمتد طويلاً .
فنحن ، الذين بنينا تلك المنازل
ورفعنا حجراً فوق حجر
نعلم أن اليوم لم يعد بعيداً ، حين
نسكنها .

صيننا ! نهرنا يانغ تسي !
حيث يفيض فكل شيء ملكنا حتى البحر .
حيث يفيض ، نذهب إلى العمل مبتهجين
والعمل أيضاً يصير بهجة .
لكنه لم يكن ملكنا دائماً .
تطلب الأمر قتالاً مريراً
قبل المعول رفرف العلم
وكان أحمر .

الفولغا ، أيتها الأم الحبيبة !
لينين كان ابنك .
لم يتردد طويلاً
وصمتت أغنية عبودية من يجرّون السفن
والآن تزأر أغنية التوربينات .
إسم مدينتنا ستالينغراد
وعدو العالم سقط هنا .
وأنتم ، حيثما قابلتموه
اهزموه كما فعلنا .

دون شك يفيض نهرنا الأمازون
في البرازيل لكنه يتبع الولايات المتحدة
إنه ضخم وقوي ، ويعمل
في خدمة السادة الذين لم يرهم أبداً .

لكن ذات يوم ، لم يعد بعيداً
وقد أقسمنا على ذلك
سيقوم بعمله لنا نحن
الذين ولدنا هنا .

للأرض أنهار قوية
تحملها بالعديد من الثمار الجميلة
لكننا ، نحن البروليتاريا
أخصب أنهار هذه الأرض .
وأقواها كذلك ، أيها الأصدقاء
ولا يحده سد :
يفيض فوق الأرض لا يوقفه شيء .

## أغنية مضادة لـ«مودة العالم»*

أيعني ذلك إذن أن نستقر راضين
ونقول 'هذا هو الحال وهكذا لا بد أن يكون دوماً'
ونرفس الكأس الطافحة من أجل التي أفرغت
لأننا سمعنا أن العطش أفضل؟

أيعني ذلك إذن أن علينا أن نظل هنا نرتجف
لأن غير المدعوين لا يسمح لهم بالدخول
وننتظر بينما يقرر من في القمة
ما يُسمح لنا به من آلام ومباهج؟

نعتقد أن الأفضل أن نهب غاضبين
وألا نمضي أبداً دون أدنى متعة
ونصد من يجلبون الألم والجوع
ونصلح العالم لنحيا فيه على راحتنا.

## قهقه زبائن سقراط، ها! ها! ها!

قهقه زبائن سقراط، ها! ها! ها!
لكن إحدى القهقهات الثلاث
جعلته يفكر.

هرم خوفو به أحد عشر خطأ
والإنجيل به عدد لا يحصى

---

* كتبها بريخت عام ١٩٥٦ كرد على قصيدة «في مودة العالم» بينما كان يراجع قصائد «الصلوات» المبكرة. ومعظم المخطوطات تحمل عنواناً بسيطاً هو «اغنية مضادة».

وفيزياء نيوتن
مليئة بالغيبيات.

يمكن للمحبين العائدين من السينما
أن يعلموا
روميو وجولييت شيئاً أو إثنين
بينما كان والد أصدق دائماً*
يدهش إبنه.

## في غرفتي البيضاء في الشاريتيه**

في غرفتي البيضاء في الشاريتيه
حين استيقظت قبيل الصبح
وسمعت الطائر الأسود، فهمت
فهماً أفضل. لبرهة
فارقني كل خوف من الموت. فلا شيء
يمكن أن يضيرني إذا صرت أنا
لا شيء. الآن
استطعت أن أتمتع كذلك
بغناء كل طائر أسود يأتي بعدي.

## واعتقدت دوماً

واعتقدت دوماً أن أبسط الكلمات
لا بد أن تكون كافية. فحين أذكر ما عليه الحال
لا بد أن ينفطر قلب كل إنسان.
ستنهارون ما لم تتمالكوا أنفسكم
وأنتم ترون ذلك بالتأكيد.

---

* «أصدق»: أحد شخصيات «دائرة الطباشير القوقازية».
** الشاريتيه هي المستشفى الرئيسي في برلين الشرقية حيث كان بريخت يعالج في مايو ١٩٥٦.

# XI

# نصوص لبريخت

**(I) كتاب الصلوات :** تعليمات لاستخدام الدروس المختلفة .

الغرض من كتاب الصلوات هذا هو الاستخدام العملي للقارىء . وليس المقصود به أن يبتلع هكذا دون تفكير .

الدرس الأول (الضراعات) موجه مباشرة إلى مشاعر القارىء . وننصح بألا يقرأ الكثير من هذا الدرس في مرة واحدة . كذلك لا يجب أن يستخدم هذا الدرس ، الموجه إلى المشاعر ، سوى الناس الأصحاء تماماً . وآبفلبوك **Apfelböck** المذكور في الفصل ٢ ، ولد في ميونيخ عام ١٩٠٦ ، وصار مشهوراً في ١٩١٩ بسبب جريمة قتل ارتكبها تجاه أبويه . وماري فارار التي جرى وصفها في الفصل ٣ ، ولدت في أوجسبورج على ضفة الليش قبل آبفلبوك المذكور بعام واحد ، وقدمت للمحاكمة بتهمة قتل طفلها في السن الغضة للعام السادس عشر . وقد أثارت فارار مشاعر المحكمة ببراءتها وعدم حساسيتها الإنسانية . أما فرنسوا فيّون **François Villon** المشار إليه في الفصل ٩ فقد اكتسب شهرته عن طريق محاولة سطو وقتل وعدد من القصائد (الفاحشة ، ربما) .

والدرس الثاني (التدريبات الروحية أو الدينية) موجه أكثر إلى الفهم . ومن المفيد أن يقرأ ببطء ، عدة مرّات ، لكن ليس دون بساطة بأية حال . ويمكن استخلاص عدد من النتائج المتعلقة بالحياة من أقوال معينة متضمنة فيه ، كما يمكن استخلاصها من الإشارات المباشرة . هكذا فإن الفصل ١١ (إجابة أورجة) يتناول بعض الاغواءات القاصرة على القليلين منا ، بينما يحذرنا الفصل ٥ (حكاية مالشوس ، الخنزير المبتلى بالحب) من إثارة القلق

بالافراط في المشاعر.

أما الدرس الثالث (الأخبار) فيجب تصفحه في الأوقات التي تبدي فيها الطبيعة عنفها الخشن. ففي أوقات إبداء الطبيعة لعنفها الخشن (وابل المطر، العواصف الثلجية، الإفلاسات، وما اشبه) يجب أن يجد المرء العون في مغامرات الرجال والنساء الجسورين في البلاد الأجنبية، كما تقدم الأخبار التي جرى إبقاؤها في مستوى من البساطة يجعلها صالحة للاستخدام في كتب المطالعة للمدارس الأولية. وعند أداء الأخبار يحبذ التدخين؛ وقد يصاحب الصوت آلة وترية في هارمونية معه. والفصل ٢ (موال على متن سفن عديدة) الغرض منه قراءته في لحظات الخطر: ويعطي لمحة عن الرجل المطاط. أما 'رجال فورت دونالد' في الفصل ٤، فقد كانوا جزءاً من مجموعات رجال السكك الحديدية الذين مدوا الخط الحديدي الأول عبر براري روكي ماونتينز. والفصل ٦ ('موال القراصنة') يصلح أساساً لليالي يونيو الصافية؛ إلاّ أن النصف الثاني من هذا الموال يمكن، بقدر ما يتناول التدهور، أن يغنى أيضاً في أكتوبر. واللحن هو لحن 'راية الرحمة: L'Etendard de la pitié'. والفصل ٨ (عن حنه كاش Hannah Cash) الغرض منه أن يستخدم في فترات الاضطهاد غير المسبوق. (ففي فترات الاضطهاد غير المسبوق يتبدى إخلاص المرأة).

والدرس الرابع (أغنيات ماهاجوني) هو المناسب للحظات الثراء، والكبرياء، والوعي بالجسد. وبالتالي، فلن يجده الكثير من القراء مناسباً. ولهؤلاء الحرية في توقيع الأغنيات بأقصى درجات الصوت والمشاعر (لكن دون إيماءات).

هناك ساعات للتذكر وللأحداث الماضية. والفصول الخمسة التالية من الدرس الخامس (ساعة الراحلين الصغيرة) المقصود منها الذكرى وتتعلق بالأحداث الماضية. والفصل الثاني، الذي يتناول الفتيات التي جرى إغواؤهن، يجب أن يغنى بمصاحبة إيقاعات

متنافرة على آلة وترية. وشعاره 'بدافع الامتنان لإشراق الشمس فوقها، تلقى الأشياء ظلها'. والفصل الثالث حول الفتاة الغريقة، يجب قراءته همساً. والفصل الرابع، في موت الحب، مكرس لذكرى المحبين فرانتز ديكمان Franz Diekmann وفريدا لانج Frieda Lang من أوجسبورج. أما الفصل الخامس، حول الجندي الميت، فيخلد ذكري جندى المشاة كريستيان جرومبيز Christian Grumbeis، الذي ولد في آيشاخ في ١١ابريل ١٨٩٧، ومات في أسبوع الآلام عام ١٩١٨، في كاراسين، (جنوبي روسيا).

وبعد قراءة الدرس الحزين بعض الشيء حول ساعة الراحلين القصيدة يجب أن يتحول القارىء إلى الفصل الختامي. ومن المستحب عموماً أن تختتم كل قراءة لهذه الصلوات بهذا الفصل الختامي.

والملحق (عن ب.ب.البائس) مهدى إلى جورج بفانتسلت

---

**★ [مقدمة بريخت لكتاب الصلوات Hauspostille لعام ١٩٢٧. كذلك ظهرت المقدمة في كتاب صلوات الجيب Taschenpostille, في العام السابق، بدون الفقرة الإفتتاحية، وبإضافة جملة عند الختام، تقول 'وقراءته الصامتة ليست إجبارية على كل من يعوزه الوقت'.**

**وقد ظهرت نفس المقدمة في طبعة ١٩٦٠ لأشعار بريخت مع تعديلات طفيفة تتمشى مع التغير في اختيار القصائد. واضيفت في نهاية الفقرة الثانية جملة تقول 'أثناء قراءة «قائمة رغبات أورجه» عالياً أو بصوت خفيض، يجب طرقعة اللسان بعد كل مقطع'. وهناك أيضاً إشارة إلى الفصل ١ من الدرس الخامس باعتباره 'يخدم لتخليد الشاعر يوزف بال من بفرزي Joseph Baal of Pfersee، وهو ظاهرة ضد المجتمع تماماً'.**

**أما بفانتسلت Pfanzelt (واسم التدليل له أورجه Orge)، وينهير، ومولرايسرت فهم أصدقاء طفولة بريخت. وقد أصبح نيهير مصمم الديكور الرئيسي لبريخت، وهو موضوع عدد من القصائد].**

George Pfanzelt ، وكـاسبـر نيهيـر Caspar NEHER ، وأوتـــو مويلرايسرت Müllereisert ، وثلاثتهم من أوجسبورج .

## (II) إعادة نظر في الصلوات *

في المساء تناولت مرة أخرى كتاب الصلوات . هنالك يبلغ الأدب تلـك الدرجـة مـن نـزع الإنسـانيـة التـي لاحظهـا مـاركس في البـروليتـاريـا ، جنبـاً إلى جنـب مـع اليـأس الذي يلهـم آمـال البروليتاريا . فمجمل القصائد تتناول التدهور ، وتقتفي القصائد آثار مجتمعنا المنهار إلى آخر المدى . الجمال مشيد فوق الأطلال ، والخرق تصبح ترفاً . النبـالـة تلـغ في التـراب ، واللامعنـى يجـد الترحيـب كـوسيلـة للتحـرر . لـم يعـد لـدى الشـاعـر أي حسٍّ بالتضامن ، حتى ولا مع نفسه . جثة متخشبة . لكنها لا تفتقر إلى القوة .

## (III) حول قصائد سفندبورج **

[ . . . ] كتاب قصائدي الأول ، كتاب الصلوات ، يحمل بلا شك ميسم تدهور الطبقة البرجوازية . فتحت ثراء مشاعره تكمن فوضى للمشاعر . وتحت أصالة تعبيره تكمن ملامح للانهيار . وتحت ثراء موضوعه هناك عنصر من فقدان الهدف . اللغة القوية متراخية ، إلى آخره ، إلى آخره . وبالنظر إليها من هذه الزاوية ، تمثل قصائد سفندبورج التالية ، في نفس الوقت تقدماً وتقهقراً . فمن وجهة النظر البرجوازية حدث إفقار مذهل . أليست هذه القصائد كلها ، بدرجة كبيرة ، أكثر أحادية ، وأقل 'عضوية' ، وأبرد ، وأشد وعياً

---

* [ ملاحظة من اليوميات بتـاريـخ ٢٠ أغسطس ١٩٤٠ . أوردتهـا اليزابيت هاوبتمان في الكتاب **Bertolt Brecht Uber Lyrik** الذي نشر في ١٩٦٤ ] .

** [ من نفس المرجع السابق . وهي ملاحظة من اليوميات بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٣٨ . و 'التواصل مع الطبيعة' مأخوذة من جوته ] .

بالذات (بالمعنى السيء)؟ لنأمل ألاّ يدع رفاقي في السلاح ذلك يمر بطريق الخطأ. سوف يقولون إن قصائد سفندبورج أقل إنحطاطاً من كتاب الصلوات. ورغم ذلك، أعتقد أن من المهم أن يدركوا ما كلفه التقدم، على ما هو عليه. أجبرتنا الرأسمالية على إشهار السلاح. فقد ضربت بيئتنا. ولم أعد أخرج 'لأتواصل مع الطبيعة في الغابات'، دون أن يصاحبني شرطيان. وما زال هناك ثراء، إختيار ثري لأرض المعارك. وهناك أصالة، أصالة المشكلات. ما من شك: فالأدب ليس مزدهراً. لكن علينا أن نحاذر من التفكير وفق صور عتيقه. فمفهوم 'الازدهار' هذا أحادي بدرجة بالغة. ولا يمكنك أن تربط عنان أفكار ذات قيمة، وتعريفات للقوة أو العظمة، إلى مفهوم (رعوي) للازدهار العضوي؛ فهذا يكون مضحكاً. التقهقر والتقدم لا يجب فصلهما وفق تواريخ في التقويم. فهما خيطان يجريان خلال الأفراد والأعمال.

## (IV) أربع ملاحظات حول الحِكَم.*

(أ) أحضر شتيف Steff معه 'باقة مليجر 'Meleager's Wreath'، ترجمة أوجست أويلر Oehler. حكم محببة، تذكرني بسوناتتي 'Rat an die Lyriker der USSR, öffentliche Bauwerke zu beschriften'. وقد حورت في بعضها وكتبت أنا بعض الحكم الجديدة لتكون بمثابة عينات.

---

* [هذه أربع ملاحظات يومية من أوراق العمل لعام ١٩٤٠ وتواريخها على الترتيب هي: (أ) ٢٥ يوليو، (ب) ٣٠ يوليو، (ج) ١٩ أغسطس، و(د) ٢٢ أغسطس. وشتيف هو شتيفان Stefan إبن بريخت. أما سوناتا 'Ratan die Lyriker' فهي نداء للبنائين لكي يحفروا نقوشاً (مثل 'ثبتاً بالطبقات التي ساهمت') فوق جدران المباني السوفياتية الجديدة، وكتبت عام ١٩٣٥].

حين تقارن ما عرفه كتّاب فايمار عن ناظمي الحكم الإغريقيين ومشكلاتهم بالقليل الذي نعرفه اليوم، ترى أي تدهور بشع قد حدث. فاليوم لا نكاد نعرف شيئاً حتى عن الفايمريين.

إن مزاج هذه الحكم الإغريقية يرسيه تماسكها الرائع، مع إحساسها كيف أن ريحاً محددة (ريح المساء، ريح الفجر، ريح إبريل، ريح الجليد) ستحرك الأوراق والثمار في شجرة معينة.

(ب) ألقيت نظرة على واحدة أو إثنتين من الحكم ('معدات فايجل'، 'الغلايين'، 'كرار ضيعة فنلندية'). أنا عاجز تماماً عن العمل في المسرحيات. رغم أن من العاجل جداً إنهاء الإنسان الطيب؛ فلم يبق فيها سوى بعض التفاصيل. في لحظات العجز عن الكتابة هذه يحتاج المرء إلى بعض الصحافة أو العمل في المسرح العملي، وكلاهما غير ممكن الآن.

(جـ) كل ما أستطيع كتابته في الوقت الراهن هو هذه الحكم الصغيرة، أولاً ذات ثمانية سطور والآن ذات أربعة سطور فقط. نحيت قيصر جانباً، إذ أن الإنسان الطيب لم يكتمل. وحين أفتح المسنجكاوف طلباً لبعض التغيير يكون الأمر وكأن سحابة ترابية تهب على الوجه. هل تتخيل أن يكون لهذا الشيء معنىً على الإطلاق مرة أخرى؟ ليس هذا سؤالاً خطابياً. فلابد أن أكون قادراً على تخيل ذلك. وليست المسألة هي انتصارات هتلر الراهنة لكنها ببساطة ووضوح مسألة عزلتي أنا فيما يتعلق بالإنتاج. وحين أستمع إلى الأنباء من الراديو في الصباح، وفي نفس الوقت أقرأ كتاب بوسويل Boswell حياة جونسون وألقي نظرة من النافذة على منظر أشجار البتولا الغارقة في الضباب على حافة النهر، حينئذ لا يبدأ اليوم غير الطبيعي على إيقاع متنافر بل دون إيقاع على الإطلاق.

(د) بالطبع فإن الاقتصاد اللغوي الذي استقريت عليه في الحكم الفنلندية يحول أفكاري إلى تطور الشعر. يا له من تدهور! هذه الوحدة الرائعة، المليئة بالتناقضات، انهارت بعد غوته

مباشرة؛ باتخاذ هاينه **Heine** الخط العلماني تماماً، وهولدرلين **Hölderlin** الخط الكهنوتي تماماً. ومن هذين الإثنين، رأى الأول التبدد المتزايد للغة، لأن الطبيعية لا يمكن تحقيقها سوى بتجاوزات صغيرة للقواعد السابقة. وأبرز ما في ذلك، أنه دائماً أمر غير مسؤول بدرجة كبيرة، والتأثير الذي يحققه الشاعر بكونه ناظم حكم يعفيه من كل اضطرار للكفاح في سبيل المؤثرات الشعرية؛ وهذا التعبير يصبح تخطيطياً بدرجة أو بأخرى، فيختفي كل توتر بين الكلمات، ويصبح اختيار الكلمات نفسه أكثر إهمالاً: أعني، بالمعايير الشعرية، فالشعر الغنائي يملك بديله الخاص للبديهة الحاضرة. الكاتب لا يمثل سوى نفسه. أما بالنسبة للخط الكهنوتي، ففي حالة شتيفان جورج **Stefan George**، وتحت غطاء الاحتقار للسياسة أصبح مضاداً للثورة دون حياء، ولا يعني هذا أنه مجرد رجعي بل أنه يعمل بنشاط لخدمة الثورة المضادة. وقد افتقر جورج إلى الحسية وحاول تعويضها بمعالجة مطبخية راقية. كذلك فإن كارل كراوس **Karl Kraus**، الذي يمثل الخط الآخر، هو شخص غير حسّي بمعنى أنه كان بديهة حاضرة لا غير. وأحادية كلا الخطين تجعل من الأمور المتزايدة الصعوبة تطبيق المرء لحكمه. ففي جورج نجد معالجة بالغة الذاتية، تحاول أن تبدو موضوعية بتبني القوالب الكلاسيكية. أما شعر كراوس، بكل ما يبدو من ذاتيته، فإنه في الحقيقة أقرب إلى الموضوع، ويتضمن مادة أوفر. الشيء المحزن هو أن كراوس أضعف من جورج بكثير؛ وإلاّ لكان أفضل منه بكثير. وكلاهما معارض للبرجوازية (جورج بكونه إكليركياً ـ إقطاعياً، و 'وثنيته' ديانة بالطبع؛ وكراوس كناقد راديكالي، لكن من نوع مثالي، ليبرالي خالص)، وهذا على الأقل يبرز في كلتا الحالتين كيف أن مصالح البرجوازية يجب التضحية بها من أجل الحفاظ على الخط الثقافي. ومدرسة جورج تنتج نتائج بقدر ما تلتصق بالترجمة. فهذه تزودها بالمادة التي ما من طريق آخر أمامها

للحصول عليها . أما شعر كراوس فلا يكاد يكون مثالاً جيداً جداً على مذاهبه اللغوية والشعرية ؛ فهذه يجب تتبعها بصورة مباشرة .

## (V) فكرتان لمجموعة قصائد *

(أ ) 'في ري الحديقة ، لإحياء الخضرة !' . و 'مدينة موطني ، كيف سأجدها ؟' . لكن أعمالاً شعرية كاملة يجب أن تتضمن قصة داخلية ، في علاقة توافق أو تضاد مع القصة الخارجية . في ذهني شيء مثل 'مراحل' الرسام ، كما في حالة بيكاسو في أيامنا . ورغم أن انطباعاتي في هذه السنوات غير منهجية ، ورغم تعسفية التشريح ، فإن القصائد التي قد أكتبها ما زالت تحتفظ ، بطابع تجريبي ، وتندرج التجارب في سلسلة خاصة من العلاقات الواحدة مع الأخرى ، ولا تتيح قراءتها متعة مناسبة لو لم يتم تقويم قصيدة كأولى هاتين القصيدتين وفق جدتها في سياق الانتاج الكامل ، باعتبارها في مكانها .

(ب ) حين تفحصها ، فإن القصائد مكتوبة بنوع من الألمانية المبسطة . ولا يمثل هذا نظرية بأي معنى ؛ وبينما أقرأ هذه المجموعة أدرك نقص التعبير والوزن ، إلاّ أنني حين أكتب ( وأصحح ) تقف في حلقي كل كلمة غير مألوفة . لن أدرج قصائد مثل لوحة المنفى ، فهي بالفعل بالغة الثراء .

## (VI) خطاب إلى ناشر مجموعة "مائة قصيدة" **

أرجو ألاّ يضيرك أن أسجل لك بعض الأفكار حول نشر

---

* [ نفس المرجع السابق ، ملاحظتان من اليوميات لعامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ . والأخيرة تتعلق بخطة في ذلك الحين لإصدار مجموعة قصائد في المنفى ] .

** [ من خطاب إلى فيلاند هرتزفلده ناشر « مئة قصيدة » التي ظهرت في برلين الشرقية في ١٩٥١ ، وبذلك كانت آخر مجموعة من قصائد بريخت تظهر في حياته ] .

قصائدي المختارة. بما أن كل قصيدة هي عدو كل قصيدة أخرى فإنها تطالب بأن تنشر قائمة بذاتها. وفي نفس الوقت تحتاج القصائد الواحدة إلى الأخرى، وتستمد القوة من بعضها، وبالتالي يمكن تجميعها. و 'نفس القبعة' التي توضع تحتها هي قبعة المؤلف، وهي في حالتي قلنسوة. لكن هنا أيضاً تكمن مخاطرة: فربما كانت القصائد موضع البحث تصفني، لكن ليس هذا هو ما كتبت لأجله. فليس الأمر أمر 'التعرف على الشاعر' بل التعرف على العالم، وعلى الناس الذين بصحبتهم يحاول أن يتمتع به ويغيره. وهكذا فإن على الناشر أن يعلم القارىء كيف يقرأ القصائد. ولهذا الغرض، بالتحديد، تحتاج القصائد لجعلها (كما هو الحال) مشهورة. وهي مكتوبة في الحقيقة من موقف لا يتخذه سوى شخص يعتمد على قراء منتبهين. وكلما أمكنك إبراز القصائد المنفردة، والأبيات، ووجهات النظر، كلما كان ذلك أفضل. ومجموعات القصائد أيضاً بحاجة إلى الإشارة إليها كما لو كانت مشهورة (أو في طريقها إلى الشهرة). يجب حث القارىء على تقليب الصفحات. وبقدر ما تقول بشأن الموضوع محل البحث وطريقة معالجته الخاصة، بقدر ما يصبح الأمر أسهل بالنسبة للقارىء - رغم أنه ليس بهذه السهولة.

## التقليل من شأن الجانب الشكلي

لأنني مجدد في مجالي، فإن هناك دائماً شخص أو آخر مستعد للصراخ بأنني شكلي. إنهم يفتقدون الأشكال القديمة فيما أُكتب: والأسوأ من ذلك، أنهم يجدون أشكالاً جديدة؛ والنتيجة أنهم يظنون أن الأشكال هي ما يهمني. لكنني توصلت إلى نتيجة هي أنني لو كنت أفعل شيئاً فهو أنني أقلل من شأن الجانب الشكلي. فمن وقت لآخر درست الأشكال القديمة للشعر، والقصة، والدراما، والمسرح، ولم أتخلَّ عنها إلاّ حين بدأت تعوق ما أريد قوله. في الشعر بدأت بأغنيات للجيتار، مخططاً الأشعار على

نفس إيقاع الموسيقى. قالب الموال كان قديماً قدم التلال، وفي أيامي لم يكن يكتب الموال أي شخص يأخذ نفسه على محمل الجد. بعدها انتقلت إلى أشكال أخرى من الشعر، أقل قدماً، لكنني كنت أرتد أحياناً، وأمضي إلى درجة عمل نسخ من الأساتذة القدامى وترجمة فيّون وكيبلينج. والأغنية، التي هبطت على هذه القارة بعد الحرب العالمية الأولى باعتبارها نوعاً من الأغنية الفلكلورية للمدن الكبيرة، كانت قد طورت بالفعل شكلاً متعارفاً عليه حين بدأت أستخدمها. بدأت من تلك النقطة ثم حولتها فيما بعد، رغم أن عناصر من هذا الشكل الكسول، والعابث، والمشبع بالعاطفية يمكن مصادفتها في كورالاتي الجماهيرية. ثم كتبت أشعاراً غير مقفاة بأوزان غير منتظمة. وبدأت، على ما أعتقد، باستخدامها في مسرحياتي. إلاّ أن هناك بعض القصائد التي ترجع إلى نفس زمن **كتاب الصلوات**، هي المزامير التي اعتدت غناءها بمصاحبة الجيتار، تميل إلى نفس المنحى. أما السوناتا والحكمة فهما شكلان أخذتهما كما هما. والشيء الوحيد الذي لم أستخدمه، حقيقة، كان أشكالاً شعرية كلاسيكية معينة صدمتني لكونها مصطنعة جداً.

[ ملاحظة من اليوميات بتاريخ ٣ أغسطس ١٩٣٨. وكانت تلك فترة الحملة الضخمة الأولى ضد الشكلية في الاتحاد السوفياتي. وكان بريخت قد أكمل لتوه قصائد سفندبورج ].

## حول تمزيق القصائد

بقدر ما يقدّر الشعر، فإن الرجل العادي عادةً ما يستثنى بشدة ما يعرف بتمزيق القصائد: أي تطبيق المنطق البارد على تلك التكوينات الرقيقة، الشبيهة بالبراعم، وانتزاع الكلمات والصور منها. وضد هذا يجب القول إنه حتى الأزهار لا تذبل حين يمزقها المرء. فالقصائد، إذا كانت قادرة على الحياة على الإطلاق، تكون كذلك بصورة ملحوظة تماماً ويمكنها أن تتحمل

أقسى الجراحات. وبيت شعر سيىء لا يدمر القصيدة تماماً بأي حال، مثلما لا ينقذها تماماً بيت شعر جيد. واكتشاف الأبيات السيئة هو الوجه الآخر من ملكة بدونها لا يمكن أن يكون هناك وجود لقدرة أصيلة على تقويم القصائد، هي بالتحديد القدرة على اكتشاف الأبيات الجيدة. وأحياناً تتطلب قصيدة القليل جداً من الجهد، وأحياناً تتطلب الكثير. والرجل العادي الذي يعتقد أن القصائد لا يمكن الاقتراب منها ينسى أن الشاعر رغم أنه قد يدعوه لمشاركته مزاجاته غير المتجسدة، كما هي، فإن صياغتها في قصيدة هو أمر يتطلب الجهد، وأن القصيدة نفسها هي شيء عابر قد جرى الإمساك به، وبعبارة أخرى هي شيء مادي ومتعين نسبياً. وأي شخص يعتقد أن القصيدة شيء لا يمكن الاقتراب منه ليس لديه في الحقيقة فرصة للاقتراب منها. فنصف المتعة تكمن في تطبيق المعايير. مزق وردة إلى أجزاء، وستظل كل بتلة جميلة.

[ يرجع الباحثون النص إلى الثلاثينات ].

## الشعر والسياق

تصفحت مجلداً صغيراً لقصائد وردسورث **Wordsworth** في طبعة آرنولد. وصلت إلى 'كانت سراباً للبهجة' وتأملت في هذا العمل الذي أصبح بعيداً الآن وفي المخاطر التي ينطوي عليها وضع القانون. فحتى التصنيفات من قبيل 'أنشودة برجوازية صغيرة' هي تصنيفات عشوائية. هناك في الحقيقة بعض الميول البرجوازية الصغيرة التي تستهدف بقاء وتدعيم البرجوازية الصغيرة كطبقة، لكن داخل البرجوازية الصغيرة هناك أيضاً أنواع أخرى من الميول تتعارض مع تلك. والفرد البرجوازي الصغير الذي يقوم الآن بدوريات في الريف الإنجليزي مجهزاً ببندقية وكوكتيل مولوتوف (كالذي يستخدم ضد الدبابات في الحرب الأهلية الاسبانية، كما أكد لنا جنرال في الإذاعة) لديه، حتى نقطة معينة، أسباب مشروعة بدرجة كافية للوم شاعره وردسورث؛ إلاّ أنه فقط في مثل

هذه المواقف التي تنتزع الآدمية فإن:

خيالاً حبيباً، أرسل

ليكون زينة لحظة

يساعد على استحضار مواقف أخرى أكثر جدارة بالجنس البشري. وبالتأكيد فإن زمننا هو زمن لم تعد فيه القصيدة تخدم 'للمطاردة، وللترويج، وللمباغتة'. فالفن هو مجال مستقل، رغم أنه ليس مطلق السيادة بأية حال. بعض النقاط:

(i) معيار ممكن للعمل الفني: هل يثري قدرة الفرد على التجربة؟ (الفرد، الذي ربما كان فرداً يتقدم فتلحق به الجماهير التي تتحرك في اتجاه متوقع).

(ii) قد يثري القدرة على التعبير، التي ليست هي نفس القدرة على التجربة بل أكثر شبهاً بالقدرة على التواصل. (ربما كان السؤال هو إلى أي مدى ترتبط الـكيف بالـماذا، وترتبط الـماذا بطبقات معينة).

(iii) الشعر ليس أبداً مجرد تعبير. فاستيعاب قصيدة هو عملية من نفس نوع الرؤية والسمع، أي أنها شيء أقل سلبية بكثير. وكتابة الشعر يجب أن ينظر إليها باعتبارها فعالية إنسانية، وظيفة إجتماعية من نوع متناقض ومتغير تماماً، مشروطة بالتاريخ وشارطة له بدورها. إنها الفرق بين 'العكس المرآوي' و 'الامساك بالمرآة'.

[ملاحظة من يوميات العمل بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٤٠، خلال دورة معركة بريطانيا].

## طرق تقديم الشعر

### ١. الشعر المؤدى:

(أ) في المساء يزورني لودفيج هارت **Ludwig Hardt**. وهو محترف من الطراز القديم لإلقاء الأشعار، يحمِّل كل كلمة

بالإيحاء، بنوع من المصاحبة ('كلمات مضغوطة، مع عصير التفاح') . أقول إنني أؤيد الإلقاء المفتوح، غير الكنسي، الذي يتجنب كل القفلات، والتصعيدات، والذبذبات الرنانة أتعثر، خلال ذلك، في قصيدة جوته 'أنشودة محمد Mahomets Gesang'، وينفرني مابها من خليط من وحدة الوجود، والتزمت، وموسيقى العرض (إنها بمثابة صورة نهر، ألم تكن تعلم؟) . وأوازن ذلك بالتنقيب في قصيدة نزاع الدم العربي في الديوان Diwan، التي تروقني جداً .

يشكو هارت أن تقديم هذه القصيدة في قاعة سيثير بعض التعليقات . وأنا أجد التعليقات شيئاً طيباً، لأنها تفصل بين القصائد، وتضفي عليها تأثيراً من الإغراب، وتضعها على أساس راسخ . فالقصائد مخلوقات غير اجتماعية . وهي على العموم غير مستساغة حين تُجمع سوياً، وتتوافق الواحدة مع الأخرى بصورة سيئة . كذلك تنضح ألوانها الواحدة على الأخرى، وتظل تتداخل الواحدة فيما تقوله الأخرى .

(ب) أحاول أن أثير اهتمام هارت بطريقة جديدة في الإلقاء . فرغم أنه معجب بفيدكيند Wedekind فإنه يراه كظاهرة فريدة ويعتبر كل ما أضافه تكنيكياً إلى التمثيل أو الإلقاء على أنه أسلوبه الشخصي . وفي رأيه أن طريقة فيدكيند في الإلقاء لم تكن فقط غير قابلة للتقليد بل بدائية كذلك . فأشير إلى أنها على العكس قابلة للتبني والتطوير، وأنها بالغة التعقيد ومليئة بالتنوع . لم يستطع هارت أن يسمع سوى الترخيم في المنظومة الإيقاعية؛ ظل يستمع إليه دون أن يلاحظ كيف كان مرتباً بعناية . كان فيدكيند في الحقيقة يستبق بعض جوانب الجاز؛ فإيقاعات خطوات الرقص المعقدة تكمن تحت إلقائه لأبسط القصائد والأُغنيات (في ذلك الوقت كنت طفلاً في الخامسة عشرة) . اقترحت أن يحاول هارت أداء بعض قصائد جوته وفق أسلوب فيدكيند، محتفظاً بالمنظومة الايقاعية التي يمكن أن يتعلمها بالتقليد المباشر 'للظاهرة

الفريدة' بكامل تفاصيلها، ثم بأن يخلص أداءه من كل عنصر خاص فعلاً، سواء في الصوت أو في الطريقة.

(حـ) يخبرني آيزلر بأنه فرغ من وضع موسيقى آخر القصائد الفنلندية، منتهياً بـ «لص الكرز» و «اليوم، صباح أحد الفصح». يقول إن القصائد كانت تزداد ثراءً كلما عمل فيها. وأنا أرى تلحينه بنفس الطريقة التي أرى بها الأداء بالنسبة لمسرحية: باعتباره الاختبار. فهو يقرأ بدقة بالغة. وفي آخر هذه القصائد استثني كلمة 'عمل' ولم يبتهج حتى استبدلتها بكلمة 'قصيدة' أو 'شعر'. وفي قصيدة 'بين الصفصافات على ضفة الساوند' حذف الكلمات **über die Herrschenden** [حول من هم في السلطة] على أساس أن هذا يجعل القصيدة أنقى؛ ولست متأكداً أن النقاء الناتج غير قابل للنقد. فقد يعني فقدان القصيدة لاكتفائها الذاتي التاريخي. كذلك هاجم القصيدة الثالثة 'ضباب فوق الفلاندرز'، ضمن مجموعة '١٩٤٠' باعتبارها غير مفهومة، ولم يرض حتى أعدت تسميتها باسم 'منظر في الفلاندرز ١٩٤٠'.

[من يوميات العمل خلال ١٩٤٢]

## ٢ . الشعر المطبوع :

(أ) استسلم للإغراء وأشتري طبعة أولى من قصائد هولدرلين وطبعة ثانية من هرمان ودوروتيا **Hermann und Dorothea**. ذلك شيء أريه للناشرين. يا للذوق! يا لها من طريقة حساسة للتوافق مع القصة! في التفاصيل وكذلك في مجمل العمل. المرة تلو المرة يسمح الناشر للقصيدة بأن تثير له المشكلات، ثم يحلها بجسارة. ليس على ورق مصنوع يدوياً للميسورين، ولا رخيص ومعتاد من أجل الجماهير. بالطبع كان ذلك قبل أن يصبح الوقت مرادفاً للربح.

(ب)... إلى ستيشنوت في بوتسدام بشأن طبع مجلدات الشعر. أريته طبعة ١٧٩٩ من هرمان ودوروتيا، لكنه اقترح

قطعاً صغيراً وبالغ العرض يشبه كتالوج صانع أدوات بصرية، جزئياً لكي لا يضطر لقطع أبيات قصائد معينة، وجزئياً لأنه يحس بأن قصائدي هي تكوينات واقعية جميلة. حاولت أن أشرح له أنني لكي أظهر معدني الجديد أحتاج أحياناً إلى استعارة بعض طلاوة الطريقة التقليدية في تقديم القصائد.

(جـ) أود أن تنشر مجلدات الشعر بطريقة مختلفة عن المعتاد... أصغر، تناسب الجيب، مثل طبعات حوالى ١٨٢٠، لكن بحروف عادية ليس لها شأن بالحروف البارزة.

[الملاحظات الثلاث من الفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩]

# بيوجرافيا موجزة

١٨٩٨ ١٠ فبراير، مولده في أوجسبورج بجنوب ألمانيا.

١٩٠٤ ـ ١٩٠٨ المدرسة الإلزامية Volksschule.

١٩٠٨ ـ ١٩١٧ المدرسة العليا Realgymnasium

١٩١٢ أول قصيدة معروفة له: بعنوان Das Lied vom Geierbaum

١٩١٣ محرراً لصحيفة طلابية مع يوليوس بينجن J. Bingen

١٩١٤ ينشر مسرحية من فصل واحد بعنوان Die Bibel. في أغسطس يبدأ المساهمة في «Erzähler»، القسم الأدبي في صحيفة بلدته Augsburger Neueste Nachrichten.

١٩١٥ ٢٧ يناير: يكتب قصيدة 'Der Kaiser' تكريماً لعيد ميلاد القيصر فيلهلم الثاني.

٣٠ يونيو: ظهور قصيدة «Französiche Bauern» التي تلمح إلى موقف سلبي من الحرب بعكس القصيدة السابقة.

١٩١٦ في يونيو: يكاد يلقى الطرد من المدرسة بسبب مقال نقدي حاد لسطر هوراس 'Dulce est et decorum pro patria mori'.

١٣ يوليو: ينشر قصيدة 'عصابة سكك حديد فورت دونالد' ويبدأ التوقيع باسم برت بريخت بدل الاسم المستعار برتولد أويجن. Eugen.

١٩١٧ يلتحق بجامعة ميونيخ في ٢ أكتوبر.

١٩١٨ ينهي النسخة الأولى من «بعل» في منتصف يونيو.

أول أكتوبر: تبدأ خدمته العسكرية في أوجسبورج. بعد فترة في الثكنات ينتقل للعمل في المستشفى.

١٩١٩ ١٣ فبراير : يفرغ من مسرحية 'سبارتاكوس' التي تغير إسمها إلى ( طبول في الليل ) . ويعمل في مراجعة 'بعل' .
٣٠ يوليو : مولد ابنه فرانك ( قتل في روسيا في ١٣ نوفمبر ١٩٤٣ ) من باولا بانهولتسر B. Banholzer التي تظهر في عدد من قصائده المبكرة باسم بي Bie .

١٩١٩ يكتب عدداً من مسرحيات الفصل الواحد لكوميدي ميونيخ الشهير كارل فالنتين K. Valentin ، الذي كان بريخت يظهر في عروضه أحياناً كموسيقى .
يلتقي بماريان تسوف M. Zoff الممثلة والمغنية المسرحية في أوجسبورج والتي ستصبح زوجته الأولى .

١٩٢٠ ٢١ فبراير - ١٣ مارس ، أول زيارة له لبرلين .
١ مايو . وفاة أمه .
تظل النسخة الثالثة من 'بعل' في المطبعة حتى ديسمبر ، حين ترفض دار النشر المضي في طبعها خوفاً من المتاعب القضائية .

١٩٢١ ٧ نوفمبر . الرحلة الثانية إلى برلين .

١٩٢٢ ٢٧ ابريل . يعود إلى ميونيخ بعد إجراء اتصالات في برلين .
٢٩ سبتمبر . العرض الأول 'لطبول في الليل' .
تنشر 'بعل' في طبعة من ٨٠٠ نسخة .
٣ نوفمبر ، يتزوج ماريان تسوف .
١٣ نوفمبر ، يقرر هريرب إيهرنج Ihering منح بريخت جائزة كلايست الأدبية عن مسرحياته الثلاث الأولى .
طبعة جديدة من بعل .

١٩٢٣ يعمل في كارل فالنتين ، وأريشن إنجل Engel وآخرين في عدد من سيناريوهات الأفلام .
١٢ مارس ، مولد ابنته هانه Hanne .
٩ مايو ، أول تقديم 'لكتاب المدن' على المسرح .

يقدمه أرنولت برونن Bronen إلى هيلينه فايجل.
في الخريف يعمل مع ليون فويشتفانجر في إعداد 'إدوارد الثاني' عن مسرحية مارلو.
٨ ديسمبر العرض الأول 'لبعل'.
نشر 'طبول في الليل'، بإهداء إلى بي بانهولتسر.

١٩٢٤ ١٩ مارس. العرض الأول 'لحياة إدوارد الثاني'.
في سبتمبر ينتقل إلى برلين، ويصبح، مع كارل تسوكماير، مساعداً لماكس راينهارت في المسرح الألماني 'الدويتشزتياتر'.
٣ نوفمبر مولد ستيفان، ابنه هو وهيلينه فايجل.
يعمل في إعداد Galgei بعد تغيير إسمها إلى 'الإنسان هو الإنسان'.
نشر 'حياة إدوارد الثاني'.

١٩٢٥ ينهي العمل في 'الإنسان هو الإنسان' ويكتب عدداً من السوناتات.

١٩٢٦ يعيد كتابة 'بعل' وتعرض في برلين في ١٣ فبراير.
يعيد مراجعة 'الإنسان هو الإنسان' بقصد تقديم جوانب اجتماعية.
٢٥ سبتمبر أول عرض 'للإنسان هو الإنسان'.
في النصف الثاني من العام يبدأ قراءة مكثفة لماركس.
نشر 'كتاب صلوات الجيب' في طبعة محدودة.

١٩٢٧ نشر 'كتاب الصلوات' و 'الإنسان هو الإنسان'
يبدأ التعاون مع الموسيقي كورت فايل Welll. النتيجة الأولى هي أغنيات ماهاجوني.
٢ نوفمبر. الطلاق من ماريان تسوف.
١٠ نوفمبر. افتتاح عرض النسخة الجديدة من 'كتاب المدن'.

١٩٢٨ في بداية العام تترجم اليزابت هاويتمان 'أوبرا الشحاذين'

ويكلف بإعدادها لافتتاح مسرح شيف باوردام.
٣١ أغسطس، أول عرض 'لأوبرا البنسات الثلاثة'.

١٩٢٩ ١٠ ابريل يتزوج هيلينه فايجل.
تنشر أغنيات من 'أوبرا البنسات الثلاثة' فيتهمه الناقد الفريد كير Kerr بالانتحال.
مايو، أول لقاء له مع فالتر بنيامين.
يوليو. العرض الأول 'لطيران الإخوة ليندمبرج.

١٩٣٠ ٩ مارس عرض أوبرا 'ماهاجوني'.
يعمل مع هانز آيزلر وسلاتان دودوف في 'الإجراء'.
مايو / يونيو، يعمل في الاستثناء والقاعدة.
٢٣ يونيو، العرض الأول للأوبرا المدرسية 'قائل نعم' التي كتبها بالاشتراك مع إليزابت هاويتمان وكورت فايل. بعد ردود فعل الطلبة والمدرسين يوازنها بكتابة 'قائل لا'.

١٩٣٠ ١٨ أكتوبر، مولد باربرا ابنته هو وهيلينه فايجل.
١٠ ديسمبر، العرض الأول 'للإجراء'.
نشر أول عددين من Versuche حيث كانت تنشر أعماله.

١٩٣١ يفرغ من العمل في سيناريو Kuhle Wampe، بالاشتراك مع دودوف، وإرنست أوتفالت، وهانز آيزلر.
في الخريف ينتهي من العمل في 'الأم' بالتعاون مع دودوف، وآيزلر، وجونتر فايسنبورن، الرواية مأخوذة عن غوركي.
نوفمبر ـ يبدأ العمل في إعداد مسرحية شيكسبير 'دقة بدقة' بالتعاون مع هاويتمان، وبوري، وبروكهارت.
ينتهي من العمل في مسرحية Die Heilige Jahanna der Schlachthöfe
نشر العددين الثالث والرابع من Versuche.

١٩٣٢ أول عرض 'للأم' في ١٧ يناير.
٣٠ ابريل أول عرض لـ Kuhle Wampe في برلين.

نشر الأعداد ٥ ، ٦ ، ٧ من Versuche .

١٩٣٣ ٢٨ فبراير يغادر ألمانيا إلى براغ بصحبة ابنه وزوجته ، وتلحق بهم ابنته فيما بعد .

٩ أغسطس ، يشتري منزلاً في سكوفسبوستراند بالقرب من سفندبورج ، بالدنمارك .

سبتمبر ، يعود إلى باريس حيث تعد مارجريته ستيفن مجموعته 'أغنيات وأشعار وكورالات' للنشر .

في الخريف يلتقي لأول مرة مع روت برلاو ، التي كانت تعمل حينئذ كممثلة في المسرح الملكي بكوبنهاجن .

١٩٣٤ يكتب رواية البنسات الثلاثة .

نشر 'أغنيات وأشعار وكورالات' في باريس .

ورواية البنسات الثلاثة في أمستردام .

١٩٣٥ يزور موسكو . هناك يلتقي بالممثل الصيني مي - لين - فانج **Mei - Lin - Fang** وتحت تأثيره يكتب عن الاغراب في المسرح الصيني .

١٩٣٥ أكتوبر - ديسمبر . في نيويورك مع هانز آيزلر للإشراف على إنتاج 'الأم' ؛ نتيجة للخلاف ينفضان أيديهما من العمل بأكمله .

١٩٣٦ يعود إلى سكوفسبوستراند . يقضي مع أستاذه وصديقه كارس كورش **Korsch** أوقاتاً طويلة في مناقشة الماركسية والموقف السياسي .

١٩٣٧ النسخة الأولى من 'بنادق السيدة كارار' بالتعاون مع شتيفن .

١٩٣٨ ينهي العمل في مسرحية 'جاليليو' في ثلاثة أسابيع .

١٩٣٩ يبدأ العمل في المسنجكاوف .

مارس يبدأ العمل في 'إنسان ستشوان الطيب' .

٢٣ ابريل - يغادر الدنمارك إلى ستوكهولم .

٢٠ مايو - وفاة والده في دارمشتات .

١٩٤٦ العرض الأول لدوقة مالقي في بوسطون.
باول ديساو يكتب موسيقى الأم شجاعة .
١٩٤٧ ٣٠ أكتوبر ـ يمثل أمام لجنة النشاطات غير الأميركية.
٣١ أكتوبر ـ يطير إلى باريس.
٥ نوفمبر ـ يسافر إلى زيوريخ.
٢١ نوفمبر ـ الانتهاء من أنتيجون .
١٩٤٨ ١٥ فبراير ـ العرض الأول لأنتيجون في شور Chur.
٥ يونيو ـ العرض الأول لبونتيللا في زيوريخ.
١٨ يوليو ـ الفراغ تقريباً من الأورجانون الصغير .
٢٠ أكتوبر ـ يسافر إلى برلين عبر براغ لرفض السلطات الأميركية منحه تأشيرة مرور.
١٩٤٩ ١١ يناير ـ العرض الأول في برلين للأم شجاعة .
٢١ ابريل ـ إعداد نسخة مؤقتة لمسرحية عن كميونة باريس بعنوان **Die Tage der Commune**.
١٩٥١ ٢٥ يونيو ـ إعداد سيناريو للأم شجاعة بالاشتراك مع إميل بوري.
١٢ أكتوبر ـ العرض الأول للوكولوس في برلين.
نشر مجموعة مئة قصيدة .
١٩٥٣ انتفاضة برلين الشرقية. رأى أنها مبررة لكنه رفض استخدامها من جانب الغرب.
يقضي أغلب الصيف في منزله في بوكوف ويكتب مرائي بوكوف .
١٩٥٤ ١٩ مارس ـ انتقال البرلينر إنسمبل إلى مسرح شيف باوردام.
وافتتاح مسرحية دون جوان لموليير من إعداده.
٧ أكتوبر ـ إفتتاح دائرة الطباشير القوقازية .
٢١ ديسمبر ـ يمنح جائزة ستالين للسلام.
١٩٥٦ يدخل المستشفى لعلاجه من مضاعفات الانفلونزا.

يقضي أغلب يونيو ويوليو في بوكوف . تسوء صحته .
١٠ أغسطس يحضر تدريبات حياة جاليليو لآخر مرة .
١٤ أغسطس . وفاة بريخت .
١٧ أغسطس . يدفن في برلين الشرقية .

# المحتويات

## IV. قصائد سنوات الأزمة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٢

## VI . قصائد وهجائيات سفندبورج المتأخرة ١٩٢٦ - ١٩٢٨

## VII . أحلك الأوقات ١٩٢٨ ـ ١٩٤١

## VIII. قصائد أمريكية ١٩٤١ ـ ١٩٤٧

## IX. قصائد التعمير ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢

## X. قصائد أخيرة ١٩٥٣ - ١٩٥٦

## هذا الكتاب

هكذا «الشاعر كله» هو ما يطمح هذا الكتاب إلى تقديمه: في مختلف مراحله ومختلف أحواله الذهنية والوجدانية، بهدف توضيح مدى رحابة مجاله الشعري سواء في الموضوعات التي طرقها أو في معالجتها الحرفية.

بهذا الطموح اتسع الكتاب ليصبح، في اعتقادنا، أشمل مجموعة ظهرت لبريخت في لغتنا حتى الآن. فأمام القارىء ٣٢٥ قصيدة تمتد من بدء كتابته للشعر صبيا وحتى وفاته. أكثر من نصفها على قدر علمنا لم يرَ النور في العربية من قبل.

واقتضت الضرورة إضافة بعض النصوص المأخوذة من يوميات بريخت والتي تبين رأيه في مختلف مجموعات القصائد أو في بعض مشكلات تقديم الشعر.